وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

التراث الأثري السوري

The Syrian Archaeological Heritage
Le Héritage Archéologique Syrien

تاريخ سورية
دراسات ونصوص
١١

الدكتور عفيف بهنسي

Le Héritage Archéologique Syrien
The Syrian Archaeological Heritage

Dr. AFIF BAHNASSI

www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٧٤٠ ل.س أو ما يعادلها

التراث الأثري السوري

صورة الغلاف من الوجهين :

رصيعة ذهبية من عصر البرونز اكتشفت في «قطنه» وتمثل الشمس المعبودة عبر التاريخ «شماش»، محاطة بتزيينات نباتية وحيوانية أسطورية، متقابلة نحو رمز الحياة، كتعبير عن السلام والعقيدة التوحيدية في التراث السوري عبر التاريخ.

الدكتور عفيف بهنسي

التراث الأثري السوري

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤ م

تاريخ سورية (دراسات ونصوص)

«١١»

المقدمة

الاستراتيجية الجغرافية

وحدة الهوية

اللغة بوصفها عامل الوحدة

اسم سورية وحدودها

سكان سورية

الواقع الجغرافي

التراث الأثري السوري / عفيف بهنسي .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٤ . - ٢٤٧ ص: صور ؛ ٢٤ سم . - (تاريخ سورية . دراسات ونصوص ؛ ١١)

١- ٩٣٠.١ ، ٩٣٠.١ ب هـ ن ت آ ل ا ٢- ٩٣٣ ب هـ ن ت

٣- العنوان ٤- بهنسي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

المقدمة

الاستراتيجية الجغرافية

أثبتت الكشوف الأثرية التي تحققت خلال العقود الأخيرة، أمرين هامين: الأول أن هذه المنطقة التي تسمى عند العرب (بلاد الشام) تعتبر من أقدم مناطق العالم حضارة، وأن هذه الحضارة مترابطة عضوياً على الامتداد الجغرافي ومتكاملة. والأمر الثاني أن هذه البلاد تحمل بعداً سياسياً دولياً واسعاً لا يقاس بحجمها، إذ إن موقعها بين قارات ثلاث مازال ذو أهمية استراتيجية وتجارية عالمية، ولقد برزت هذه الأهمية تاريخياً منذ نشاط طريق الحرير الذي يبدأ من الصين مروراً بسواحلنا على البحر الأبيض المتوسط باتجاه الغرب أو باتجاه جنوب سورية، عبر تدمر وحلب، وكانتا من المراكز الهامة في هذا الطريق. وكان (الهلال الخصيب) الذي يمتد رأسه الشرقي من الخليج العربي، وينتهي رأسه الغربي في سيناء، منطقة ازدهار اقتصادي وإشعاع عبر جميع العصور، يضاف إلى ذلك أهمية إشراف سورية على صدر البحر الأبيض المتوسط الذي أفسح لها في العبور إلى جميع مرافئ البحر وإلى أنحاء أخرى من العالم، وأصبحت قادرة، من خلال تبادلاتها التجارية وتحركاتها العسكرية أن تصنع تاريخها وأن تشارك في صنع تاريخ هذا الجزء من العالم.[١]

إن الأهمية الاستراتيجية لموقع سورية جعلها مليئة بالمدن العامرة والحواضر التي لعبت دوراً حضارياً كبيراً منذ العصور التاريخية القديمة. ومازالت الحفريات الأثرية في أحواض الفرات والخابور والعاصي وحول المدن الكبرى وفي الساحل والجنوب، تكشف عن حواضر قديمة حددت بدايات التاريخ والحضارة الإنسانية على هذه الأرض. ولقد كانت شبكات الطرق بين هذه الحواضر والمدن متشعبة، مما جعل الوحدة الثقافية والعقائدية والاقتصادية أكثر رسوخاً واستمراراً. بل

كانت هـذه الوحدة سبباً في التطلع المستمر لتحقيق وحدة سياسية، لولا صعوبة وسائـل الانتقـال والاتصال. ومع ذلـك فإن المكتشفـات الأثريـة أبانت بوضوح محـاولات الملك الأكادي «صارغون» لتحقيق وحـدة سياسية من البحر الصغير (الخليج العربي) إلى البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط).

وحدة الهوية

مـع أننا لا نستطيـع تحديد تسميـة سياسية شاملة لهـذه المنطقة، يبقى من الممكن إطـلاق تسميات حضاريـة وسمت المنطقة الجغرافيـة بسمة مشتركة، دون أن تكون ثمة قيادة سياسية ونظام حكم متماسك كما يفهم اليوم عند تحديد أسماء الممالك والدول. وإن كان ولاء بعض المدن الأخرى لبعضها يعتبر مظهراً مـن مظاهـر الوحدة السياسيـة. وأن وحدة هويـة الإنسان الذي شـكل حضارة هـذه المنطقة هي التي تدفعنا إلى تحديد خرائط جغرافية تضم الحواضر التي احتوت فعاليات هذا الإنسان وحفظت آثاره وتراثه.

لابد أن نوضح أولاً أن الرأي القائل من أن جميع الأقوام التي شكلت حضارات فيمـا بيـن الرافديـن والبحـر الأبيضـ المتوسط، قد هاجـرت تباعـاً وبصورة مباشـرة من الجزيرة العربية لم يعد أساسياً في تحديد هوية هذه الأقوام. فإذا كان الأكاديـون الأوائـل منذ الألـف الثالث قبل الميلاد قد هاجـروا من مكان ما فـي الخليج العربي حاملين معهم لغتهـم وعقائدهم. فإن الآشوريين والعموريين والكنعانييـن والآراميين والكلدان هم العرب الذيـن انتقلوا من الرافدين باتجاه الشمـال والغرب ليشكلوا حواضر وحضـارات أصبحت أكثر أبعادها واضحة بعد الحفريات الأثرية المتتالية.

لا يعني هذا أن الهجرات في منطقة الهلال الخصيب إنما ابتدأت بعد ازدهار الأكاديـن والبابليين، بل إن وجود السـكان الاصليين في بلاد الرافدين قد يعود إلـى الألف السادس قبـل الميلاد، وإن تلك الهجرات تتابعـت منذ ذلك التاريخ، لتشـكل وحدة قومية. بل إن ما اكتشف فـي بقرص على الفرات، وفي تل الرماد قرب دمشق إنما يعود حضارياً الى العصر الحجري الحديث ٦٢٥٠ ق.م.

اللغة بوصفها عامل الوحدة

ويكفي باعتقادنا أن تكون اللغة والعقائد هي مقياس هذه الوحدة وهذا الانتشار الأكادي العربي المتتالي، فلقد تبين أن الفروق بين اللهجات تتفق جداً مع الفروق بين المسافات المتباعدة عن المصدر الأساسي للوجود العربي. وكما سنرى فإن الشعوب التي تعاقبت على المنطقة المحصورة فيما بين النهرين والبحر كانت تنتسب إلى قومية واحدة لا تختلف عن بعضها إلا بالمطامح السياسية والاقتصادية وبالنفوذ الجغرافي، بل إن العالم الأثري «مورتغات» يسمي الحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة منذ العموريين باسم «الحضارة الكنعانية» كتعبير عن وحدة قومية شاملة.(٢)

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن تكوّن دولة بالمعنى الذي نفهمه اليوم لم يتم بوضوح، بل ثمة دولة ذات عاصمة واحدة أو أكثر كانت واسعة السلطان تفرض نفوذها على مدن كبيرة أو صغيرة أخرى قريبة، فتقوم بإلحاقها أو بتعيين ملوكها لتأكيد نفوذها عليها.

اسم سورية وحدودها

لعل أقدم تسمية أطلقت على هذه المنطقة العربية هي بلاد عمورو.أي الغرب من الرافدين ، ثم ظهرت تسمية آسورا عربايا في العهد الفارسي. وتحرّف اسم (أسورا) إلى اسم (سورية) وكان الإغريق أول من استعمل هذه التسمية التي وردت على لسان هيرودوت المؤرخ. ولكن في نصوص أوغاريت (ق١٤ ق م) ورد اسم سورين Shryn، وفي المصادر العبرية ورد اسم سريون عند الإشارة لإقليم لبنان الداخلي(سفر التثنية ٩١٢ -المزامير) ، أما اسم لبنان فهو تحريف لكلمة (لابن) وتعني البياض وذلك لأن جبال لبنان مكسوة بالثلج في أكثر أشهر السنة.

وكان الإسكندر المكدوني قد قضى على دارا الثالث في موقعة إيسوس عام ٣٣٣ق.م واستطاع الإسكندر أن يضع حداً للمحاولات الفارسية المستمرة للسيطرة على بلاد الإغريق بل استطاع أن يقضي نهائياً على الفرس الساسانيين

وأن يجعل سورية تحت حكم الإغريق والسلوقيين حتى عام٦٤ق.م. ثم أصبحت تحت حكم الرومان والبيزنطيين حتى الفتح الإسلامي وكانت المنطقة تعرف باسم سورية. وكانت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة في الداخل حتى الجزيرة في الشمال. وكانت اللهجة الكنعانية هي السائدة في الساحل. أما اللهجة الكلدانية فلقد كانت اللهجة الشرقية. وهذه اللهجات الثلاثة هي لهجات شقيقة.

ولم تكن حدود سورية واضحة، ذلك أن السلطة السلوقية امتدت إلى أطراف تشمل آسيا الوسطى والعراق وقسماً من إيران. أي أن القسم الآسيوي من إمبراطورية الاسكندر أصبح يحمل اسم المملكة السورية، إذ اعتبر الملوك السلوقيون ملوكاً لسورية. وعندما فتح بومبي البلاد عام ٦٤ ق.م أعاد لسورية حدودها التقليدية ولكن أطلق عليها اسم ولاية سورية.

كانت حدود الدولة في العهود الرومانية والبيزنطية واسعة أيضاً، وفي كلا العهدين كانت سورية جزء متداخلاً في كيان الدولة الكبرى لا تميزه إلا لغة أهل البلاد وهويتهم القومية. ومع ذلك نستطيع أن نحدد تسميات لهذه المنطقة ، سورية أو الشام التي تضم اليوم سورية ولبنان وفلسطين والأردن، وذلك بالاعتماد على الخصائص الحضارية والسياسية لكل مرحلة من مراحل تاريخ هذه المنطقة. ولقد أطلق اسم Syrian على السكان الذين يرجعون إلى أصل سوري (شرقي المتوسط) والذين استعمروا بلاد البحر المتوسط في القرنين الثاني والثالث م. كما أطلق اسم الأسرة الرومانية السورية بين (١٨٣-٢٣٥م) على أعقاب سبتيموس سيفروس وزوجته جوليا دومنا وهي من حمص ومن جاء بعدهما كاراكالا ،إلاغابال ،اسكندر. أما الإمبراطور فيليب (من شهبا) (٢٤٤-٢٤٩) فلقد حمل اسمه صفة العربي.

وفي العهد البيزنطي وفي نهاية القرن الرابع اقتصر اسم سورية على الشمال وقسم إلى قسمين: سورية الأولى Syria Prima وعاصمتها إنطاكية وتشمل سلوقية ولاوديسة (اللاذقية) وغابالا (جبلة) وبيروبا (حلب) وخالسيس (قنسرين). وسورية الثانية Syria Secunda وعاصمتها أفاميا وتشمل ابيفانيا

(حماة) واريثوزا (الرستن) ولاريسا (شيزر). وقسمت الأجزاء الأخرى إلى قسمين؛ فينيقية الأولى Phoenicia Prima وعاصمتها صور ومدنها عكا - صيدا - بيروت - جبيل - طرابلس - عرقة - أرواد. وفينيقية الثانية Phoenicia Secunda ومركزها حمص (ايميزا) وتضم دمشق ومنبج (هليوبوليس) وتدمر.

وقسمت فلسطين إلى ثلاثة أقسام، الأولى عاصمتها قيصرية وضمت القدس (أورشليم) ونابلس وجوبا (يافا) وغزة وعصقلان، والثانية عاصمتها بيسان ومدنها جورة وطبريا. والثالثة مركزها البتراء. وكانت حدود الدولة في العهود الرومانية والبيزنطية واسعة أيضاً، وفي كلا العهدين كانت سورية جزء متداخلاً في كيان الدولة الكبرى لا تميزه إلا لغة أهل البلاد وهويتهم القومية.

تطبيقاً لاتفاقية (سان ريمو) ١٩٢٠ وما جاء بعدها من تعديلات فرضها الانتداب الفرنسي، فإن حدود سورية منذ عام ١٩٣٠ هي التالية: يحدها من الشرق العراق ومن الشمال تركيا ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ولبنان ومن الجنوب الأردن وفلسطين وتبلغ مساحة سورية ١٨٥١٨٠كم٢. و هكذا تقلصت حدود سورية التي عرفت ببلاد الشام.

أطلق الجغرافيون العرب على هذه المنطقة إسم « الشام ».و كان الهمداني في كتابه الإكليل قد ذكر لأول مرة اسم الشام ، ولقد استعمله العرب للدلالة على الشمال. كما أن عرب الشمال كانوا يطلقون اسم اليمن (يمنات) أو يمون على مناطق الجنوب. وما زال اسم الشام يتردد على ألسنتنا، على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية، فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية، عرفوا (الشام) من خلال التاريخ، وتضطرهم ظروفهم لكي يعرفوا الشام من خلال الحدود السياسية، فيتبادلون تسميات أخرى، ولكن اسم الشام ما زال أكثر تداولاً، على الرغم من أن حجم هذا الاسم تكثف في مدينة واحدة هي دمشق.

ولم يكن لبلاد الشام حدود سياسية ثابتة، ولكن الاصطخري كان أقدم من أوضح حدود الشام فهو يقول: (وأما الشام فإن غربها بحر الروم وشرقها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم وشمالها بلاد الروم، وجنوبها

حد مصر وتيه سيناء، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور).

ويضيف الاصطخري وهو يتحدث عن الحدود الشمالية لبلاد الشام أنها (مما يلي الروم وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية وعين زربة والمصيصة واذنه وطرسوس) وهي ثغور شامية، وتقع اليوم في تركيا. ويتفق الاصطخري مع ابن حوقل والمقدسي في تحديد أقسام أو أحياء بلاد الشام، فيرون أنها فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين ويضيفون إليها الجبال والشراة.

ويرى المقدسي أن دمشق هي المكان الوحيد في إقليم الشام الذي يصح أن يسمى مصرا. والمصر عنده (كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال وأضيفت إليه مدن الإقليم، مثل دمشق).وأما حلب وحمص وطبرية والرملة وصفد فهي قصبات وما تبقى فهي مدن عادية، ولم تكن هذه القصبات وحدات إدارية ثابتة.

حدود بلاد الشام إذاً، وبحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريباً سورية الحالية مع جنوب الأناضول ولبنان وفلسطين والأردن وسيناء.

سكان سورية

اعتاد الجغرافيون تقسيم السكان بحسب أصولهم وبحسب عقائدهم الدينية أو بحسب طبقتهم الاجتماعية. ولم يعد هذا التقسيم مقبولاً في سورية اليوم، فالدستور السوري نص على وحدة السكان وعدم التفريق بينهم لأي سبب. وبعد أن كان سكان القرى والجبال منعزلين عن سكان المدن فلقد تم التحام سريع بينهم عن طريق الهجرات الداخلية. ومازالت نتائج هذا النزوح خطيرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا نرى أن التوزع السكاني في سورية غير متساوٍ إذ أن ٥/٦ من سكان سورية يعيشون في المدن. ومازالت البادية السورية ضعيفة الإسكان إلا من بعض البدو الذين نزح أكثرهم إلى الجزيرة العربية.

ليس من إحصاء جديد لعدد سكان سورية اليوم، ولكن معدل النمو مرتفع نسبياً، و نستطيع استقراءه من خلال إحصاء السكان العددي الذي تم في

الأعـوام الأخيـرة حيث بلغ عدد السـكان أربعة وعشرين مليـون نسمة، ويتساوى عدد الإناث مع عدد الرجال تقريباً في سورية.

الواقع الجغرافي

تتمتـع سورية بموقع جغرافي متميز وبمناخ معتدل مع خصب بالأرض وإنتاج وافر عـزز حياتها الاقتصادية والاجتماعيية ،وكانـت مركز تبادل تجاري وموئل هجرات ومطامع شعوب أخرى ساعدت في تنوع الانتاج الزراعي والثقافي.

تمتـاز سوريـة بإطلالها على البحـر الأبيض المتوسط، ويبلـغ طول الساحل السـوري ١٧٣كم، وهو منفصل عن الجبال الموازيـة له بشريط ساحلي منبسط قليـل التعاريج والجزر، فيما عـدا جزيرة إرواد، وعلى الساحل السوري أنشئ في الماضي مينـاءان كبيران للسفن التجارية السوريـة والأجنبية ، هما ميناء مينة البيضا في اللاذقية وميناء جبيل. المتاخمان لغابات الجبال وقراها الجميلة.

وكانت الأنهار وبخاصة نهر الفرات سبب ازدهار الزراعة ، وعلى شوطئ وادي الفـرات تكونت حواضر هامة تـم الكشف عن معالمها المعماريـة وكنوزها التي تتصدر المتاحف السورية.

الفصل الأول

التراث السوري وعلم الآثار

- مراحل الأبحاث الأثرية في سورية
- تقنيات البحث الأثري
- الاكتشافات الأولى
- آثار الجزيرة الفراتية
- اكتشافات المنطقة الوسطى
- توسع نطاق مواقع التنقيب
- المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة

الفصل الاول

التراث السوري وعلم الآثار

مراحل الأبحاث الأثرية في سورية

كان اهتمام الباحثين في الشرق القديم منصباً على المدن البابلية والآشورية المعروفة لديهم تحت علم أطلق عليه (Assyriology). ولم تكن سورية موجودة بعد في حدودها السياسية الراهنة في القرن الماضي. وكانت كلمة «سورية» تعني آنذاك البلاد الواقعة بين نهر الفرات وساحل البحر الأبيض المتوسط والتي تتضمن جنوباً فلسطين. وقد كان الاهتمام بدراسة المواقع الفلسطينية المذكورة في الكتاب المقدس قد استيقظ، وأخذ أولئك البحاثون الذين يعملون في فلسطين يمرون عبر سورية. ويمكن تقسيم أبحاث سورية القديمة إلى ثلاث مراحل حسبما جاء في دراسة «هرتموت كونه».

المرحلة الممتدة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى والتي قام خلالها الرحالة العديدون بزيارة سورية منذ نهاية القرن السابع عشر، نذكر منهم كارستن نيبور، وف.س.وا.بلونت، وإدوار زاخا وغرتروده بيل. هم نقلوا أخباراً عن خرائب ظاهرة على سطح الأرض ومدن حديثة وقرى وعادات العرب. وباستثناء القليل منهم، لم يقوموا بأبحاث ميدانية أثرية بالمعنى الحديث للكلمة.

والمرحلة الثانية هي حفرية كركميش الواقعة على خط الحدود مباشرة والتي قام الباحثون الإنكليز بالتنقيب فيها بين عام ١٩١١ و١٩١٤ ومرة أخرى في عام ١٩٢٠ وقد قدمت لنا هاتان الحفريتان المعارف الأولى عن نظام الدولة الآرامي

فــي الألــف الأول ق.م. قام المنقــب في تل حلــف» غوزانا«ماكس فــون أوبنهايم بالتجول في كل المنطقة السورية الشمالية الشرقية وباكتشاف تلال مستوطنات عديدة جداً

وقامت الحفرية الألمانية في الفترة الواقعة بين ١٩١١ ز١٩١٥ ومرة ثانية من ١٩٢٧ حتــى عام ١٩٢٩ بكشف طبقات تعود إلى نفســ الفترة الزمنية المكشوف عنهــا في سنجرلــي وكركميش في تل حلــف. وقد تمت هنا إزاحــة الطبقات عن أبنية قصر هام من ناحية تاريخ العمارة وعن تماثيل لمخلوقات أكبر من حجمها العادي الطبيعي نرى مثالها في مقدمة متحف حلب. وبفضل هذه الأبحاث أمكن لأول مــرة تحديد هوية دولة -مدينة آرامية اسمها غوازانا على الأرض السورية. وفي نقطة أخرى من تل حلف اكتشفت طبقات حضارة سابقة على التاريخ سميت باســم الموقع. وهــذه الحضارة الراجعة إلــى الألف الخامســ ق.م تتميز بفخار مرسوم ذي نوعية راقية جداً. حدد تسمية العصر «عصر تل حلــف».

وفي عامي ١٩٠٧ و١٩٠٨ قام ساره و هيرتزفليد بالتنقيب المنهجي في حوض الفــرات الســوري وروافده وهــو العمل الذي لايــزال إلى اليوم يثبــت جدارته في مناطق جزئية كثيرة.

وفي عامي ١٩١٢ و١٩١٥ تبعهم الباحــث التشيكوسلوفاكي لويس موزيل الذي قام برحلات كثيفة في القسم الشرقي من سورية. (الخارطة الأثرية)

تقنيات البحث الأثري

لأول مــرة مسحت مناطق عديدة مسحــاً أثرياً. وهذا العمل يرجع الفضل فيه بخاصــة إلى البحاثــة الفرنسيين، وكذلك ساهم علماء الآثــار الإنكليز مساهمة كبيرة فيها. وقد طبقت طرائق جديدة في الملاحظة الأثرية للمواقع ، فقد أدخل أ. بوادوبــار علم آثار الصور الجوية إلى سوريــة. ووضع نصب عينيه بحث مسار مواقــع الحدود الرومانية. فلقد طار فــوق المواقع وذهب يبحث عن مواقع معينة حسب معطيات الصور الجوية.

وعبر هــذه الأعمال في المواقع تلقــت الطبوغرافيا التاريخيــة (وهي دراسة مواقع المستوطنات القديمة) زخماً متعاظماً. وفي عام ١٩٢٧ نشر ر.دوسو عمله

النموذجي الذي لايزال حتى الآن يتمتع بالقيمة والجدارة العلمية بالنسبة إلى الطبوغرافيا التاريخية لسورية في العصور الإغريقية الرومانية وفي القرون الوسطى. وقد سبق لـ أي.هونيغمان أن اصدر عام ١٩٢٣ دراسته عن الطبوغرافيا التاريخية لشمالي سورية.

وشرع البحاثة الفرنسيون في هذا الوقت بإجراء حفريات عديدة أيضاً. فعالم الآثار الفرنسي كلود ف.ا.شيفر بدأ عام ١٩٢٩ حفرياته في رأس الشمرة عند الساحل السوري للبحر المتوسط. وقد وجدت فيه قصور عديدة وبيوت خاصة غنية تعود للقرن ١٤/١٢ق.م وفيها عثر على وثائق بكتابة مسمارية ولغة لم تكن معروفة حتى ذلك الحين. وقد أتاحت دراستها تحديد اسم موقع المدينة الشرقية القديمة، أعني أوغاريت، ثم تبين بعد ذلك أن الأمر يدور هنا على أقدم كتابة أبجدية معروفة. وقد نجم عن هذا الاكتشاف فرع علمي جديد يهتم بالكتابة الأوغاريتية.

وثمة اكتشافات أو لقى غنية بيّنت فوق ذلك أن أوغاريت بوصفها مركزاً تجارياً كانت قطب الرحى الذي كانت تدور حوله القوى السياسية والحضارية آنذاك. فالمستوردات المصرية والإيجية والأناضولية والمصدرة من بلاد الرافدين تشهد على تعدد وكثرة العلاقات.

الاكتشافات الأولى

تصدى العالم شيفر لآثار أوغاريت على الساحل السوري في العام ١٩٢٩. وفي عام ١٩٣٣ تولى العالم أندره بارو اكتشاف آثار حاضرة ماري على الفرات. ومكّن أرشيف ماري في موقع صالحية الفرات من رؤية ارتباطات تاريخية عديدة، وأعطى سورية لأول مرة، موقعاً أثرياً على الأرض السورية ، ثابتاً في تاريخ النصف الأول من الألف الثاني ق.م.

والحفريات الفرنسية في تل أحمر « تل بارسيب « الشرقي القديم ، وفي أرسلان طاش « حداتو» الشرقية القديمة لم تكن أقل نجاحاً وتوفيقاً، لكنها كانت أقصر مدة. يقع تل أحمر على الفرات جنوب شرقي كركميش «جرابلس»

ومقابلها. وتقع أرسلان طاش على بعد حوالي ٤٠كم مباشرة شرقي كركميش. وفي الموقعين تعرفنا مجدداً على إمارات آرامية صغيرة من الألف الأول ق.م. والحفريات التي أشرف عليها دانغان بين عام ١٩٢٨ و١٩٣١ اكتشفت في كل موقع قصراً زين أحدها برسوم جدارية والآخر بنقوش نافرة آشورية.

آثار الجزيرة الفراتية

إن الأبحاث الأثرية الميدانية عن القسم الشمالي الشرقي الواقع ما بين النهرين من سورية قد حققت خطوة إلى الأمام،[٣] فالسير ماكس مالوان وزوجته أغاتا كريستي المعروفة من قبل عشاق القصص البوليسية ، قد صعدا باتجاه منبع الخابور الرافد الأكبر لنهر الفرات، واستقرا أخيراً في مثلث نبع هذا النهر شمالي مدينة الحسكة، وكشفا ما بين ١٩٣٤ و١٩٣٩ في حفرياتهما عن مستوطنتي تل بازار وتل براك. وقد كانت هذه الأخيرة على الخصوص غنية ومهمة، وكان لها مكانة بالنسبة إلى الألف الرابع تعادل مكانة ماري بالنسبة إلى بداية الألف الثاني. و تثبت بقايا «معبد العيون» الشهير وجود علاقات حضارية مع حضارة سومر في النصف الثاني من الألف الرابع، و يدل قصر نارام سين على الحضور والسيطرة السياسية للملك الأكادي نارام بين حوالي ٢٣٥٠ق.م. و يتابع التنقيب في تل براك منذ عام ١٩٧٦ بإشراف دافيد أوتس.

وقد قام الجنود الإنكليز أيضاً عام ١٩٢١ بإعادة اكتشاف مدينة دورا أوروبوس على الفرات، وهي المدينة التي كانت عامرة من العصر الهلنستي الروماني حتى العصر المسيحي الباكر. ثم بدئ بالتنقيب فيها منذ عام ١٩٢٨ من قبل الأميركيين بإشراف م.روستفتزيف

اكتشافات المنطقة الوسطى

تقع مدينة حماة المشهورة بنواعيرها على العاصي ، حول تل مستوطنة قديمة بدأ التنقيب فيها من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٨ من قبل بعثة دانمركية بإشراف هارولد إنغولت. وقد أبانت الحفريات عن وجود سلسلة متواصلة من

المستوطنات منذ الألف الرابع ق.م حتى العصر الإسلامي. وهي تمثل حتى الآن العمود الفقري لكثير من أعمال التنقيب حتى الآن.

وتقودنا حفرية «كهوف» يبرود إلى ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم. وقد قام بهذه الحفرية الألماني روست بين عام ١٩٣٠ و١٩٣٢. و تقع يبرود في أطراف سلسلة جبال لبنان الشرقية على مقربة من دمشق باتجاه الشمال.

. وقرب مدينة حمص جرت حفريات في تل نبي مند (مدينة قادش) الشرقية القديمة التي نشبت على مقربة منها المعركة الشهيرة بين المصريين والحثيين. ثم امتدت الحفريات الى المشرفة أي قطنه الشرقية القديمة.[٤]

في المشرفة الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة حمص ، كان العالم الفرنسي « دو بوسون قد كشف في العام ١٩٢٤-١٩٢٩عن معالم مملكة قطنه ، وعن ملامح القصر الملكي وبعض الرقم الطينية.[٥] وبعد إهمال طويل للموقع ، قمنا في الثمانينات السابقة بإزالت المستوطنات وتنظيف الموقع ورعايته ، وتمت مؤخراً تنقيبات هامة سنأتي على ذكرها.

المرحلة الأخيرة من الأعمال الاثرية

أنشئت المديرية العامة للآثار والمتاحف وتطورت في المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن. وقد وجدت أمامها مهمة صعبة ، فقد كان ينبغي متابعة جرد آثار البلاد وإعداد جيل من العلماء السوريين ، والقيام بحفريات خاصة بالتعاون مع الأجانب من أجل متابعة إلقاء المزيد من الأضواء الكشافة على تاريخ البلاد.

وقام علماء الآثار الدانمركيون بإشراف ب.ي.رايس منذ عام ١٩٥٨ بحفريات في تل سوكاس على الساحل السوري للبحر الأبيض المتوسط، فاكتشفوا سلسلة مستوطنات ترجع في القدم حتى العصر الحجري الحديث.

و هكذا أضيفت إلى ما تقدم أعمال تنقيب جديدة. فقد قام أنطون مورتغات مجدداً عام ١٩٥٦ باسم جمعية ماكس فون أوبنهايم بأعمال تنقيب في شمالي شرقي سورية. وبعد حفريات تجريبية صغيرة في تل فخيرية، وتل عيلون استقر

عـام ١٩٥٨ في تل خويرة. ونتائج هـذه الحفرية تلقي ضوءاً على عصر لم يبحث عنه حتى الآن في أي موقع آخر في سورية، ونعني به بداية الألف الثالث ق.م. وقد عثـر فيها على خمسة تماثيل رخاميـة صغيرة تنتمي أسلوبياً إلى ما يسمى عصر السلالات الملكية المبكرة الثاني.

وقد شرعت عام ١٩٧٤ بعثة إيطالية بإشراف باولو ماتييه بإجراء الحفريات فـي تـل مرديخ « ايبلا» علـى بعد ٦٠ كم من حلـب باتجاه الجنـوب، ولقد عثرت هـذه البعثة بعد عشر سنوات على أهم مكتشف على الأرض السورية بعد الحرب العالميـة الثانية؛هـو الأرشيف الملكي مـن الثلث الثاني للألـف الثالث، وبالتالي تحديد هوية الموقع بوصفه مدينــة إيبلا الشرقية القديمة المعروفة في مصادر أخرى.

وقـد قام الدبلوماسـي الهولندي والخبير الزراعي فان ليـره بجولات دراسية وبحـث في مواقـع عديـدة أدت إلى اكتشاف تـل بقرص على الفـرات، وفي هذا الموقع الذي أجرت بعثة هولندية حفريات فيه منذ عام ١٩٧٦ اكتشفت مستوطنة من العصر الحجري الحديث تم بناؤها وفق مخططات المدن. وتوغلت دراسات في تل المريبط الذي سبق للهولندي م.فان لون أن أجرى حفريات فيه.(٦)

إن التخطيـط لبناء سد الفـرات أدى في مطلع السبعينات إلى مباشرة نشاط عالمـي قمنا بتشجيعـه لإنقاذ الآثار في منطقة غمر الفـرات بعد السد. في تلك المواقـع الأثريـة العائدة إلى مـا قبل التاريخ مثـل المريبط وأبـي هريرة ، وفي حفريات حبوبة الكبيرة جنوب تل قناص. و هي الحفريات الألمانية بإشراف أي. شترومنغر كشفت عن معالم مدينة مسوّرة بتحصينات.

وقـد كانـت الحفريات في تـل السلنكحيـة ومسكنة وتل ممباقـة وتل حديدي موجهة لدراسة فترات تاريخية أحدث، وبالدرجة الأولى العصر البرونزي.

وبفضـل اكتشـاف أرشيف صغير فـي مسكنة استطاع المنقبـون الفرنسيون بإشـراف جـ.ك.مارغورون أن يثبتوا أن تحت مسكنة تكمن مدينة إيمار الشرقية القديمـة. وقـد خضعت هـي وغيرها مـن المستوطنات فـي العصـر البرونزي

المتأخـر، كما يبـدو، لا لنفوذ الحثييـن فحسب بـل لإشرافهم المباشـر أيضاً. وشيدوا أبنيتهم حسب طراز البناء الحثي.

وأجـرت بعثة أميركية بإشـراف بوتشيلاتي عام ١٩٧٥ تنقيبات من جديد في تل العشارة على الفرات الأوسط وهو ترقا الشرقية القديمة.

وفـي العقدين الأخيرين من القرن الماضي امتـدت حفريات بولونية وسورية فـي التنقيـب فـي مدينـة تدمـر، وكذلـك تابـع الفرنسيـون التنقيب عـن بقايا مستوطنـات الفتـرة المتأخرة السابقـة على الإسلام وفجـر الإسلام في جنوبي البلاد، في بصرى حوران، وقـد أجريت أيضاً تنقيبات صغيرة عديدة وحفريات إنقاذ وجولات علمية في المواقع الأثرية بإشراف العلماء السوريين الزملاء من أمثال علـي أبو عساف وعدنان البني ونسيب صليبي وشوقي شعث وخالد الاسعد ومرهف خلـف وقاسم طوير وغيرهـم ، وكانت تتوخى بصـورة خاصة استكمال المسح الأثري.

المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة

إن كميـة المكتشفـات واللقى التي جاءت كحصيلة لكل هـذه التنقيبات كانت ضخمـة وزعت بين متحف دمشق، ومتحف حلب. وتقـوم اليوم متاحف في حماة وحمصـ ودير الزور وطرطوس والسويداء واللاذقيـة والرقة وتدمر وغيرها من المتاحف لاستيعاب نتائج التنقيب في المناطق المختلفة.

لا تقتصر وظيفة المتاحف على تعريف الجماهير المقيمة أو السائحة بحضارة سوريـة وتراثها، بـل هي منابر للمثاقفة العالمية تستقطـب الباحثين لتوثيق هذا التراث، وتحليل جمالياته وتعميم الثقافة الإبداعية عبر التاريخ.

والمتحـف المركـزي السوري هو المتحـف الوطني بدمشق الـذي يضم آثار سوريـة فـي جميع العصور في عدد مـن الأجنحة ، جناح ما قبـل التاريخ وجناح الفنـون القديمـة وجنـاح الفـن السوري فـي العصـور الكلاسية ومتحـف الفن الاسلامي ،ثم جناح الفنون الحديثة.

وفي العام ١٩٧٥ تم تغيير هام في بناء المتحف الوطني وفي مدخله الرئيسي من الجهة الشرقية. وكان منحرفاً جانبياً يؤدي مباشرة إلى جناح الآثار السورية في العصور الكلاسية ، مما يعطي الزائر إنطباعاً بأن المتحف مخصص لهذا الجناح ، وكان الانتقال إلى الجناح الإسلامي يتم عبر بهو يضم آثار قصر الحير ، وينفتح على بوابة قصر الحير التي نقلت من موقعها في بادية الشام. وصولاً إلى جناح يضم الآثار الإسلامية والآثار السورية القديمة.

كان من المقرر فصل الأجنحة في أبنية مستقلة ، وبخاصة جناح الآثار الإسلامية الذي يمتاز لاحتوائه على القاعة الشامية وكتلة بناء آثار قصر الحير ومدخله الفخم.

وكبداية لتنفيذ هذا المشروع تم تحويل مدخل المتحف من الجهة الشرقية إلى الجهة الشمالية بإتجاه بوابة قصر الحير الضخمة. إبتداءً بمدخل مؤلف من بوابة أنشىء إلى يمينها مكاتب أمناء الأجنحة ، وإلى اليسار مكتب إستقبال الزائرين ، وتنفتح البوابة على حديقة رحبة تنهض الآثار الحجرية الإسلامية حول بركة مربعة كبيرة تتقاذف أركانها نوافير مياه مستمرة.

وأكبر الأجنحة في المتحف الوطني بدمشق جناح مخصص للآثار الإسلامية، نقلت إليه أهم آثار قصر الحير الغربي الذي يعود إلى عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وبخاصة واجهة القصر وأروقته والألواح التصويرية والقطع المتحفية الهامة.

وفي المتحف مجموعات نادرة من الخزف الإسلامي الدمشقي الصنع أو التركي من أزنيك، ومجموعات من الخشبيات والمعدنيات والحلي والنقود التي تعود إلى جميع العصور الإسلامية. ولقد ألحق بالجناح قاعة ضخمة تمثل الطراز الدمشقي في العمارة الخشبية والحجرية الداخلية، وكانت قد أهديت للمتحف وقام بترميمها ودعمها أبو سليمان الخياط الصانع الماهر.

الفصل الثاني

تراث سورية خلال العصور الحجرية

العصور الحجرية

مخلفات قبل التاريخ

ظهور القرى وبداية الزراعة

وسائل الحياة والحماية

التقدم المدني

الفصل الثاني

تراث سورية خلال العصور الحجرية

العصور الحجرية

يبدأ العصر الحجري القديم (الباليوليت) في سورية منذ مليون عام وينتهي في الألف الثاني عشر ق.م.

وينقسم إلى ثلاثة أقسام ويمتد العصر الحجري الوسيط بعده إلى الألف الثامن ق.م. ويبدأ العصر الحجري الحديث قبل الفخار منذ ذلك التاريخ وحتى الألف السادس. ويمتد عصر الفخار حتى الألف الرابع.

نشطت التنقيبات الأثرية في مواقع ما قبل التاريخ وأصبحنا نعرف خصائص العصر الحجري القديم من مكتشفات نهر الكبير الشمالي والفرات والعاصي والليطاني، ونعرف خصائص العصر الحجري الوسيط من المريبط والشيخ حسن وأبي هريرة ويبرود، وأما آثار العصر الحجري الحديث فلقد عثر على آثاره في تل أسود وتل الرماد والغريفة وتل الخزامي قرب دمشق وبقرص والدوارة والكوم، ويعود تاريخ الاستيطان البشري في سورية إلى المرحلة الآشولية القديمة.

إن أقدم موقع للعصر الحجري القديم نراه في سرير نهر (الكبير الشمالي) وهو يعود إلى مليون عام، ثم نرى في حوض العاصي آثار هذا العصر ولكنها تعود إلى نصف مليون عام. وفي غربي (اللطامنة) [٧] شمالي حماه عثر على موقع لهذا العصر يعتبر من أهم المواقع ومن أندرها في العالم، عثر في سرير النهر على آثار معسكر بشري محفوظ ضمن طبقة من الرمل والطمي مؤلفة من أدوات حجرية (فؤوس، سواطير ومكاشط) وتبين أن الإنسان كان يستفيد من النار.

وثمة مغائر في (يبرود) كشفت عن آثار الإنسان القديم الذي عرف بالترحال، فلقد تعاقب على هذه المغائر مجموعات بشرية خلال خمسين ألف عام انتشرت في أنحاء سورية. (٨)

وقد استعمل الإنسان وسائط حجرية جديدة وجدت في الكوم (البادية) حيث الينابيع. ثم ظهر إنسان (النياندرتال) الذي أصبح أكثر حضارة، فهو نحات ماهر استفاد من العظام في صناعة بعض الأدوات، كما استفاد من قدح النار ومن ألوان التراب لتزيين أدواته وأجسامه، ومارس دفن الموتى في طقوس محددة. وفي هذا العصر عاش الإنسان العاقل قبل أربعين ألف عام وهو السلف المباشر للإنسان الحالي.

. كما عُثر على أدوات مماثلة في منطقة الفرات تعود إلى نصف مليون عام، وفي مواقع مختلفة أو في المغاور عثر على ألواح تعود إلى ربع مليون عام، كما في مغائر يبرود ومواقع حول دمشق مثل تل الرماد، وكانت هذه الأدوات الحجرية أكثر دقة في تشذيبها، وتبقى هذه الأدوات دليلاً على نوعية السلاح الذي كان الإنسان القديم يستعمله لحماية نفسه ضد الحيوان وضد الإنسان.

المخلفات السكنية قبل التاريخ

ترك هذا العصر مخلفات متنوعة وجدت في مواقع مكشوفة أو في المغاور مثل جرف العجلة والدواره في تدمر. ومثل موقع أم التلال في حوض الكوم. أما مغائر يبرود قرب دمشق والديدربة في وادي عفرين فلقد عثر فيها على بقايا هامة منها أقدم هيكل عظمى نياندرتالي.

وبعد انقطاع طويل ظهر العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) حيث خرج الإنسان من المغاور مشكلاً أشبه بالقرى، مبتكراً وسائل حياتية وسكنية أكثر رقياً نراها في مغارة (الكبارا) في فلسطين وانتقلت إلى (يبرود) وجيرود والكوم حيث ابتكر الإنسان أوائل أدواته المركبة من الحجر والعظم أو الخشب. ومن وادي (النطوف) في فلسطين أيضاً انتشرت حضارة نطوفية في سورية عثر عليها في (المريبط وأبي هريرة) على الفرات، حيث أقيمت بيوت واستعمل

الإنسـان عظام الحيوان و السمك والصـدف للإستعمال و للزينة وابتكر أسلحته الحجرية المصقولة وأدواته. (شكل١)

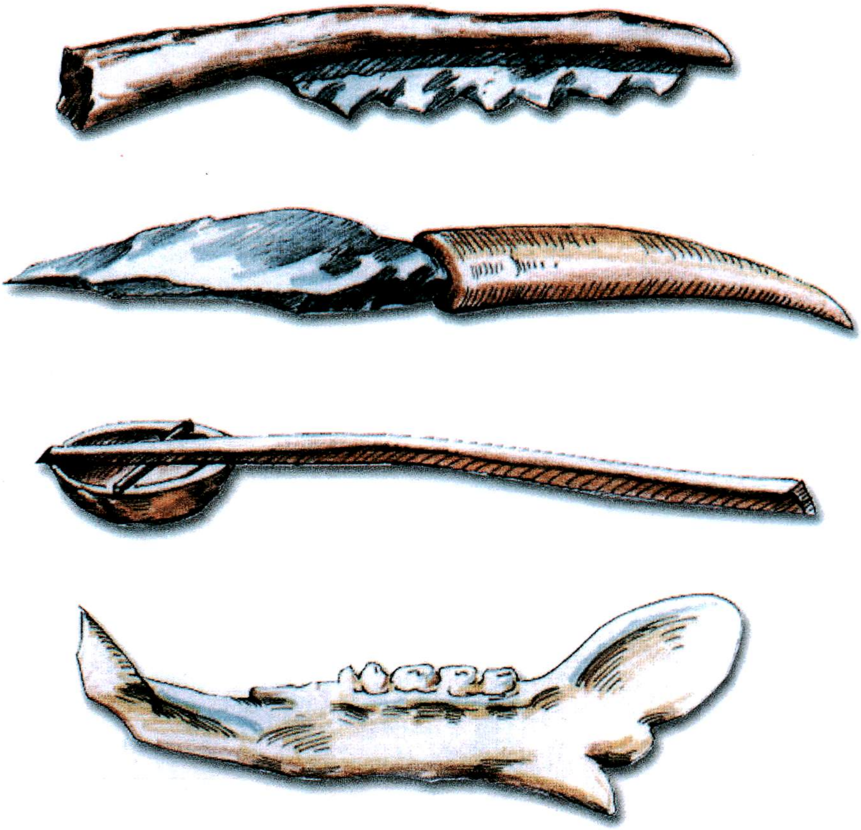

١ - أدوات العصر الحجري

في العصر الحجري الحديـث (النيوليت) أصبح الإنسان منتجاً لطعامه بعد أن كان جامعـاً، فلقـد زرع الحبوب وربـى الحيوانات، نرى ذلك **في (المريبط وأبـي هريـرة (٩) وبقرص في الشمال و في الرماد والغريفة حـول دمشق).** ومـن الألف السابع ق.م ابتدأ الإنسان بتأسيس المجتمع الرعوي الأول إلى جانب المجتمع الزراعي، فطور منازله.. ولم يلبث حتى ابتدأ باستعمال الطين المجفف

ثم المشــوي صانعاً منه الأواني والتماثيل(شــكل٣).. ولقد عثر على آثار منازل دائرية أو مستطيلة. (شكل٢)

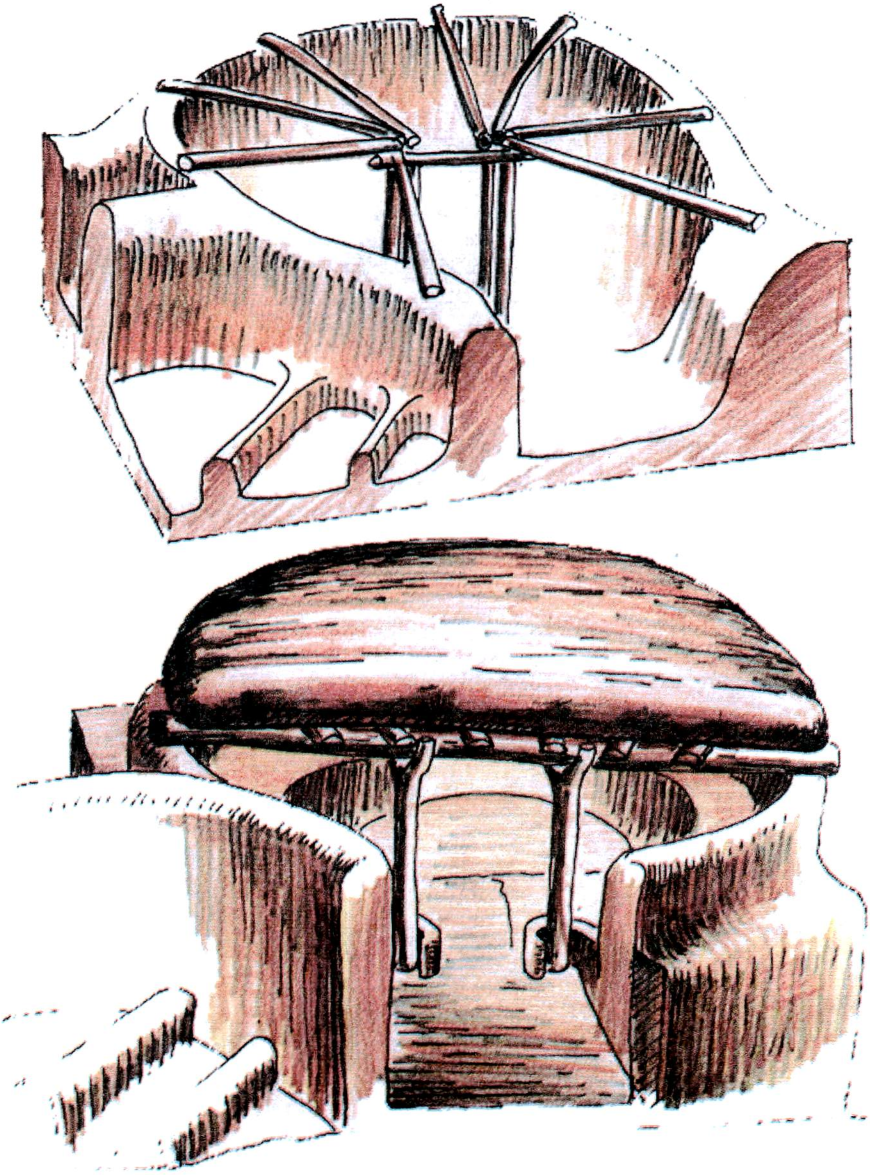

٢- -مخطط البيت القديم - المريبط

وتمتاز سورية بأسبقيتها العالمية باستعمال الفخار، ثم باستعمال المعدن وبخاصة في منطقة الهلال الخصيب، حيث ابتدأ بالتعرف على النحاس في بداية الألف الخامس ق.م.

ظهور القرى وبداية الزراعة

ثمة قرى نشأت في حوض الفرات بلغت مساحة بعضها ثلاثة هكتارات، وكان سبب تكوين القرية وظهور الأسرة هو الاستقرار في منطقة يتحقق فيها الماء والكلأ والأمن. ومما لاشك فيه أن القرى كانت تحاول تحصين ذاتها، إما طبيعياً بواسطة المياه والصخور، أو بواسطة حواجز حجرية أو طينية أو نباتية.

ولقد اعتمد سكان المريبط حوالي عام ٨٥٠٠ق.م على صيد الحيوانات والأسماك وجمع النباتات[١٠]، وتبين أنهم باشروا بذر البذور منذ عام ٧٧٠٠ق.م، وأقام الإنسان أبنية طينية دائرية ذات جدران مزخرفة غطيت بقباب من الأغصان والأعشاب والطين. ولكن البناء الحجري الذي أقيم في أريحا فلسطين كان أقدم بناء من الحجر المشذب مازالت آثاره حتى اليوم ويعود إلى الألف السابع ق.م.

و منذ بداية الألف التاسع ق.م شهدت سورية ظهور أوائل القرى الحضرية حيث عثر على آثار لزراعة القمح والشعير، وتربية المواشي، الماعز والغنم والبقر ولقد برزت في هذا العصر دلائل عقيدة الآلهة الأم والثور المقدس، وعقيدة عبادة الأجداد. وكانت الأم مقدسة بوصفها ربة الخصب مثل عشتار. (شكل٢)

تابعت المجتمعات البدائية تطورها الاقتصادي والاجتماعي خلال الألفين الثامن والسابع ق.م أي في بداية العصر الحجري الحديث وقبل اكتشاف الفخار. فلقد توسعت القرى وكانت أحياناً محصنة مثل تل حالولة وجعدة المغرة

علـى الفرات، وكانت المنـازل ذات مخطط مستطيل، وتطـورت الزراعة وتربية الحيوانـات وانتشـرت القرى الزراعيـة في موقع الكوم وفي بقرص ووصلت إلى الساحـل في رأس الشمرة.أوغاريت. وفي بداية الألف السادس ق.م تم استعمال الفخار ولعله استعمل في وقت سابق على ضفاف الفرات.(١١)

فـي بقرص على الفرات وفي تل الرماد، نـرى بداية عهود الزراعة في بداية الألف السادس ق.م، وكانت البيوت محاذية للطرقـات، متعددة الغرف، وكانت ثمـة جماجم لآباء السـكان توضع على قواعد أشبه بالتماثيـل الطينية في وسط البناء تكريماً وتعظيماً للأجداد.

ولقـد عُثر علـى تماثيل مختلفـة بعضها تمثل وجهـاً بشرياً مـن الطين ملون بالأحمـر وله عينـان، كما عُثر علـى أوان حجرية، وابتدأت صناعـة الفخار منذ ذلك الوقت مبكرةً عن عهدها في أوربا. ويجب أن نتذكر أن تل الرماد قرب بلدة قطنا ، كان موقعاً مؤسساً لتكون مدينة دمشق مع غيره من المواقع مثل تل أسود وتـل الصالحية، ولكن في هذا التل عاشـ الإنسان على زراعة الأشجار والحبوب لتوفر الماء وخصب الأرض.

وسائل الحياة والحماية

كان لابد للإنسان في ما قبل التاريخ من وسائل دفاعية، ونظراً لعدم اكتشاف المعـدن في ذلـك التاريخ، فلقد استعمـل الحجر على اختـلاف أنواعه لصناعة الفؤوسـ والحراب، ولقد عثر في تل المريبط على العديد منها، ولكن في بقرص أصبحت أكثر تشذيباً وصقلاً.

وفـي **تل الرماد** قـرب دمشق (١١) عثر علـى فأس ورأس سهـم ونصل منجل، وتظهـر في مقدمة رأس السهم مسننـات ناعمة على الجانبين كأسنان المنشار، وكذلك الأمر على نصل المنجل، ونرى على الوجه العلوي ما يسمى بلمعة المنجل التي تدل على مدى استعمال هذا المنجل سواء في الأعمال الدفاعية أو الزراعية.

والاكتشـاف الهـام في هذه المرحلة التـي تدخل في نطـاق العصر الحجري الحديث هو ظهـور الأسوار مثل أسوار «**تل حالولة**» على الفرات، وتل الصالحية

فـي دمشـق.[١٢] ويبقى إنشـاء الأسوار دليلاً علـى الاستقـلال السياسي وظهور النظام الإداري والعسكري لتحقيق المنعة والتحصين ضد العدوان الخارجي.

إن اللقى الصوانية التي تم اكتشافها في المواقع الأثرية التي تعود إلى ما قبل التاريخ تُبين طريقة التعامل مع الحياة لتحقيق الاستقرار والأمن، ولعل أكثر هذه اللقى هـي أدوات حربية بذاتهـا، كان الإنسان القديـم يستخدمها قبل اكتشاف المعـدن، من الحجـر الصوان القاسي، وكانت هـذه الأسلحة ضخمة غليظة في العصور الحجرية القديمة، ثم أصبحت دقيقة مشذبة في أواخر العصر الحجري الحديـث. ولقـد اكتشف في موقع «أم التلال» (بين تدمـر والفرات) على أدوات راقية الصنع ومثالها رأس نبلة من الصوان، ونصيلات مستقيمة أو ملتوية. ولقد عثر على أدوات تحمل بقايا القار الذي استخدم منذ ذلك الزمن لتثبيت الأدوات علـى المقابض أو الرماح. ولقد دلّـت التحاليل على أن هذا القار عولج بالحرارة بشكل منظم. وفي الجرف الأحمر على الفرات، عثر على أدوات صوانية عسكرية نقشـت عليها رسوم هندسية ورمـوز وحيوانات. وهذه الأدوات التي تعود إلى أحد عشـر ألف عام ق.م تأخـذ شكل القدوم والمكاشط والثواقـب والأنصال ورؤوس السهام التي عثر على أنماط منها في مواقع: الخيام وحلوان والمريبط. . . ولكن فـي «الجـرف الأحمر» كانت ثمة أدوات عسكرية مصنوعـة من العظم على شكل إبـر بعيون مشروطة، وأنصـاب بلطات مصنوعة من قرون الإبل، ولقد ثبتت هذه الأدوات مع مقابضها، هذه المقابض التي اكتشفت لأول مرة في هذه الموقع.

علـى أن موقع تل صبـي أبيض على البليخ قدم لنـا نموذجاً لمستقر محصّن يعـود إلى القرنين ١٢-١٣ق.م. وفي موقع الكـوم قدير شمالي تدمر تم اكتشاف موقع أثري يعود إلى الألف السابع ق.م وكان الإنسان قد سيطر بقوة على الزراعة وتدجين الحيوان، واستطاع أن يستقر ويبني بيوتاً فوق أكمة قرب نبع غزير، وقد بدت هذه المجموعة السكنية متناسقة بينها فسحات وأزقة، وكانت البيوت كبيرة أو صغيـرة ذات غـرف مخططهـا مضلـع وذات جدران خارجيـة متينة ومدعمة القواعـد، واعتنـي بتوزيع المجاري لتسريب المياه، مـع أركان لإشعال النار فيها

موقـد أو تنور، ولقد عثر في الموقع علـى أحجار كريمة مما يشير إلى أن السكان كانـوا يمارسون التجـارة. و كشف هذا التـل عن أسلوب حياة البـدو في العصر الحجري الحديث.[١٣]

وفي **تل حالولة** على الفرات تم اكتشاف نظام مماثل لتسريب المياه يعود إلى ٨٧٠٠ق.م واستمـر الاستطيـان مئتي عام ، ولكن هذا التل يمتـاز بتقدم صناعة الأدوات والأسلحـة مـن الصوان الأسـود (الأبسيدي والكوارتـز) ومثالها رؤوس سهـام وهيـاكل المناجل المركبة بظهـور محدبة وشفرات ومكاشـط. كما يمتاز هذا التل بالعثور على آثار سور.

وكمـا ذكرنا فإن من أهم المواقـع الأثرية في العصـر الوسيط والحديث **تل المريبط** الذي يقع على الضفة اليسرى للفرات مقابل مسكنه (**بالس**)، وهو موقع يعود إلـى ٨٣٠٠ق.م وهو العصر النطوفي أي عصر وادي النطوف في فلسطين، ومـن حسـن الحـظ أن عمليات التنقيـب السريـع التـي جـاءت قبيـل غمـر الحوض بميـاه سد الفـرات، قد وصلت إلى اكتشاف أقـدم منـزل مبني وهـو مسكن دائـري محـاط بسيـاج ارتفاعه ٧٠سم من ألواح الطين المجفف المدعـم بأعمدة الحور الفراتي، وقد غطيـت بطبقـة طينية دفن تحتهـا جثث أحـد الأجداد، وفي وسـط المنـزل موقـد، واكتشف حولـه أدوات صوانيـة كالمنجـل والمكشـط والمنكاش والمخرز والمثقب والمسنَ. (شكل٣)

٣- ربة الخصب- المريبط

وكان ثمة منازل شتوية وأخرى صيفية، ومن ميزات هذه البيوت صغر حجمها، وكان بلاطهـا ملوناً أحياناً كما كانت جدرانهـا مزينة ببعض الأشكال الهندسية، أما السقوف فكانت مغطاة بطين مدكوك مع الأعشاب، مما نراه في بيوت القرى الشمالية اليوم.

وفـي أبـي هريرة التي تبعد عـن المريبط ٤٠ كم نرى آثـار العصر الحجري الحديـث واضحة وتعـود إلى الألف السابعـة قبل الميلاد، وفيهـا عثر على تكون سكنـي مضلـع وفيه مصاطـب للجلوس والأرضـ مفروشة ببلاط أسـود، وكانت النوافـذ صغيرة وعالية لتحقيق الأمن، ولم يكشف لهذا المجتمع السكني سور أو أي تحصين رغم امتداده على مساحة ١١,٥ هكتاراً وكان عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة ولعله أصبـح ٢٠٠ بسبب الكوارث الطبيعية والأمراضـ أو الصراعات والحروب التـي كانت بين المواقع المختلفة، تزاحمت على الأرض الطيبة والمياه والأرزاق، وكان النـاسـ يعيشون على الصيد الذي يقوم على نصب الشراك الجماعية حيث يسـاق القطيع نحو الحظيرة، كمـا يحصل حتى عهد قريب في بادية الشام حيث تقام حفر تساق إليها الغزلان.

التقدم المدني

منذ الألف السابعة وحتى الخامسة قبل الميلاد تم صعود سومري من عصر عبيد، وعبر النهر إلى مواقع على الفرات من أهمها «حبوبة كبيرة وماري» وفي تـل مشنقـة تم العثور على نمـاذج للزوارق التي تعود إلى عهـد عبيد ٥٠٠٠ق.م، مازالـت تستعمـل أشباهها حتى اليوم مؤلفـة من رزمة من القصـب المتراص، وفـي هذا الموقع عثر على سور حماية، لعلـه كان دائري الشكل مرتبطاً بمنشآت محصنة أخرى.

وفـي موقع «تـل حلف» في الجزيـرة العليا كانت حضارة نتعـرف عليها من خـلال الأواني الحلقية الملونة، ومـن خلال مساكنهم. وأعقب هذه الحضارة فـي الألف الرابع الحضارة العبيديـة التي شكلت انعطافاً في العمارة والفخار بأشكال وألـوان متعـددة. ومن العـراق أيضاً جاءت حضارة «الـوركاء» فظهرت

مستوطنات ومنشآت نراها في «تل براك» وفي «حبوبة كبيرة» المسوّرة.. [١٤] وكان هذا العصر مقدمة لعصر نشأة المدن الأولى في سورية وأهمها «إيبلا وماري».

وفي العصر النحاسي (الكالكوليت) ظهرت أوائل المباني العامة كالمعابد واستخدم فيها عدا اللبن، الحجر وتحسنت الزراعة ووسائل الري وظهرت التجمعات العشائرية. وفي «تل قناص» تم اكتشاف ثلاثة معابد هامة.

الفصل الثالث

المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات

تل براك

تل حبوبة كبيرة

بلاد عمورو

مملكة صارغون

محاولة توحيد المنطقة

السومريون

القبائل العربية

الفصل الثالث

المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات

تل براك

قبل أن نتحدث عن إيبلا وماري، لابد أن نعرض للحديث عن «تل براك» الذي يقع غربي نهر «جغجغ» أحد روافد نهر الخابور وعلى بعد ٤٢ كم من مدينة الحسكة. وكما ذكرنا فإن على هذا التل كان مقر «نارام سين» وكان قوي التحصين منيعاً.(١٥)

ولقد شهد هذا التل أحداثاً عسكرية هامة، امتدت خلال حقبة طويلة من الزمن أي من الألف السادس إلى الألف الثاني ق.م، وفي هذا التل عُثر على بناء مدرج ومعبد وفيه عُثر على محتويات هامة، ففي المعبد عُثر على تماثيل حيوانات وأقنعة بشرية وعيون أصنام حتى سمي بمعبد العيون. كما عُثر على مئات من التماثيل وآلاف من الكسر الحجرية والرخامية تمثل أشخاصاً لم يعرض منها إلا الكتفان والرقبة والعينان البارزتان جداً، مما يدل على سحر الإصابة بالعين، فهي إذن تمائم لتحمي من الشر والعدو. ولعلها تعاويذ قدمها السكان إلى المعبد تعبيراً عن تفانيهم لصد العدوان المحتمل الذي يهدد المدينة. وثمة تمائم عُثر عليها في المعبد في شرفة العيون، تمثل حيوانات كالضفدع والقنفد والدب والأسد. (شكل٤)

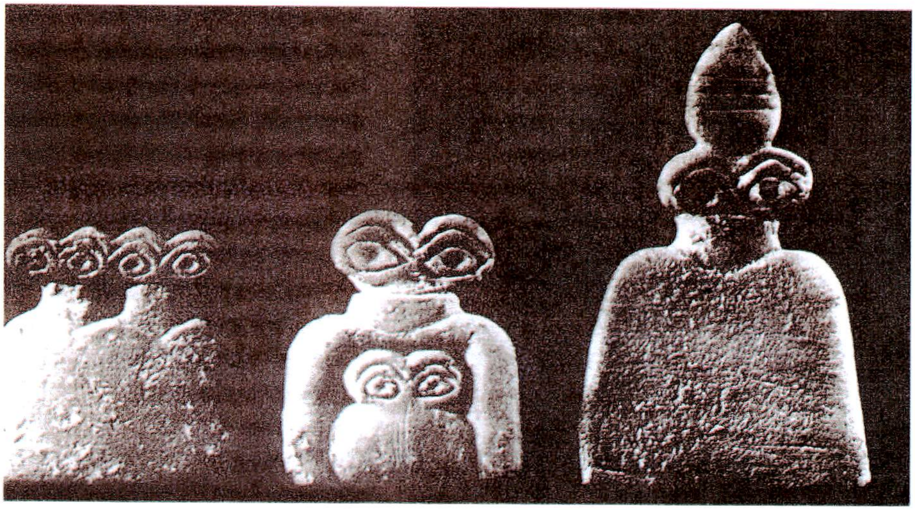

٤- تل براك- أصنام العيون

تل حبوبة كبيرة

ليس بعيداً عن هذا التل اكتشف «تل حبوبه كبيرة» على الضفة اليمنى للفرات الأوسط والذي يعود إلى ٣٥٠٠-٣٣٠٠ق.م مع موقعين آخرين هما «قناص» و«جبل عرودة»، وهذه المواقع تعتبر من أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى.

لقد بدا مخطط «حبوبة» واضحاً تماماً بعد عمليات التنقيب التي تمت منذ عام ١٩٦٩. فعلى ضفة الفرات وخلف أسوار منيعة ظهرت المدينة بمخططها المنتظم وأبنيتها الآجرية مقسمة إلى أحياء سكنية، وأحياء مشاغل ومنطقة إدارية فيها أثر للقصر والمعبد وإلى الجنوب امتدت بساتين مروية.[١٥]

بلغ عرض سور «حبوبه» ثلاثة أمتار مدعم بالأبراج التي تنتهي بمحارس في أعلاها، وعلى السور أفاريز أو نتوءات أمامية وخلفية على مسافات متساوية تذكرنا بأسوار قلعة حلب، وأمام السور الأصلي يقوم سور آخر أضعف وأقل عرضاً. وكان للسور بوابتان. ولم يبق من هذا السور الحصين إلا المداميك السفلى، أما في الجنوب فلقد زالت آثاره، بسبب العوامل الجوية والأمطار، ولعل السور كان ممتداً حول مساحة ١٨هكتاراً. (شكل٥)

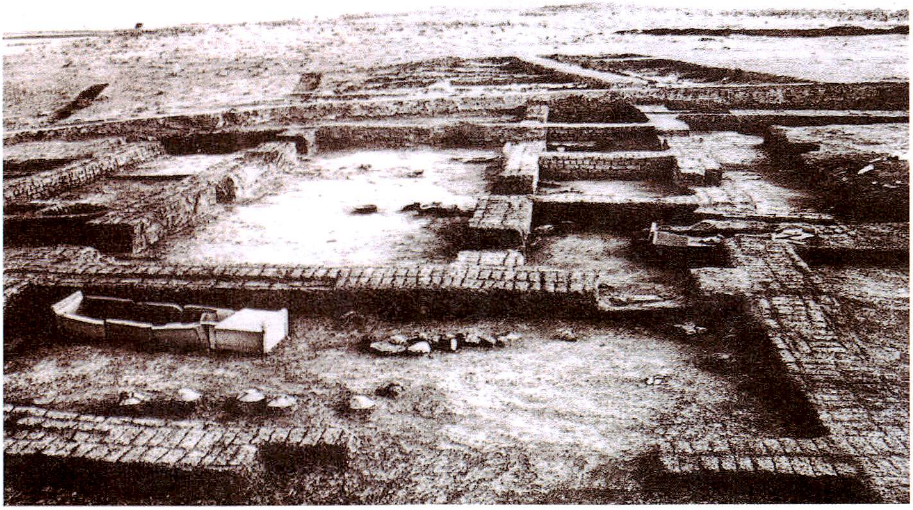

٥- تل حبوبة كبيرة – عمران المدينة

لقد عاشت «حبوبه» ما يقرب ١٥٠ عاماً، ويدل السور على وجود تهديد خارجي أدى إلى هجرة السكان. ولقد مضت قرون عديدة حتى عاد الإنسان لاستيطان هذا التل.

عثر في تل «حبوبة» على كثير من اللقى، منها أختام لربطات أكياس مختومة على الطين تمثل أسوداً وطيوراً وثعابين وعقارب لطرد الشر والأذى والعدوان، وعليها أرقام رمزية لأول مرة في التاريخ. لقد كانت هذه الأختام الطينية تمسك رباط الأكياس التي تحمل البضائع والرسائل، فلا تفتح دون كسر هذه الأختام.

و عثر على بعض التمائم التي تمثل حيوانات رمزية تستخدم كتعاويذ وتصنع من الأحجار الكريمة. وكان معناها الرمزي يرمي إلى الحماية من الأخطار والعدوانات.ولمثل هذا الهدف كانت تقدم القرابين إلى الآلهة تقرباً وسعياً وراء حمايتها، وقد عثر على أباريق على أشكال مختلفة منها شكل قنفذ وقد صمم بشكل يحاكي أشكال الفن الحديث.

بلاد عمورو

بدأ التاريخ في سورية مع عصر السلالات الأولى، حيث تم اكتشاف كتابات يمكن الاعتماد عليها في تأريخ المنطقة. فلقد توسعت القرى القديمة لكي تشكل

ممالـك لها تقاليدها وعاداتهـا وعبادتها ونظامها الاجتماعـي والسياسي. ولقد كشفـت وثائق إيبـلا ١٩٧٤-١٩٧٥ وهي رقم طينية، عن العلاقـات الدولية وعن النظـام السياسي والاقتصادي. ومن خلالها تم الاطلاع على التوسع الذي ادعاه الملك (لوغال زاغيري) من مدينة «أوما» من أنه سيطر على المنطقة من البحر السفلي (الخليج) والبحر العلوي (المتوسط)،إي بلاد عمورو.

إن هذه التسمية تعني سكان الغرب ولقد أطلقها الأكاديون منذ عهد صارغون علـى إخوانهم ممن نزحوا باتجاه الغرب، وفـي اللغة السومرية أطلق عليهم اسم «مارتو» التي تحمل نفس المعنى.[١٦]

ولقـد عرفـت هذه المنطقـة باسم بـلاد عمورو وأطلـق على البحـر الأبيض المتوسـط اسم «بحر عمورو العظيم» كما عرف إله العموريين اسم «عمورو» وهو إله الصيد والحرب وزوجته عاشرة، ربة المسرات والنشاط وتشبه عشتار.

وتمتـد حدود بلاد عمـورو لتشمل سوريـة ولبنـان والأردن وفلسطين. بل لقد امتدت إلـى بلاد الرافدين بين عامـي (٢١٠٠-١٨٠٠ق.م). ففي الجنوب كانت سلالـة ايسـن في «لارسا»، ثم قضـت على هذه السلالة سلالة بابـل الأولى التي تزعمها حمورابي وهي سلالة عمورية أيضاً. وفي الشمال فإن سلالة شمشي أدد ١٨١٣ق.م التي أسست بلاد أشور كانت ذات أصل عموري أيضاً.

ولقـد وصلـت سورية إلـى عهد ازدهارها في زمن السـلالات العمورية التي تعرضـت لحـروب مختلفـة، بعضها مع ملـوك الحواضر المجـاورة التي تتفق معها باللغة والعقيدة، وبعضها مع الغزاة من الميتانيين والكاشيين والحثيين الغربـاء عـن السـكان باللغة والعقيـدة والحضـارة. والحق أن سوريـة في هذه الحقبة ورغم ازدهارها وبسببه كانت حلبة الصراع والحروب، وكانت أكثر هذه المواقع محصنة بأسوار الحماية من العدوانات المتكررة.

وفـي «تـل البيعة» «توتـول» حصن بلغـت سماكته ٨,٣ متـر ولبوابـة البرج أو الحصـن المنيـع ممر بطـول ٢٠ متراً. وفي «تل بيدر» علـى العويج - الخابور، تحصينـات دائرية تعود إلى الألف الثالث، وكان السور يحيط بالموقع برمته، وهناك مجموعة من الأبواب.

وفي «تل العشارة» « ترقا» وهي مدينة هامة على الفرات في الألف الثالث ظهرت آثار أسوار ضخمة وآثار هامة حققتها البعثة الأمريكية التي تولاها جيورجو بوتشيللاتي وزوجته مارلين ،.واستمر بناء التحصينات في حوض الفرات، وفي تل بازي عثر على شبه جزيرة محاطة بسور يعود إلى القرن ١٤-١٢ق.م، وليس بعيداً عن هذا الموقع مواقع مسورة أخرى مثل «إيمار» و«فاقوص» و«القيطار»، وكانت قلاعاً محصنة ضد غزوات الميتانيين والحثيين، وفي هذا الموقع عثر على أدوات حربية برونزية هي خنجر بقبضة يد برونزية بطول ٣٠سم.

ويجب أن يكون واضحاً أن المدن الأولى التي ظهرت في هذه المنطقة، لم تستطع تحقيق وحدة سياسية، بسبب ضعف وسائل الاتصال، ولكن ثمة وحدة حضارية تتمثل باللغة والعقيدة والفن، كانت الصفة العامة في توضيح هوية سكان المنطقة التي تمتد من الفرات إلى البحر.

أما صارغون ملك أكاد ٢٣٥٠ق.م فإن أعقابه ينتمون إلى الهوية العمورية ودليل ذلك اسم أحدهم«نارام سين» الشهير. ولعل ماري «تل الحريري» التي تقع على الفرات في سورية كانت عاصمة الإمبراطورية العمورية. وتتابع التنقيبات في التلال الأثرية السورية أعمالها للكشف عن أبعادها. وليست إيبلا «تل مرديخ» إلا حاضرة عمورية لا تقل أهمية عن ماري، بل لعلها كانت أوسع نفوذاً نظراً لموقعها المتوسط من بلاد عمورو.

أما يمحاض «حلب» وترقا «العشارة» وألالاخ «تل عطشانة» وعمريت وقطنه «المشرفة» وتل خويرة، فإنها مواقع هامة حافلة بالآثار المكتشفة أو هي في طريق الاكتشاف، وهي تؤكد اتساع الإمبراطورية العمورية، هذه الإمبراطورية التي استمرت حتى منتصف الألف الثاني ق.م، حيث ظهر النفوذ المصري واشتد التنازع بين المصريين وبين البابليين والآشوريين والحثيين. ولقد تم التعرف على ملوك ماري وإيبلا من خلال آلاف الرقم التي أوضحت أبعاد هذه الإمبراطورية ووضحت علاقة المدن ببعضها. وتحدثت عن الحروب التي تمت

مع الأقوام أو المدن الأخرى.. وكان الهكسوس من العموريين الذين هاجروا إلى مصر واستمر حكمهم لها من عام ١٧٨٥ق.م-١٥٨٠ق.م

مملكة صارغون

تذكر الحوليات أن «صارغون» ولد من أب أكادي وكانت أمه ابنة الآلهة، ولدته وأنكرته فوضعته في سلة من القصب وتركته في نهر الفرات فعثر عليه الساقي «أكي»، فرباه حتى إذا شب وقعت الآلهة عشتار بحبه فرفعت من مركزه وسلطان صارغون. (أوشاروم كين) ويعني اسمه الملك الشرعي (شكل٦)

لقد كان صارغون ونارام سين حفيده من الأسماء اللامعة التي عملت على توسيع نطاق الوحدة السياسية ولو بالقوة ولقد تمكنت سلالتهم من الحكم ١٨٠ سنة.

قام «صارغون» بتنظيم الجيش وبتجديده وتحديث عتاده، وجعل على كل منطقة خاضعة لنفوذه حاكماً يسمى «عبد الملك» وجعل عاصمته مدينة «أكاد» وامتد سلطانه إلى جميع بلاد الشام حتى البحر. وفي «نينوى» تم اكتشاف رأس برونزي محفوظ في متحف بغداد، يمثل هذا الزعيم العربي الأول الذي عاش في النصف الثاني من الألف الثالث وحكم ما يقرب من نصف قرن، وقد بدا وجهه حازماً وعلى فمه ابتسامة هادئة رقيقة وربط شعره بعصابة وبدت لحيته منظمة، بشكل خصلات تعبر عن العظمة والقوة، وعلى رأسه خوذة معدنية دلالة على صفته الحربية. (شكل٦) ولقد سجلت بعض انتصارات هذا الملك على لوحة من حجر الديوريت موجودة في متحف اللوفر.

ونرى لوحة أخرى تمثل معركة قادها ابنه «ريموش» الذي حكم تسع سنوات، ثم جاء بعده أخوه «مانشتوسو» الذي حكم خمسة عشر عاماً، وترك لنا مسلة حجرية نقشت عليها أعماله الحربية. ثم جاء «نارام سين» الشهير حفيد «صارغون» والذي حكم ما يقرب من أربعين سنة واشتهر كمحارب وبناء.

ولقد تمكنت أسرة «صارغون» من الحكم مدة مئة وثمانين عاماً وكانت قوتهم العسكرية الداعمة لإمبراطوريتهم الواسعة، والصامدة أمام العدوان، السبيل لتحقيق وحدة واسعة سياسياً وحضارياً.

وبعد «نارام سين» كان ثمة ملوك ضعاف مما أدى إلى تفكك هذه الإمبراطورية وإعادة ظهور مدن سومرية مثل «لاغاش» التي رأسها «غوديا» و«أور» التي حكمها «أورنامو». وفي متحف اللوفر مجموعة من التماثيل التي تمثل «غوديا» ملك «لاغاش» تمثيلاً حقيقياً، وهو من العشرين إلى الأربعين من عمره، قصير القامة له رقبة قصيرة ويرتدي رداءً حتى قدمه وعلى رأسه قلنسوة أشبه باللفة العراقية الحالية.

كونت أسرة «صارغون» إمبراطورية واسعة كانت تضم معظم أقطار الهلال الخصيب وبعض مقاطعات آسية الصغرى ووصلت إلى البحر، بل إن «صارغون» غزا جزيرة كريت وبعض جزر البحرين «دلمون». وكان «نارام سين» من أبرز أعضاء هذه الأسرة، وفي موقع «تل براك» بمنطقة الخابور كان مقره ومن ثم انطلق بجيوشه في معارك النصر. ولقد خلد بعض انتصاراته في لوحة محفوظة في اللوفر وتمثل انتصاره في «سيبار» مدينة الإله «شماش». وهذه اللوحة الشهيرة هي من الحجر الوردي وفيها ما يزيد عن عشرين محارباً في جيشين، وفي أحد المشهدين تسعة جنود يقابلون تسعة جنود من الأعداء وبينهم «نارام سين» واقفاً في منطقة ذات مرتفعات تغطيها الغابات. ويُرى المحاربون الأكاديون على صفين من المشاة يلاحقون أعداء هم الفارين أمامهم، ويطأ «نارام سين» تحت قدمه جثتين ويحمل قوساً حربياً بيده اليسرى، بينما سقط عدو آخر من حافة الجبل، فيبدو مسجى وبيده القوس الحربي، وكان «نارام سين» يحمي رأسه بخوذة تشبه ما تتحلى به الآلهة لوجود قرنين ظاهرين في طرفيها. وخلف هذا المشهد يسطع في السماء نجمان يشيران إلى الآلهة التي ساعدته في انتصاره.

محاولة توحيد المنطقة

لعل أقدم بيئة حضارية عربية، هي البيئة الأكادية، وأكاد مدينة لا يعرف موقعها تماماً بين الرافدين، ولكن هويتها التي تتجلى من خلال اللغة والعقيدة وعلاقتها بالحواضر الممتدة نحو الغرب حتى البحر، تجعلنا نبدأ الحديث عنها وعن الأحداث القديمة، وهي حركات توحيدية أو تضامنية مع شعوب الحواضر الأخرى، تمت غالباً بالقوة العسكرية المنظمة.

كان هدف حروب «صارغون» وأولاده وحفيده «نارام سين»، توحيد البلاد وإبراز شخصية تلك الشعوب المتقاربة في جنسها وطبائعها وأهدافها..

لقد سمح نهر الفرات بظهور حياة التمدن والمدن والحواضر التي يجري اكتشافها اليوم والتي كانت تتبادل العلاقات التجارية، تربطها ببعضها وشائج اللغة الموحدة. ولكن حركات الوحدة السياسية والاقتصادية التي كانت تتم بالقوة والقهر أو بالحوار والمعاهدات، كانت تجعل هذه الحواضر بحالة التأهب والتحصين والاستعداد العسكري، وإذا كانت «ماري» هي من أهم هذه الحواضر على الفرات، فإن «تل حلف» و«إيبلا» في الداخل و«أوغاريت» على الساحل، مع امتدادات هذه المواقع على مساحات واسعة، شكلت حدود سورية القديمة التي لم تكن ثابتة، بل وصلت إلى الجزيرة والأناضول والساحل المتوسط حتى سيناء.

السومريون

كان السومريون سكان جنوب الرافدين قد حكموا بقوة الحديد والنار، وكان «لوكال زاجيري» ملك «أوروك» ويمتد ملكه (من البحر الأسفل أي الخليج إلى الأعلى أي المتوسط). ولم نستطع تحديد هوية السومريين لاختلاف لغتهم عن أصل العربية، لكن الملك «صارغون الأكادي» الذي يعتبر أول زعيم لأمة تتكلم أصل اللغة العربية، أنهى حكم «زاجيري»، وكان لدوره أثر كبير في بناء قصة

تاريخ الشـرق القديم. وفي كتابه (حقيقة السومريين) ينفي نائل حنون الوجود السومري [١٧]

وليسـ بين أيدينا وثائق عن ظروف حملـة «صـارغون» ، ولكننا نعرف نتائجها ومـن أولهـا إنشاء مدينـة أكاد، وأصبـح «صـارغـون» سيداً على «جهـات العالم الأربع»وهـي «عمورو» وتعنـي الغرب و«سوبارتو» في الشمـال و«سومر» و«أكاد» في الجنوب و«عيلام» في الشرق.

ومـن سومر الواقعة جنوب العراق كانت لاغاش « تللو»هي العاصمة. وفيها تم اكتشـاف نصب حجري أطلق عليه اسم «مسلة العقبان «، وعليها نقش مسماري يتضمـن ذكر معاهـدة بين الملـك «ايناتوم» وملـك أوما. أما المشهـد التمثيلي فيتضمـن جنـود الأعـداء المهزومين تنهشهم سبـاع الجو وتفقـأ عينوهم. وفي الوجه الخلفي يبدو الملك بخوذته الجلدية ومئزره الصوفي (كوناكس) يسير في مقدمة جنوده المشاة الذين تسلحوا بالتروس الثقيلة وبالرماح الطويلة. يسيرون فوق جثث أعدائهم، وفي المشهد الأسفل يرى الملك يقود عربته الحربية الثقيلة ذات العجلات الأربع مسلحاً برمح طويل وجعبة نبال.[١٢]

مـرت بالأكاديين أحداث انتقاميـة من السومريين، ولقـد استطاعت شعوب تنتمي أيضاً إلى الأرومة الأكادية العربية أن تسترد الحكم في المناطق التي ساد فيها السومريون، فكانت «لارسا» في الرافدين وماري على الفرات مركز حضارة جديدة، كما كانت إيبلا في وسط سوريا مركزاً حضارياً صرفاً ظهرت فيه سمات الهوية العربية من خلال اللغة والعقيدة والفنون.

القبائل العربية

إذا كان سكان المنطقة الشمالية قد توطنوا واندمجوا في حضارة ذلك العهد، فإن الأعراب في البادية كان أكثرهم على بداوته في الجنوب. وفي أخبار «شاروكين» أو «صرغون الثاني الآشوري»، ذكر لاسم قبائل «شمو» و«عبابيدي» و«مرسيمانو» و«الخيافة»، وهم العرب البعيدون القاطنون في البادية، لا يعرفون حاكماً أو نظاماً ولم يؤدوا الجزية إلى أي ملك. علماً أن القبائل العربية في البادية كانت على اتصال بالممالك المتحضرة، بل إن قبيلة عربية برئاسة الشيخ جندب العربي كانت قد تعاونت مع ملك دمشقا في موقعة «قرقر» عندما هاجم دمشق «شلمناصر الثالث» ملك «آشور».

وتذكر «شترومنغر» (أن العرب لم يكونوا مجرد رعاة غنم وإبل، بل كانوا تجاراً أوصلتهم تجارتهم بقوافلهم إلى مناطق مستقرة. وقد شاركوا في المعارك، إذ كانت بادية الشام مسرحاً لصراعات كبيرة بين الرافديين والآراميين والكنعانيين.... أصل العرب، لأن كلمة عرب كلمة قديمة تعني شعوب هذه المنطقة الذين كانوا أعراباً في البادية وعرباً في الحضر.) (شكل٧)

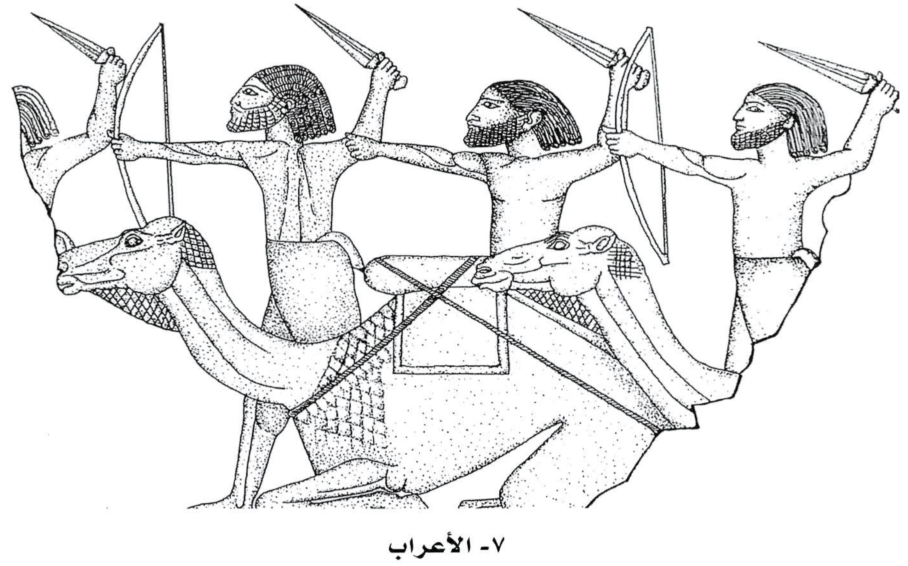

٧- الأعراب

على أن مبرر استعمال صفة العرب هو اللغة، فلقد تأكد علماء اللغة أن اللغة العربية الحالية قديمة جداً وترجع إلى بداية التاريخ، ولكنها كانت على شكل لهجات، الأكادية والإيبلائية والآرامية والكنعانية ثم النبطية فالعربية. ونظرة متفحصة للمعجم المقارن بين هذه اللهجات، تتوضح الأواصر اللغوية وأساس اللغة العربية. بل أساس الأمة العربية وقصة التاريخ العربي منذ بداية التاريخ.

وهكذا فإن حضارات هذه المنطقة كانت عربية وليست سامية، فهي عربية بحسب اللفظ القديم الذي يعني سكان الحواضر مما يميزهم عن سكان البوادي الأعراب كما في القرآن الكريم، أما النعت السامي فهو توراتي يخالف الواقع والتاريخ. ولقد أوضح المؤرخون خطأ تصنيف الأمم التوراتي الذي أصبح مهملاً.

الفصل الرابع

البحث عن العهد القديم في سورية

التوراة والتاريخ

علم الآثار التوراتي

نقد التاريخ التوراتي

الفصل الرابع

البحث عن العهد القديم في سورية

التوراة والتاريخ

لايستطع المؤرخون استخلاص تاريخ سورية من خلال العهد القديم ، فلقد عاصر مدونو التوراة فترة محددة من التاريخ تعود إلى عهد السبي، فكتبوا عن الأحداث والوقائع القريبة منهم والتي تعود إلى العهد الآشوري والتاريخ الكلداني. ثم نلاحظ انقطاعا

٨- التوراة

في تتابع الأحداث، لكي نقرأ شيئاً من تاريخ اليونان في الشرق في إصحاحي المكابيين كتبا في فترة المكابيين ١٦٧/٣٧ ق.م باللغة اليونانية أصلا. ولكن المؤرخين لا يستطيعون الاعتماد كليا على ما ورد في هذا التاريخ، فكثير من الأحداث الواردة فيه لا تطابق الواقع المكتشف. (شكل٨)

أمـا الأحداث الأخـرى فهي روائية مستمدة من مصـادر مختلفة، وقد حملت طابعـاً أسطوريا عندما كانت أصولها تعود إلـى أساطير قديمة، أو طابعا قدسيا عندمـا كانت تتحدث عن أشخاص ترفعهم أفعالهـم وحتى أخطاؤهم إلى مرتبة النبوة، فهم محميون لنسبهم الإسرائيلي المقدس.

وإذا تجاوزنا القسم الأول البنتاتيك إلى القسمين الآخرين النبييم والكتوبييم، فإننا نقرأ أخبارا لا أهمية تاريخية لها، بل هي عرض لأخبار شخصيات يهودية، أو هـي كتابـات شاعرية تحـوي كثيرا من الصـور الفاضحة أطلـق عليها العهد القديم.

الجغرافية التوراتية

يتضمـن التـوراة مجموعات واسعة مـن أسماء الأمم والملـوك والأشخاص ومجموعـات واسعة من أسمـاء الأمكنة. ولم تؤكد الكشـوف أياً من المجموعات الأولى التاريخية.

فلقد وجد القليل مـن مجموعات الأسماء الجغرافية، مرتسماً له على الأرض الفلسطينيـة، مما يعـود إلى العهـود الكنعانيـة والفلسطينية. وعندمـا استطاع الحشمونييـن إقامـة دولـة يهودية مستقـرة لقرنين من الزمـن (١٤٢ ق.م- ٦٣ م) اعتبـروا أنفسهـم ورثة بني إسرائيل، وعملوا على تثبيـت الأسماء الجغرافية الإسرائيليـة علـى أرض فلسطين. ثم جـاء يوسفوس المؤرخ اليهـودي في عام (٧٠م) لكـي يتحدث عن تاريخ اليهـود من خلال الواقـع الجغرافي الذي صوره الحشمونيـون، ومن خلال التـوراة. وسار المؤرخون من بعـده على طريقه، حتى المـؤرخ ابـن إسحاق فقـد كان أول من نقل عـن التوراة، ويقول ابـن النديم عنه «وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول». ولقد أخذ عنـه الطبري وابن الأثير في تحديد سلالات الأنبياء وتحديد الأقوام والأمم مما يتفق مع التوراة. وعندما نشط علم الآثار لتأكيد أخبار العهد القديم، لم يكن من مسلمـات يعتمد عليها إلا الجغرافية التوراتية التي أوجدها الحشمونيين ونشرها

يوسفوس. ثم قام الأثريون على أساسها بمحاولة تأكيد الأساطير التاريخية دونما نتيجة. حتى يأسوا من المسلمات الجغرافية ذاتها، ولكن دون أن يفكروا بالبحث عن أرض بديلة.

وفي كتاب كمال صليبي محاولة لنفي الجغرافية التوراتية. (١٨)

لأن التوراة أصبحت المصدر الافتراضي للتاريخ القديم الذي جرت أحداثه في منطقتنا العربية ، فإن علماء الآثار اتجهوا إلى هذه المنطقة باحثين عن آثار هذا التاريخ القديم. ولقد التقت جهودهم عن قصد أو غير قصد، بالأهداف الصهيونية التي تريد أن تؤكد طبيعة الأرض التاريخية، وأن تؤكد أحداث التوراة وتاريخهم ووجودهم على مسرح الأحداث الهامة، ودورهم الديني المتميز.

ولكن لا بد من القول إن أعمال التنقيب التي ابتدأت في فلسطين منذ عام ١٨٦٥ كانت خاطئة، ولم تستفد الصهيونية ولا التوراتيين من بعثة وارين /١٨٧٦/ أو تيري /١٨٩٠/ في الكشف عن آثار توراتية. بل إن البرايت الشهير لم يأت بأي كشف هام، على الرغم من أنه استفاد من تصنيف الفخار لتحديد الأزمنة التي ربطها عبثاً بالأزمنة التوراتية.(١٩)

لقد كان هدف جمعية صندوق استكشاف فلسطين التي كانت وراء هذه البعثات الأثرية ،البحث وفق منهج دقيق ووثيق في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية، وعادات سكانها وتقاليدهم وذلك من أجل هدف أساسي هو إيضاح التوراة. وكان من أبرز من قام بالتنقيب في فلسطين والأردن فيما بعد. غلوك الذي قال: «كلما كنت أذهب مستكشفاً كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها»(٢٠)

نقد التاريخ التوراتي

منذ العام ١٩٥٢ قامت العالمة السيدة كينون بحفرياتها في أريحا فنقضت أكثر ما جاء به البرايت، وبخاصة ما يتعلق بمزاعم تاريخية توراتية، وابتدأت أعمال التنقيب تسير باتجاه أكثر موضوعية.(٢١)

أمـا فيمـا يتعلق بجغرافية الأرضـ المقدسة فلقد أُعلن فـي ١٩٤٤ عن تأثير المسـح الأثري الذي أكد وجود ٢٨٦٢ موقعـاً أثرياً في فلسطين، ثم قام أهاروني بوضـع دراسـة عـن الجغرافيـة التاريخيـة يتضمن فصـلاً عن أسمـاء المواقع الفلسطينية القديمة مأخوذة مما ورد في التوراة أو الكتابات المصرية والسورية المكتشفة.[٢٢]

إن جميـع المحاولات الاستشكافية في بلاد الشام (فلسطين والأردن وسورية ولبنـان) لـم تقدم أي دليل قاطع على أن ما ورد فـي التوراة كان حادثاً تاريخياً، ولم تؤكد أن المواقع التي وردت فيها تتطابق في وضعها وعلاقتها ببعضها مع ما هو قائم في فلسطين.

لقـد كان همنـا فـي المديرية العامـة للآثار أن نجعـل العمل الأثـري طريقاً لتصحيح التاريخ القائم على الوهم، وجعل هذا العمل جهاداً لتحرير التاريخ من الأساطيـر والأوهام والمطامع المقدسة، وجعله علماً يقوم على المدونات والآثار والبحوث العلميـة المحضة ولبحث وفق منهج دقيق ووثيق،أثرية إذ عندها فقط نستطيع أن نمسح من الخلفية والخيال التوراتي، وأن نستبدل بذلك الحقيقة التي هي موئل الفكر الأوربي العلماني الحديث.

ولقـد تحول علماء الآثار، العاملون في بلادنا على الأقل، إلى المنطق واليقين العلمي وكانوا قد ابتدأوا سدنة للمنطق التوراتي، وهو أخطر تحول حققته السلطة الأثريـة عندما كانت تلتزم أهدافاً قومية صريحـة، وتفرض هيبتها العلمية على عمليات الحفر الأثري.[٢٣]

أثـر هـذا التحول كثيـراً في الفكـر الأثـري العالمـي، وانحسـرت السياسة الصهيونية المدسوسة في المراكـز الأثرية العالمية، وتعالت أصوات العلمانيين الأثرييـن مما يبشر بنهاية عهـد الهيمنة التوراتية على علم الآثار، وانفتاحه على الحقيقـة العلمية، وفي ذلك انتصار كبير لنا كعلمـاء وكأصحاب قضية، في فك العلاقـة العقائدية بيـن التاريخ والتوراة، وبين العلمـاء والكنيست، وبالتالي بين الحق وبين الجور.

الفصل الخامس

تراث الحواضر الأولى

ماري (تل الحريري)

إيبلا (تل مرديخ)

أقدم معاهدة دولية وإشهار السلام

توتول («تل البيعة»)

الحثيون في سورية

سيطرة الأشوريين

دمشق القديمة

أور سلام (القدس)

الفصل الخامس

تراث الحواضر الأولى

ماري (تل الحريري)

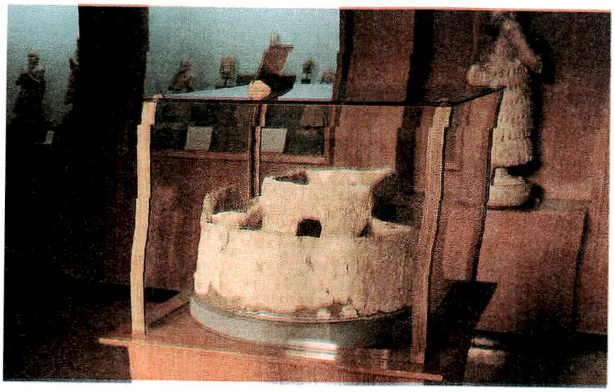

ماري: بيت طيني نموذجي ٢٨.٥سم متحف دمشق

ماري: رقيمان من الطين - كتابة مسمارية - لغة آكادية - متحف دمشق

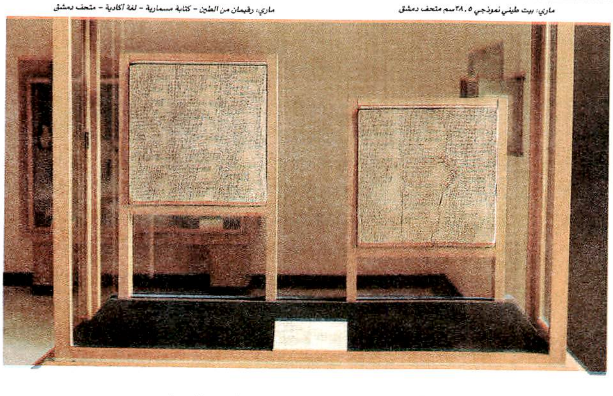

٩- رقيم ومنزل من مكتشفات ماري

أفضى الاكتشاف الذي تم مصادفة لتمثال في تل الحريري في الفرات الأوسط على مقربة من الحدود الحالية بين سورية والعراق الى حفريات مستمرة أشرف عليها أندره بارو. ثم أخذ يشرف عليها منذ عام ١٩٧٦ جاك مارغورون. وفي تل الحريري يجد المرء أمامه مدينة ماري الشرقية القديمة وأخبارها في أرشيف بابلي قديم اكتشف في قصر الملك زيمريليم. وقد تم الكشف عن هذا القصر بصورة تامة تقريباً. ولقد كان لضخامته وتجهيزاته

الحافلة من بينها رسوم جدارية شهرة واسعة في مصادر ذلك الزمان.[٢٤]

إن أول المنشآت في ماري على الفرات، تعود إلى ٢٩٠٠ق.م وكانت محاطة بسور قطره ١,٩كم ولم نعرف شيئاً عن مبانيها ولكن منذ ٢٣٥٠ق.م أعيد إنشاء المدينة وكان من أبرز منشآتها القصر الكبير وحرمه ومعابد: «عشتار» و«نيني زازا» و«عشتارات» و«شماش» وفيها عثر على عدد من التماثيل الهامة وعدد من الأختام الأسطوانية التي نقشت عليها رموز الحرب والسلام والعبادة والأساطير.

وكان قصر الملك الواسع جداً مقراً للسلطة التجارية والتي تتوضح من خلال الصور الجدارية في باحة القصر، وكانت لوحات جصية سميكة تمثل تقديم القرابين للآلهة شكراً على انتصار أو تحرر، أو تمثل العبادة. كان قصر زيميريليم في ماري أشبه بمتحف للتماثيل والرسوم الجدرانية التي تمثل جنوداً وصيادين، مع مناظر القربان والتضحية للآلهة ومشاهد تتويج ملك ماري، نقل بعضها إلى اللوفر.

لعل الرسم الجداري الذي اكتشف في قصر زيميريليم في مدينة ماري (شكل١٠) هو أقدم الرسوم التي تحمل طابع الجمالية الفنية السورية، هو رسم جداري على طلاء من الجص على طريقة (الفريسك) وهي رسوم متعددة الأشكال بقي بعضها سالماً، فيها جزء من موكب يتم فيه تقديم قربان، وجزء يمثل كاهناً

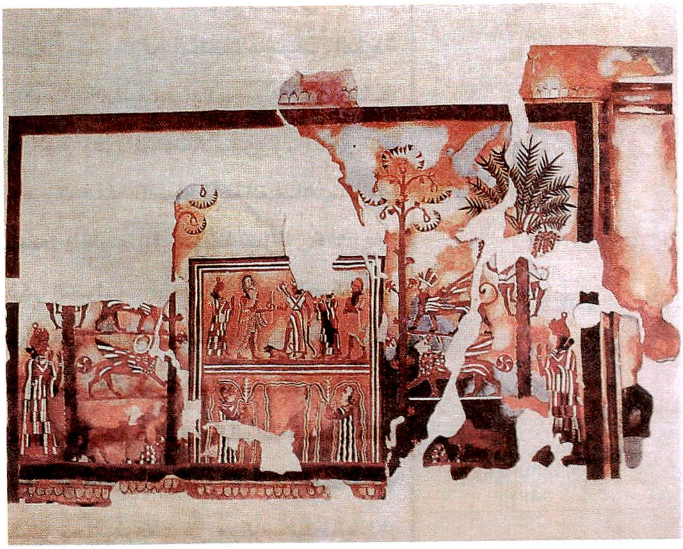

١٠- لوحة جدارية من قصر زيميريليم- ماري

يسوق ثوراً، ويلبس حطة ذات حزام قماشي مزيّن بسلاسل من اللفات الصغيرة ولعله كان يرتدي مئزراً يصل حتى الركبة، ويشدّ القبعة الطرية بعصابة مزدوجة، ويبدو على رأس الحيوان زينة مألوفة في رسوم أخرى. وفي معبد عشتار عثر على بقايا لوح جداري يمثل الأضاحي. (شكل١١)

١١- لوحة جدارية من معبد عشتار- ماري

من أبرز المكتشفات الفنية في ماري ، تمثال ربة الينبوع ويعود إلى نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ويمثل هذا التمثال امرأة على صورة آلهة تحمل إناء ينفر منه ماء يتسرب على سطح ثوبها على شكل أمواج تتخللها أسماك واضحة، تكسي هذه المرأة رأسها وفوق شعرها المنسّق بدقة وإبداع قبعة إلهية ذات قرنين معقوفين. (شكل١٢)

١٢ربة الينبوع- ماري

ومن التماثيل الكاملة تمثال من الحجر الجصي يمثل رجل في وضع التعبد والصلاة ويعود إلى العام ٢٦٥٠ م، وقد ضم يديه إلى صدره بحالة الخشوع، وكغيره من التماثيل يرتدي جلد الخاروف (كوناكس) كاشف القدمين الحافيين. (شكل١٣)

ويتتالى اكتشاف تماثيل كاملة منها تمثال رجل على كتفه نقش، يذكر اسم واهب التمثال إلى ملك ماري زيميريليم ويبدو بحجم أصغر من سابقه ويمثل كاهن المعبد الأكبر ويعود إلى العام ٢٤٦٠ ق.م.

من التماثيل النسائية المشهورة تمثال المغنية أورنانشي أو أورنينا والذي يعود إلى الفترة السابقة، وهو من أفضل أعمال النحت، ويمثل المغنية جالسة على كرسي عليه نقوش غائرة، وعلى رأسها قبعة (بولو) مغطاة بجلد الخاروف الذي يصل إلى الأرض ويتصل بجلد الخاروف الذي ترتديه المغنية. (شكل١٤)

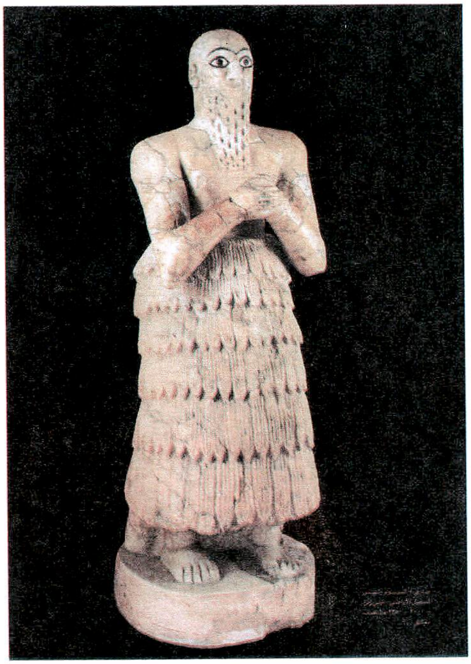

١٣- متعبد- ماري

١٤- أورنينا-ماري

ومن أجمل القطع الفنية المركبة المكتشفة في ماري، تمثال صغير يمثل نسراً برأس أسد وهي من مشتملات الكشف الذي عثر عليه في كنز أطلق عليه اسم (أور) لعلاقة موجوداته بمكتشفات أور جنوب العراق ، ولم تحدد طبيعة هذا الحيوان الأسطوري ولعله يرمز إلى الإله نين جرسو المقدس. وعلى قطعة مسطحة من اللازورد نرى خطوط الجسم الأساسية وريش الجناح على

نحـو مبسط ومزخـرف بنقوش شبيهة بحسك السمك، مـع رقوش بشكل معيّن، وغلـف الرأس والذيل بطبقة من الذهب الخالص فوق نواة من القار، وقد زينت أشعـار الشاربيـن والجبيـن والريش بأشـكال زخرفية، وغرس بحجـر العينين بالقار الأسود.

لقـد تم اكتشاف ما يقرب من ٢٥ ألف رقيم في مكتبة القصر في ماري، أبانت مدى ازدهار هذه الحاضرة ومدى توسع نفوذها، والحروب التي دخلتها مع جاراتها لتحقـق الوحدة بزعامتها، ولقد استفادت ماري مـن موقعها الهام بوصفها ملتقى طـرق المواصلات الكبيـرة التي تصل البحر المتوسـط والأناضول وغربي سورية مـن جهة، وسورية الوسطـى والجنوبية من جهة أخرى، وكانـت علاقتها التجارية تصـل إلى «حاصور» فـي فلسطين وإلى «كريت» وقبرص و«حاتوشا» في الأناضول وإلى «دلمـون (البحرين) على الخليج العربي. وكانت تستورد النحاس من قبرص والقصدير من شمالي إيران لصنع الأسلحة المتطورة.

وفـي الفترة ما بيـن ١٨٠٠-١٦٠٠ق.م نقـرأ عن الممالك التـي عايشت ماري سلمـاً أو حربـاً ومن هذه الممالك ، مملكة قطنه «المشرفة « الواقعة شمال شرقي حمص،وفي هذه الرقم نتعرف على حكام قطنه وعن أول ملك معروف هو «أشخي أدد». وفي محفوظات ماري نتعرف أيضاً على مملكة كركميش «جرابلس» وكان «ابلا خانـدا» أول ملـك فيها.كمـا نتعـرف علـى علاقـة ايبلا مع يمحاض «حلب» وكان عمورابـي مـن أبـرز ملـوك يمحاض. شـارك فـي الدفـاع عـن سوريـة مـن توسع ملك ماري زيميري ليم. (شكل١٥).

١٥- لوحة - معركة ماري مع يمحاض

إيبلا (تل مرديخ)

تقع إيبلا في محافظة إدلب، وكانت المدينة العاصمة الكبيرة لشمالي سورية ما بين ٢٤٠٠-٢٣٠٠ق.م ولقد سيطرت على طرق التجارة الواسعة باتجاه البحر غرباً والأناضول شمالاً وبلاد الرافدين شرقاً، ومنذ عام ١٩٧٤ تم اكتشاف وثائق القصر الملكي المؤلفة من آلاف الألواح الفخارية المنقوشة مسمارياً بلهجة إيبلا التي ترتبط باللهجة الأكادية الشرقية واللهجة الأوغاريتية الساحلية، وهذه اللهجات هي أصل اللغة العربية.[٢٥]

تتألف المدينة من القصر الكبير والقصر الجديد والقصر الشمالي وركن معبد عشتار. ولقد عثر في هذه المنشآت وفي بئرين أيضاً على كثير من اللقى الهامة من تماثيل وحلي وأباريق، ويحيط المدينة سور يشمل القلعة. (شكل١٦)

١٦- المدينة -ايبلا

لقد كان النظام السياسي في إيبلا قائماً على الأمن والتوسع للسيطرة على التجارة في المنطقة من خلال تحقيق وحدة سياسية. وكان الملك يقف على رأس هذا النظام، وكان للملكة والشيوخ نفوذ مساعد، وكان ولي العهد الابن البكر يقوم بمهام السفارة أو يقوم بحكم بعض المناطق النائية، أو يتولى الشؤون

الداخليـة وحفظ النظام. وتذكر وثائق إيبــلا أسماء ستة ملوك، وفي الفترة التي حكـم فيهـا آخرهم، كانـت مدينة ماري خاضعــة لإيبلا وتدفع لهـا الجزية التي وصلـت إلى ٢١٩٣ميناً من الفضــة و١٣٤ ميناً من الذهب، أي حوالي ١٠٥٢كغ من الفضــة و٥, ٦٤كغ من الذهب. ولقد تم اكتشاف رقيم يتضمن أقدم معاهدة بين ايبلا وجارتها. [٢٦]

ولكن إيبلا كانت في بدايــة عهد السلالات الملكية قد تحملت عمليات حربية توسعية من سلالة «صارغون» الأكادي الذي ادعى أن الإله «دجن» ومقره «توتول» (تل البيعة) بالقرب من الرقة قد منحه هذه الأرض من ماري إلى إيبلا.

ولعـل «صارغون» أو حفيده «نارام سين» كمــا ادعى هو الذي قضى على إيبلا حول ٢٣٠٠ق.م ثم نهضت إيبلا فيما بعد لتقوي علاقاتها مع جيرانها في الشرق. ويعــود بناء تاريخ القصر في أسفل المدينة شمــالاً إلى هذا الدور. ولقد اكتشف في عــام ١٩٩٤ بئران يحتويان على كمية من الطاسات والأباريق، وكذلك تماثيل ثعابين وثيران، وعلــى أساور وخرزات من معادن وأحجار ثمينة ومن مشخصات أنثويــة فخاريــة، وبقايا أضاحــي حيوانية كانت قد ألقيت فــي البئرين في أزمان مختلفة بين ١٩٠٠-١٧٥٠ق.م.

فــي لوح اكتشف في مدينة «أور» يذكر «نارام سين»: (في جميع العصور. منذ خلـق الإنسان، لم يقم ملك من الملوك بتدميــر أراضي أرمانوم (حلب) وإيبلا. وعندما فتح الإله «نرجال» الطريق أمام «نارام سين» الشجاع دفع بارمانوم وإيبلا إلــى يديه، ومنحه أيضاً جبال الأمانوس وجبل الأرز والبحر الأعلى (المتوسط). هكذا يقول نارام سين الشجاع ملك الجهات الأربع).

وفــي عام ١٩٩٠ تــم التنقيب في منطقة سور المدينة الــذي يعود إلى العصر الســوري القديــم. وكان الهدف تحديد أبعاد القلعة المقترحــة، ولقد تم الكشف عن ثلاثة أبنية ضخمة لها علاقة بمدخل المدينة. (شكل١٧)

١٧- القصر-ايبلا

لقـد سيطرت إيبلا على ماري ثانية خلال حكـم ملوك إيبلا «ايبيريوم» و«أبي سيبيش» و«دبوحوعدا»، وتم آنئـذ تنصيب «ثورا دامو» الإيبلائي ملكاً على ماري. وهكذا وصلت سيطرة إيبلا حتى كركميش (جرابلس)، مما دفع حفيد «صارغون» إلى احتلال إيبلا، وقد صرح أنه احتل مدينتين، «إيبلا» و«أرمانوم» (لعلها حلب)

التابعة لإيبلا التي لم يسبق لأحد غيره أن فتحها». على أن الدراسات الأخيرة تتجه إلى اعتبار نهاية إيبلا قد تمت أيام «صارعون» نفسه.

أوضحت قراءة وثائق إيبلا بجلاء التوازن في القوى بين دولة أكاد ودولة إيبلا، هاتان القوتان العظيمتان ذات الحضارة العريقة، في أكاد الرافدين وفي إيبلا السورية، التي نعرف مكانها وحجم حضارتها بينما لم نكتشف بعد مكان أكاد.

لقد توسع نفوذ إيبلا، وليس من السهل تحديد خارطة نفوذها، إذ أن بعض المدن يديرها أحد قادة إيبلا ويسمي نفسه ملكاً عليها كما يتم في ماري. وبعض المدن يحكمها ملك من أهلها ولكنها تربط بمعاهدة سياسية مع إيبلا كما تم في «أبارسال» وآشور وحماة، وبعض المدن تخضع لنفوذ إيبلا عن طريق دفع الجزية، مثل أكاد وكانيش.

أبانت الوثائق أن لغة إيبلا كانت واحدة من اللهجات التي يمكن وضعها تحت التسمية العربية، وإن كانت تكتب بالخط المسماري السومري مثل لهجة أكاد، وإن لهجة إيبلا تقف في منتصف الفارق بين لهجتي أكاد وكنعان على الساحل السوري. كما أن عقائدها وآلهتها تتوسط مفهوم الإله «أنليل وأنكي» في أكاد مع إله أيل في كنعان. وتبدو هذه العقائد متقاربة تتجه نحو التوحيد. فلقد حفلت أسماء شخصيات إيبلا بإضافة اسم «أيل» في آخرها، مما يدل على سعي للتقرب من هذا الإله وتلمس حمايته، ومع ذلك فإن بعض الآلهة كانت مشتركة في المنطقة كلها، مثل الإله دجن.

في هذا العصر، ظهرت مدن كبرى تشكل مع ضواحيها ممالك. وهكذا فإن ماري - على الفرات كانت حاضرة مستقلة واسعة سجلت بعض أسماء حكامها في قائمة ملوك سومر، وحسب وثائق إيبلا يتضح لنا المركز القوي الذي كانت تتمتع به ماري. وذلك عند الحديث عن الحرب التي شنها «أنا داغان» أحد قادة «إيبلا» على «إيبلول إيل» ملك ماري فنصب نفسه ملكاً عليها بعد أن احتل «إيمار».

وتشيـر محفوظات ايبلا الـى أوغاريت بوصفها مركزاً للتبـادل التجاري بين سوريـة وكريـت. وتشير أيضـاً الى علاقتهـا بجبيـل تجارياً عبـر قطنه.وهكذا اختلطت الفعاليات التجارية مع الفعاليات العسكرية لتحقيق ثروة ايبلا ونفوذها وتوسعها الجغرافي .

ولسـوف تقدم لنا الدراسات المقبلة حول وثائق إيبلا ووثائق ماري الكثير من المعلومـات العسكريـة الجديدة في هـذا العصر.ولقد دلتنا وثائـق إيبلا أن «أنا داغـان» في أيـام ملك «إيبلا» لـم يكن وحده قـد نصب ملكاً على مـاري، بل إن «شـورا داموا» صـار ملكاً أيضاً على ماري في زمن ملك إيبلا «أبي سيبيش». وفي إحـدى رقم إيبلا ذكر ملك إيبلا الذي حكم بعـد «آرانيوم» وأنه عقد معاهدة مع دولة آشـور التي أصبحت خاضعة لنفوذ إيبلا. وتذكـر وثائق إيبلا أسماء المدن التـي خضعت لإيبلا، من بينها مدينة «كانيش» في الأناضول ومدينة «أكاد» ذاتها عاصمـة الأكاديين في الرافدين. وثمة رقيم يذكر أسماء المدن التي كانت مهراً لـزواج أميرة إيبلا إلى ملـك «إيمار» وهي مدينة كانت مرفأ على الفرات تقع في مـكان مسكنة التـي غمرها سد الفرات. وفي رقيم آخر تقـرأ رسالة وجهها ملك إيبـلا «اركب دامو» إلـى «زيزي» ملك حمازي الواقعة في مـكان ما شرقي دجلة، يطلـب فيهـا أن يمده ببعض «جنـوده الأبرار» ولقد تم الكشف علـى أسماء بعض الملـوك وهم «إغريش حلـم»، «أركب دامـوو آرانيوم»، «إلى سيبشـر» (المعاصر لنارام سين) و«دبوحوعدا».

أقدم معاهدة دولية وإشهار السلام

لعـل الرقيم الكبير (٢٤×٢١سـم) الذي عثر عليه فـي القصر والذي ينص علـى معاهـدة بين ملك إيبلا وملـك آخر يعتقد أنـه ملك «أبار سـال»، هو أقدم معاهـدة تكشف عن ذهنية سياسية وحربيـة متقدمة تفرض شروطاً والتزامات، تعطـي إيبلا حق التصـرف بمقدرات السكان والممتلكات فـي «أبار سال»، تحت ضغـط وسلطان إله الشمس وإله الطقس الذيـن سيقومان بإنزال أشد العقوبات على سكان «أبار سال» في حال مخالفة شروط المعاهدة. (شكل١٨)

إن مفهوم المعاهدة والحلف الذي نقرأه في الألواح الطينية يتمثل بوضوح في النحت الرائع المنقوش بارزاً على حوض يعود إلى عام

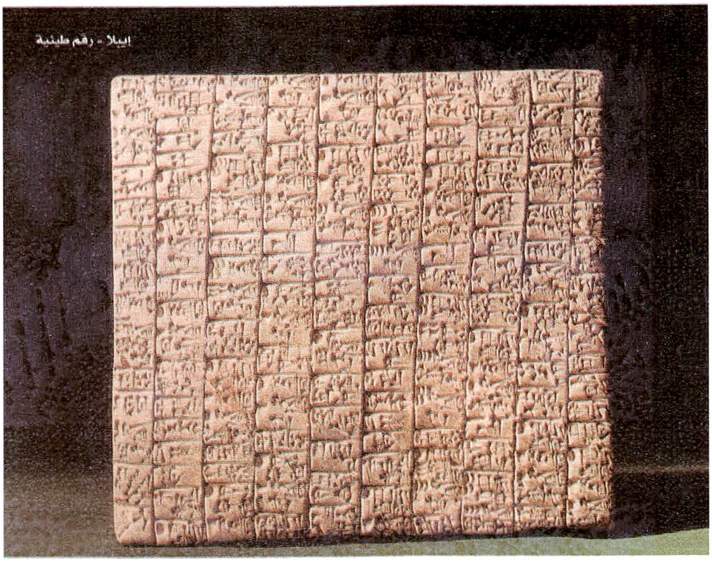

١٨ - رقيم المعاهدة - ايبلا

١٨٠٠ق.م وعليه يبدو مجموعة من الرجال يتصافحون ويتعاهدون على حلف أو معاهدة لا ندري مع من تم الاتفاق عليها، وفي الوجه الآخر للحوض تماثيل آلهة لعلها آلهة إيبلا التي مثلت لتحمي هذا التحالف، لقد عثر على هذا الحوض في معبد إيبلا الواقع في سهل المدينة، وهو محفوظ في متحف حلب. (شكل١٩)

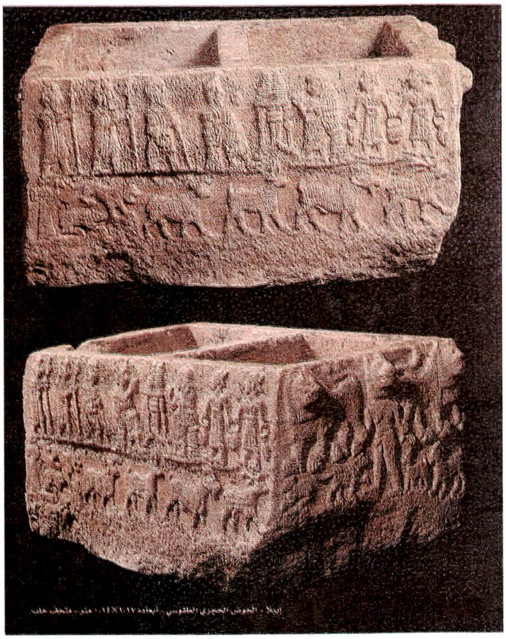

١٩ - الحوض الحجري-السلام- ايبلا

أصبحت إيبلا في ظل ملكها «آرانيوم» تعيش فترة توسع وازدهار، فالسيطرة على ماري تعني الهيمنة على أعالي الرافدين، مما دفع «صارغون» إلى التحرك باتجاه إيبلا للحد من مطامحها.

لقد استفاد سكان إيبلا وماري من الكتابة السومرية، وهي كتابة مسمارية رمزية تنقش على الطين، ولكنهم عنوا بالمصطلحات السومرية معانٍ وأسماء عمورية وهي لغة عربية قديمة. قدمت الحفريات في إيبلا مجموعات رائعة من التحف محفوظة في متحف ادلب (شكل٢٠).،وبخاصة تمثال الأسد. (شكل٢١)

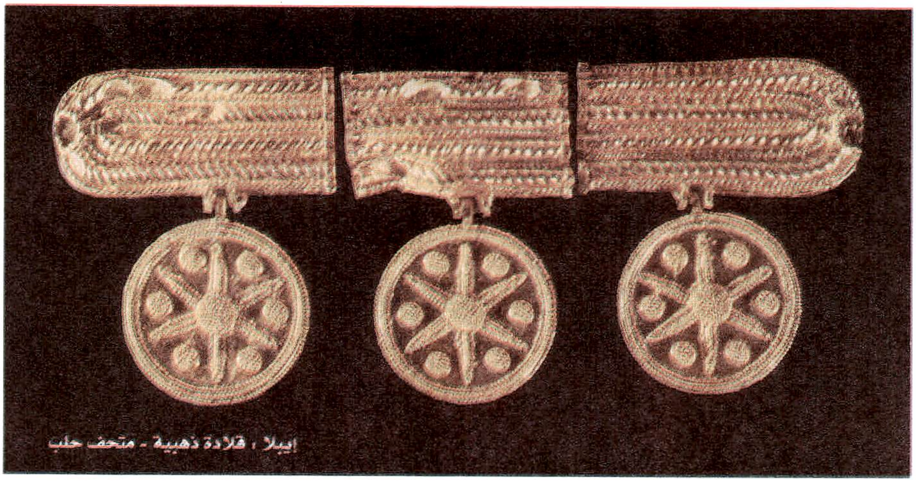

٢٠- مجموعة تحف - ايبلا -

٢١- الاسد

توتول «تل البيعة»

تقع مدينة «توتول» عند ملتقى نهر الفرات برافده نهر البليخ وتسمى اليوم تل البيعة، ومدينة «توتول» ورد ذكرها في أخبار «صارغون» الذي استمد سلطته من إله «توتول» «دجن» الذي منحه البلاد العليا سورية والأناضول.

ومن «توتول» انطلقت فتوحات «صارغون»، ذلك لما تتمتع به هذه المدينة من ميـزات تعبوية، فهي غنية بالغذاء لزراعتها المتطورة. ولقد ذكر أن أفراد جيش «صارغـون» المؤلف من / ٤٨٠٠ شخص/ كانوا يأكلـون يومياً بحضرته. وبفضل الإله «دجن» حامي «صارغون». تحققت له سطوة لا منافس لها في كل البلاد.

وفـي إحدى كتابات رقم ماري إشارة إلى اسم ملـك «توتول» (ياخلو كوليم). ولـم تكن «توتـول» مستقرة كـي تستطيع صـد أطماع مملكـة «يحماض» (حلب) ومملكة ماري والسيطرة عليها.

وعندمـا حاول ملـك «توتول» التحالف مع شيخ البدو (لاعـوم) ومعه العشائر يدعمهـم ملك «يحماض» «يخـدون ليم»، قام ملك مـاري بمقاومة هذا التحالف في مدينة «حماتوم» (تل الحمام) وهدم أسوار «توتول»، وأصبح يلقب باسم ملك ماري و»بلاد هانار».

وفـي عهد «زيميري ليم» ابن «يخـدون» (ملك ماري)، استمـر سلطان ماري علـى «توتـول» وكان حاكمهـا «لاناسوم»، وفـي عهده ثـار سكان «توتـول» بقيادة «باشـوب دجن» ضـد الحاكم المعين مـن ملك ماري، وكان ملـك «زلبا» (حمام التركمـان) قد ساعد في هذه الثـورة، ولكن ملك ماري دعم الحاكم وأخمد هذه الثورة بعد أن أرضى السكان بتغيير الحاكم، وأصبح «عبدوما دجن» حاكماً، ولعله قـام بإصلاحات حسنت من المدينة وأعـاد إليها ازدهارها، مما دفعه في إحدى الرسائـل، أن يغري ملك ماري «زيميري ليم» بالإقامة فيها، واقتنع الملك، ولكنه اكتفى ببناء حصن فيها أقام به حاشية مختارة من مدينة «رابيكوم» القريبة من «توتول».

ولقد اجتاح «حمورابي» ملك «بابل»، «توتول» مع ماري و«إيمار» ومع أنها عادت إلى الظهور حتى ١٣٠٠ق.م فإن أخبارها لم تعرف حتى الآن.

لقد أبانت التنقيبات الأثرية الأخيرة، إن مدينة «توتول» كانت مسورة ولقد تم بناء سور جديد بعد أن توسعت المدينة في عهد «يخدون ليم»، وأصبح السور الجديد خلف الأسوار القديمة مشيداً باللبن بسماكة لا تتجاوز الأربعة أمتار.

وفي المدينة ثمة قصر ضلعه ٤٢م، وكانت جدرانه منيعة والغرفة الرئيسية بمساحة ١٠,٢٤م تتصل من الجنوب بحجرة طينية لعلها كانت هيكلاً للعبادة. أما المعبد فكان مستقلاً في الجهة الغربية وكانت له ردهة وممرات. وكانت المباني من اللبن خالية من النوافذ للأمن، ولكنها مفتوحة على الفناء الداخلي، وكانت أزقة المدينة ضيقة، واستمر دفن الموتى تحت أرضية المنازل. وتم العثور على معبد آخر قديم يشبه بطرازه المعابد السورية في «إيبلا» و«إيمار» و«تل الخويرة».

٢٢- توتول والمبادلات التجارية

ولأن «توتول» تقع على مياه نهرين، كانت وسائل الانتقال الأساسية هي السفن، وكانت أنواع هذه السفن مختلفة، (شكل ٢٢). وتركت لنا الكتابات الأكادية ذكر أسمائها

المختلفة باختلاف مظهرها وطرق استعمالها، وما إذا كانت تصعد عكس مجرى النهر أو مع المجرى هابطة مع التيار، وما إذا كانت تُستعمل للعبور أو للترفيه أو للإنقاذ، وهكذا كانت «توتول» تشتهر بصناعة السفن، التي تنقل البضائع بين الممالك والمدن.

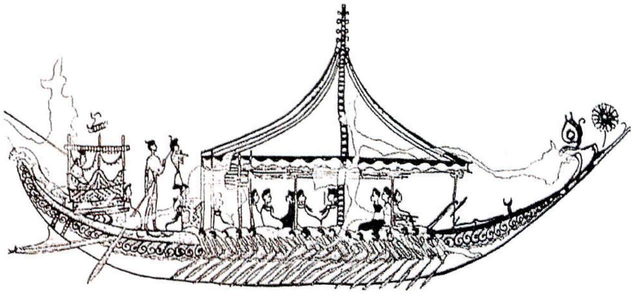

توتول - السفن القديمة - رسم

مشهد خيالي عن فعاليات مرفأ توتول

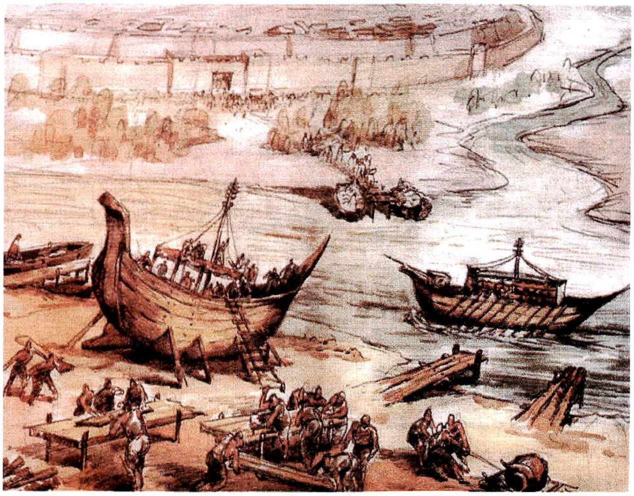

٢٣- السفن – توتول

وكذلك كانت السيطرة على الطريق المالي من الأمور التي تثير النزاعات والحروب. وكثيراً ما حاول ملوك ماري وإيبلا السيطرة على المدن والمرافئ النهرية لتأمين سلامة الطريق المائي. (شكل٢٣) وهكذا فلقد كانت منطقة الفرات مشغولة بالحركات العسكرية، مما أوجب نشوء ثغور وحصون عسكرية مستقرة كانت موئلاً للتجار الباحثين عن الأمن لتنشيط تجارتهم،
وهكذا تتحول هذه الثغور والحصون أو المحطات العسكرية إلى مدن عامرة ومثالها «دورا أوروبوس» و«حلبيا» و«زلبيا».

هكذا كان للفرات دور في نقل الجيوش على السفن، كما فعل «سنحريب» الذي

ذكر «أرسلت جيوشي الشجعان إلى المعركة عن طريق السفن بينما سرت أنا قريباً منهم براً».

٢٤- تمثالا المعبد - قطنه

قطنه (تل المشرفة)

بعد انقطاع طويل، تمكنت السلطة الأثرية بالقيام بأعمال التنقيب بإدارة ميشيل مقدسي ،والتحقت به بعثتان ألمانية وإيطالية للإشتراك في عمليات تنقيبية واسعة أدت لاكتشاف سور المدينة والمدفن الملكي و القصر الملكي وقاعاته وتماثيله (شكل ٢٤) وبقايا لوحاته الجدارية

ابتدأ الاستيطان في قطنه منذ الألف الثالث ق.م وحتى نهاية الألف الثاني ق.م. ثم عادت للظهور في بداية الألف الأول ق.م وحتى عهد الاسكندر. وفي العام ١٦٠٠-١٤٠٠ ق.م. كانت قطنة على علاقة مع ماري وبابل وحلب وايبلا . و كانت من المراكز الاقتصادية الهامة في الجنوب ، و كانت ألالاخ مثلها في الشمال. حكم قطنه أسرة تبدأ بالملك « أشخي أدد « ثم ابنه « أمون بيئيل. وعند انهيار قطنه تشرد سكانها ، ومنهم من وصل الى مصر ولعلهم الهكسوس أنفسهم. (٢٧)

الحثيون في سورية

في بداية القرن ١٤ق.م تقدم الحثيون من الشمال لاحتلال سورية بقيادة «شوبيلو ليوماش»، فخضعت له جميع المناطق من الفرات إلى البحر ووصل إلى

«قادش» التي كانت أقصى حدود سلطة مصر. و«قادش» (النبي مند) تقع جنوبي حمص وكانت مملكة مستقلة.

ولأن الحثيين لم يستطيعوا الاستقرار في سورية بسبب حروبهم مع الميتانيين، أعـادوا الدخول إلى سورية في حرب ثانية للسيطـرة على الميتانيين ولوضع حد نهائي لتدخلهم في سورية.

لقـد أقام ملك الحثييـن نظاماً جديداً في سورية يقوم على حكم الولايات من أهـل البلاد، وكان لتقدم هـؤلاء الحكام تحت جناح الحثيين أثره في إثارة مصر إذ كانـت دمشـق واقعة على حدود مصـر أيام (أخناتـون).وكان المعبود الحثي متمثلاً بالكائن المحارب

وفـي عهد «مور شيليوش» ابن «شوبيلو ليوماش» الذي مات في عهد «توت عنخ أمـون» عام ١٣١٠ق.م حافظت الإمبراطورية الحثيية على حدودها. ولكن «سيتي الأول» تسلم الحكم في مصر فقام بقتال الحثيين لوقف توسع نفوذهم، ولعله لم يحسـم النزاع، إذ أن ابنه «رمسيس الثانـي» الذي استلم الحكم سنة ١٢٩٠ق.م، قرر الحرب ضد «حاتوشيل» ملك الحثيين في «قادش»، وقد عرفت هذه المعركة أكثر من غيرها،كما كتب ورسم عنها في حينها. (شكل٢٥)

٢٥- لوحة معركة قادش

أمـا الرسـوم المنقوشة فإننـا نراها في معبـد الأقصر علـى البوابة الكبرى الخاصة برمسيس الثانـي، وعلى الحائطين الجنوبي والجنوبي الشرقي للردهة، وكذلـك على الحائط الغربي مـن الخارج لردهة «أمنحوتـب الثالث». وفي معبد الكرنـك، نقشت لوحة قادش على الحائط الخارجي لردهة العمد الكبرى، وعلى الحائـط الخارجـي بين البوابتيـن التاسعـة والعاشرة. وفي معبـد «الرامسيوم» نقشت هذه المعركة على البوابة الثانية.

ولقـد تـم تقسيم النفوذ على سوريـة، فأصبح الشمال تحـت النفوذ الميتاني والجنـوب تحـت النفوذ المصـري، الذين تمركـزوا في الساحل السـوري. ولقد أبانـت ألواح أوغاريت (رأس الشمـرة) أن شعوب البحر المتوسط قد أتت نهائياً على نفوذ الحثيّين.

سيطرة الآشوريين

فـي العصر السوري الحديث، كانت السيطرة من حظ الآشوريين، ومن أشهر حواضـر هـذا العصر، مدينة حداتـو (أرسلان طاشـ) وبارسيب (تـل أحمر) وغوزانـا (تـل حلف). وفي هـذا العصر حـاول شلمناصر الثالث عـام ٨٥٣ق.م الاستيـلاء على دمشق، فتصدى له السـكان ورؤساء القبائل وكان منهم (جندبو العربي)، وأعادوه مخذولاً.

منطقة أبوم ومدينة دمشق

يعتقـد علمـاء الآثار أن الاستيطـان في دمشق يعود إلى مئـات ألوف السنين وبخاصـة حـول حوضي بردى والأعـوج، بل إن حوضـ دمشـق كان بحيرة عاش الإنسان القديم حولها، ولقد عثر على أدوات الإنسان الحجري القديم حول هذه البحيـرة. وفـي العصر الحجري الحديـث تبين من الحفريـات الأثرية ١٩٦٠-١٩٧٥ أن التـلال المحيطة بالمدينة، وهي تل أسـود وتل الغريقة ويقعان جنوبي بحيـرة العتيبة ، وتل الرمـاد في طريق سعسع، تعود إلى هذا العصر وهي معالم المدينـة قبـل التاريخ. وتأكد لعلماء الآثار أن الإنسـان في ذلك العصر وفي هذه

التــلال الأثرية، كان يمارس الزراعة والقنصــ، وكان يربي الماعز والبقر. ولقد طـور أدواتـه الصـوانية. و تشــكل هذه التلال مجتمعة مع غيرهــا مما لم يكتشف حتى الآن واقع هذا المستوطن الذي كان يشكل دمشق المدينة الأقدم في العالم وقــد استمــرت مأهولة على عكس أريحــا. فلقد أكد علماء الآثــار استمرار وجود دمشق في عصر البرونز حيث كانت تحمل اسم مملكة آبوم وكانت مدينة مسورة تضم مواقع متعددة ولقد ورد هذا الاسم في النقائش.

كانت المنطقة في هـذا العصر تابعة لمنطقة إداريـة عرفت باسم مُخْتلف على نطقه (أبوم - أفوم - أوبه) ومركزها كميدو (كميد اللوز اليوم) في البقاع ، وكان مؤسسهـا وحاكمهـا بيـراوزا ، الذي وسع مملكته علـى البقاع والجولان وحوض الاردن وحتى حماة. لعب هذا الملـك دوراً كبيراً في توطيد العلاقات الدينيـة والسياسيـة مع أخناتـون كما ورد في وثائق تـل العمارنة، وفي وثائق كميد اللوز.

وفــي العصــر الرومانــي الذي ابتـدأ في دمشــق عـام ٦٤ ق.م تصبح دمشق عاصمة و مركزاً لجيوش روما، وكانت في عصر أدريان قد حملت لقب متروبول أي مدينة رئيسية، وفي عصر الأسرة السورية حملت اسم مستعمرة رومانية مما أكسبهــا بعض الامتيازات. وكانت إحدى المدن العشــرة ديكابوليس، وفيها أقيم معبد جوبتير وآثاره مازالت واضحة حول الجامع الأموي. وكانت المدينة محاطة بســور ١٥٠٠ X ٧٥٠م مازالــت آثاره قائمة مع بعض الأبــواب. وكانت سبعة أبواب تحمل أسماء الكواكب.

تراث القدس

ما زالت مدينة القدس من مدن سورية الكبرى تمتعت على مر التاريخ بقدسية كاملة وكان سكانها الأصليون، وهم اليبوسيون من الكنعانيين منذ الألف الثالث ق.م. الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية (شكل٢٦).

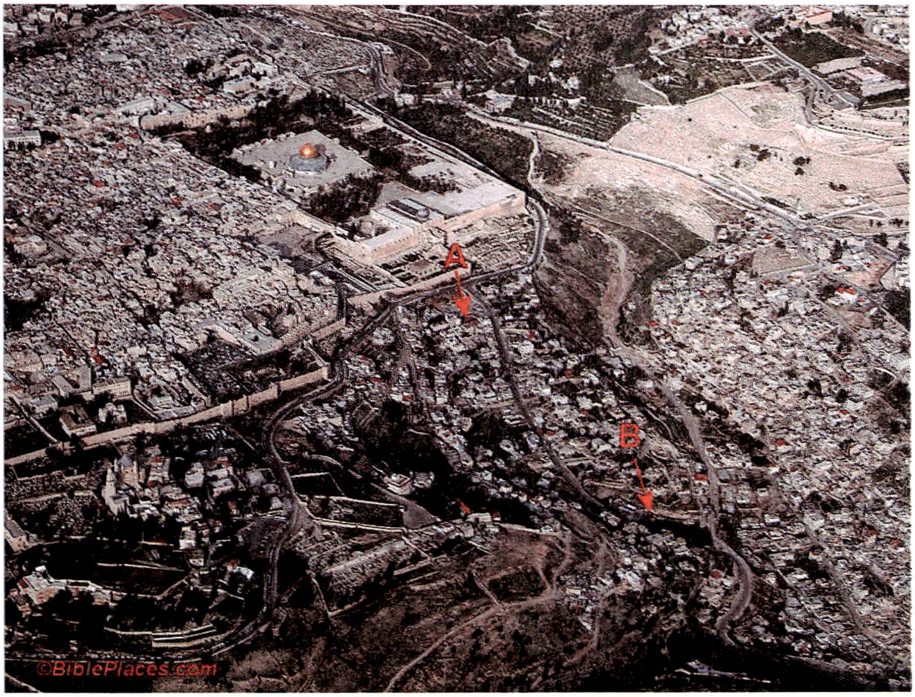

٢٦- أور سلام (القدس)

يقول أولبرايت :(لدينا من البراهين والأدلة ما يثبت أن الكنعانيين استقروا في القدس وفلسطين منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.ونحن نعرف جيداً من خلال أسمائهم ولغتهم أن اليبوسيين هم من الكنعانيين. [٢٢]

واستمر اليبوسيون فيها أكثر من ألفي سنة امتدت حتى عهد داوود ، بل عادوا بعده. وكانوا قد كونوا فيها حضارة تميزت بالعقيدة وبالنمو الزراعي والتجاري والصناعي. وحماية لمدينتهم أقام اليبوسيون سوراً وحصناً وزودوا المدينة بالمياه. وما زالت آثار السور قائمة على شكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن (ويدعى مدينة داوود) . والبركة حيث تنتهي مياه عين جيحون في بلدة جازر الكنعانية الواقعة على بعد ٣٥ كم من القدس عبر نفق ما زالت آثاره واضحة. ولقد حددت العالمة البريطانية كاثلين كينيون تاريخ هذا النفق بواسطة الفحم ١٤.

واستمر اليبوسيون في مدينتهم حتى العام ١٠١٠ ق م وكان اليهود قلة فيها. ثم عادوا إليها و يذكر التوراة من ملوك أور سلام ، ملكي صادق – الكاهن

للعلي العظيم (إل إيليون). في عهد إبراهيم ،القرن التاسع عشر ق.م. و الملك عبد هيبا، وعلاقته بفرعون مصر أخناتون في العام ١٣٦٢-١٢٧٣ ق.م.وكان قد أعلن ديانة مصرية توحيدية أخذها عن الهكسوس الكنعانيين الذين آمنوا بالإله (إل) مما شدد أواصر هذه الديانة مع ديانة أور سلام.

و يتحدث أيضاً الأثري الاسرائيلي مازار عن تنقيباته الطويلة الأمد حول الحرم حتى بداية هذا القرن والتي لم تقدم له أي سند توراتي، مما دفعه للعودة إلى الرسائل التي ظهرت في تل العمارنة سنة ١٨٨٧ فيقول : (منذ القرن الخامس عشر ق.م. كانت بلاد كنعان جزءا من الإمبراطورية المصرية. ويثبت ذلك ما تضمنته وثائق قصر اخناتون في تل العمارنة والتي تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م وقد أوردت اسم « ملكي صادق» ملكاً على القدس،) [٢٢] حاملاً إسم ملك السلام لدعوته الصالحة وسلوكه المستقيم ، وهو أول من أطلق على المدينة إسم أور سلام). (شكل٢٥)

. و يتحدث التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم باركه ملكي صادق ملك أور سلام وكان الإله العلي (إل ايليون)، و أور سلام كان اسم القدس.

استمر سكان مدينة أور سلام الأصليون ، على الرغم من استيلاء الآشوريين على القدس ، ثم على يد البابليين، ثم جاء نبوخذنصر والاخمينيون (٥٢٩-٣٣١) ق.م. ثم جاء الإغريقفي العام ٣٣٢ ق.م، بقيادة الاسكندر. ثم جاء الرومان في العام ٦٤ ق م وقد تغلبوا على الانباط ، وفي العام ١٣٥ م أطلق هادريان على المدينة إسمه الأول (إيليا). وأعقبهم البيزنطيون في العام ٣٣٩ م. وفي عام ٣٢٤م جاءت أم قسطنطين هيلينا لزيارة القدس وكانت قد اعتنقت المسيحية، وفيها أنشأت الكنائس الأولى (كنيسة القيامة) ، وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية، و بعدها لم تكن القدس أكثر من مدينة مقدسة تعرضت لاجتياح الفرس وتهجير أهلها، ثم تراجعت مكانتها إلى أن جاء العرب في العام ٦٢٨ م

بقيادة خالد بن الوليد في معركة اليرموك. حيث ابتدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التي كانت عليها أيام اليبوسيين، وازدهرت معماريا.

ولكـن اليهود فـي القدس(أورسـلام) اعتقـدوا أن الجـدار الداعم للحرم الشريـف من جهة المسجـد الأقصى ،هو من أحجار الهيـكل وحتى بداية القرن العشريـن. وعندما عرض الخلاف على عصبة الأمم المتحدة ، شكلت في العام ١٩٣٠لجنة دولية علمية لدراسة هوية الجدار ، وأطلق على هذه اللجنة إسم لجنة البراق ، وأثبتت أن تلك الأحجار التي تشكل الجدار تعود إلى الأوقاف الإسلامية ،وهـي جزء من الحـرم الشريف ، ولا علاقة لها بالهيكل. ولكـن اليهود استمروا على زعمهم وجعلوا من هذا الجدار جداراً للبكاء على ماضي الهيكل. وبعد العام ١٩٧٦ تضاعفت مساحة هذا الحائط من ٣٠ متراً إلى ١٠٠متر ،على حساب حي المغاربة هناك ، حيث أزيلت معالم مئتي عقار إسلامي. (٢٨)

الفصل السادس

جمالية التراث السوري القديم

جمالية النحت

جمالية الرسم والزخرفة

جمالية الحلي

جمالية النسيج والزجاج والفخاروالمعدن

الفصل السادس

جمالية التراث السوري القديم

جمالية النحت

لعل دراسة فنون الحواضر الثلاثة ماري وإيبلا وأوغاريت، لم تأخذ حقها مستقلة إلا بعد أن فتحنا الأبواب لأكبر عدد من البعثات العالمية للتنقيب في كثير من المواقع سبقتها حملة عالمية دعونا إليها لإنقاذ آثار مغيبة تحت أرض سد الفرات ساعدت إلى إعادة النظر في تحديد معالم جمالية واحدة لفن سوري مستقل تكوّن منذ بداية التاريخ متميزاً ومختلفاً مع الزمن ومع تطور بناء المدن عن فنون الحضارات المحيطة بسورية.

نستطيع تلخيص بداية ملامح جمالية هذا الفن من خلال دراسة التماثيل الكاملة، لقد كان وضعها التشريحي يتصف بالنزعة الطبقية أكثر من اقترابها من النزعة الرائعة فهي في مجمل الحاللات تمثل تصورات تتعلق بالخصب، يبدو ذلك من خلال تمثيل الإنسان مع إبراز الثديين والأعضاء التناسلية.

وبصورة عامة فإن المبدأ الأساسي في تحديد جمالية هذا الفن، هو في تمثيل الهيئات المنحوتة وكأنها تنظر إلى الأمام بعينين جامدتين ويبدو الجسم ساكناً ثابتاً لا مجال للحركة فيه، ولا تخلو الوجوه من تعبير عن السعادة ممثلاً بابتسامة هادئة جذابة. وكما رأينا فإن مواضيع هذه التماثيل كانت أشخاصاً من أصحاب المناصب العالية. أومن تماثيل حاملة مما نراه في واجهة قصر تل حلف الذي

أقامه الملك الآشوري بارتفاع ستة أمتار وعرض عشرة أمتار (شكل٢٧). وهو من مكتشفات ماكس فون اوبنهايم، وثمة ثلاثة أعمدة حاملة للإفريز بشكل كائن معبود، الأول قائم فوق أسد، والثاني فوق ثور، والثالث فوق أسد أيضاً.

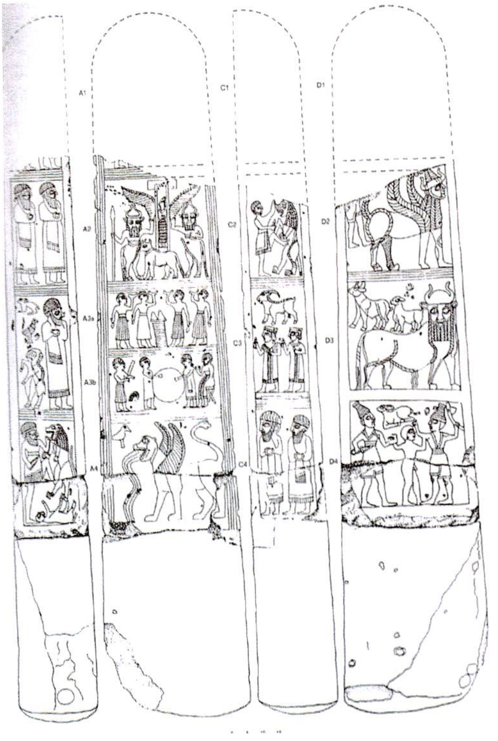
٢٧- نقش غائر على نصب في إيبلا

ولقد طليت بعض التماثيل بالألوان مع تطعيمات وتنزيلات من اللازورد والصدف مع اهتمام في إبراز الشعر وقد أحسن ترتيبه وتزيينه كما في مكتشفات إيبلا وقد نقش على أكتاف التماثيل عبارات ساعدتنا في تحديد صاحب التمثال والغرض من إعداده، على أن الطابع الرمزي الواقعي والتعبيري الذي بدا واضحاً في فنون ماري وإيبلا، نراه في أوغاريت وقد بدا أكثر واقعية وأكثر تمثيلاً لموضوعه، بدا ذلك في تماثيل الحيوانات وفي صور النقوش البارزة وفي تمثال مغنية المعبد والرأس العاجي.

ولا بد من الإشارة إلى اهتمام الفنان بالمواضيع المركبة سواء كانت دينية أو تاريخية، ومازال علماء الجمال يدققون في تفاصيل الجرنين الحجريين المكتشفين في معبد إيبلا ويمثل واحد طقوساً عبادة، كما يمثل الثاني موضوع السلام. لقد عبرت هذه المواضع المعقدة عن خيال ثقافي متقدم، دفع الفنان لتكوين عمله ببلاغة موضوعية وإبداع فني، وبراعة في عملية النحت على الحجر. نرى ذلك واضحاً في النصب المكتشف في معبد عشتار. (شكل٢٨)

cat. 394

cat. 396

cat. 398

٢٨- حلي - إيبلا

جمالية الرسم والزخرفة

لعل الزخارف التي كانـت تزين الاواني المكتشفة في ماري تدعونا إلى القول بأنهـا النمـوذج الأول والأقدم لما نسميـه اليوم بالرقش، ونرى مـن الأعلى هذا الرقش منقوشاً على جرّة مـن حجر ستيتاتيت (معدني عازل للحرارة) محفوظ

في متحف حلب، ويعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وتتألف الزخرفة قبة من شريطين يتألف كل واحد منهما من حزامين متموجين مضفورين، مع أجسام أفاع تلتف بشكل مستمر حول الإناء، ولقد طعمت النقوش الصغيرة بمواد ملونة، ومن الصدف والحجر الأسود والأخضر.

وإلى العصر نفسه وفي معبد شماش في مدينة ماري، قطعة محفوظة في متحف دمشق هي جزء من وعاء حجري مزين سطحه بافريزين من النقوش التشبيهية أو المجردة، والتي تبدو على شكل شريط من النقوش المضفورة تحيط قاعدة الإناء.

يحمل الرسم الجداري الذي اكتشف في قصر مدينة ماري طابع الجمالية الفنية السورية، هو رسم جداري على طلاء من الجص على طريقة (الفريسك) ومن أجمل القطع الفنية المركبة المكتشفة في ماري، تمثال صغير يمثل نسراً برأس أسد.

جمالية الحلي

ثمة أسواق هامة في المدن السورية وبخاصة في دمشق وحلب تختص بصناعة الصياغة اليدوية، التي بلغت حداً بعيداً في الدقة والإبداع. وتقوم الصياغة على استغلال المعادن الثمينة كالذهب الأصفر والأبيض والفضة، ذلك بعد إضافة نسبة من النحاس إلى هذ المعدن أثناء عملية الصهر، لتقوية بنية هذا المعدن وجعله صلباً بنسبة محددة تسمى العيار.

وتتم الصياغة بتحضير المعدن وتشكيله عن طريق الطرق واللحام بواسطة منفاخ من الفضة أو بابور الضرب، وقد تسحب الصفائح على شكل شرطان تلف وتستعمل مع الرقائق حسب الطلب عن طريق اللحام أو التشبيك.

كان سوق الصاغة القديم في موقع بيت المال الذي يعود إلى العصر الأموي، وبعد احتراق هذا السوق أقيم سوق مؤقت مازال يحفل بروائع الصياغة المعدنية الثمينة. وفي حلب سوق مماثل قريب من جامع حلب.

تستكمل دراستنا جمالية الفن السوري القديم، من خلال الوقوف أمام الحلي الرائعة التي تعود إلى ماري والمحفوظة في متحف حلب والتي تبدو على

شكل دبوس للملابس طويل مؤلف من قطعة واحدة محززة بخطوط رفيعة ذات رأس ينتهي بنجمة ثمانية الرؤوس. وثمة قطعة على هيئة قرط الأذن مصنوعة من الذهب الخالص، مع قلادة من الذهب واللازورد والمرو البنفسجي. وفي متحف إدلب نماذج من الحلي المكتشفة في ايبلا. (شكل٢٩)

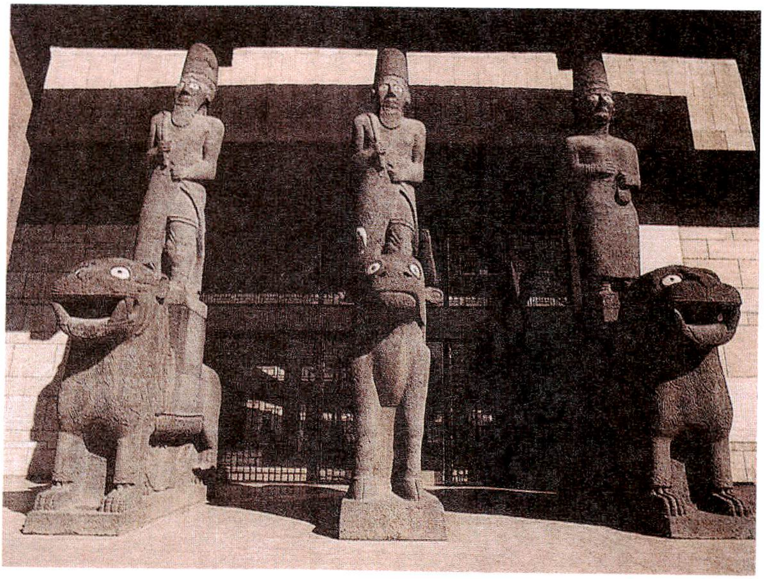

واجهة متحف حلب الأثري وقد أضيفت إليه واجهة قصر تل حلف.

٢٩- واجهة قصر تل حلف

جمالية النسيج والزجاج والفخار والمعدن

النسيج الذي تم اكتشافه في إيبلا من القطن أو المكتشف في تدمر ودورا أوروبوس من الصوف أو الكتان، يوضح أن صناعته اليدوية في بلاد الشام قديمة جداً سبقتها ولا شك صناعة النسيج في العصور المصرية القديمة.

وعند زيارة المتحف الوطني بدمشق، فإن جناح الأواني الزجاجية يكشف عن عراقة هذه الصناعة الزجاجية اليدوية، التي ابتدأ ظهورها منذ الألف الأول قبل الميلاد، حيث كانت المراكز الفينيقية الممتدة من السواحل السورية شرقاً وحتى السواحل الإسبانية غرباً وبخاصة في قرطاجنة، تصدر روائع الأواني الزجاجية المسماة «الألف زهرة» Millefiori، وهي على شكل قوارير وأوان مؤلفة من طبقات متموجة ملونة من الزجاج بأداة تشبه المشط.

إن جميع المكتشفات الفخارية التي تعود إلى العصر الحجري في المريبط أو إلــى بداية التاريخ في تل حلف، أو على امتــداد نهر الفرات، مازالت شاهداً على اعتمــاد الإنسان على هذه الوسائل الفخارية قبل أن يتمكن من اكتشاف المعدن، ولكــن مادة الطين استمرت وحتى يومنا هــذا وسيلة أساسية للصناعات اليدوية الراقيــة، والتي تمثلت في إنتاج الأوانــي الخزفية أو الألواح الطينية. وتسمى هذه الألــواح الرقــم (جمع رقيم) وهــي ألواح طينيــة بحجوم متوسطــة تنقش عليها كتابــات مسمارية للغات قديمة سومرية وأكاديــة وإيبلائية وأوغاريتية. ولقد تم اكتشاف الآلاف من هذه الرقم وهي محفوظة في المتاحف السورية وبخاصة في متحفي إدلب وحلب. ولقد استطاع العلماء قراءة هذه الرقم والتعرف على الواقع الحضاري القديم.

ويرتبط اسم دمشق بصناعة معدنية متميزة هي صناعة السيوف حتى أطلقت تسميــة الدمشقة Damaskining على طريقة صنع هــذه السيوف وبخاصة نصل السيف الذي يصنع من الفولاذ «الجوهر» كما يقال وتعني هذه الصفة ما يحتويه فولاذ نصل السيف من رسوم شفافة متموّجة قزحية الألوان.

وفــي المتحف الحربي بدمشق مجموعة مــن السيوف الدمشقية القديمة، في جميــع حواضر البحر المتوسط شواهد على صناعــة يدوية فنية تقوم على رسم أحــداث وهيئات وزخارف وكتابات بإسلوب مبسط، ولكن هذا الرسم يعتمد على رصــف نصوص فسيفسائية ملونة، حجريــة أو زجاجية، رصفاً محكماً موزعاً في أبعــاد الألــواح التي تزيــن أرضيات أو جــدران المعابد أو القصــور. ويغطي هذا الرصف أجزاء الصورة لكي يشكل لوحة متكاملة ملونة.

الفصل السابع

تراث الساحل السوري

حضارة اوغاريت

الآثار الفنية الأوغاريتية

الفينيقيون السوريون

قصة إليسار شقيقة بيغماليون

امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط

الفصل السابع

الساحل السوري

حضارة اوغاريت

منذ العام ١٩٢٩ ابتدأت حفريات كلود شيفر C. Sheffer في موقع رأس الشمرة « أوغاريت « قرب مدينة اللاذقية. [٢٩] تظهر لنا أوغاريت في العصر السوري الوسيط مدينة ثقافية متقدمة وبخاصة في ابتكارها لكتابة مسمارية بأحرف أبجدية، وفي أوغاريت تم اكتشاف مجموعة من الأختام الأسطوانية التي تعود إلى نهاية القرن الرابع عشر محفوظة في متحفي حلب ودمشق. (شكل٣٠)،

٣٠- اوغاريت – مدخل المدينة

وتعـود حضـارة أوغاريـت إلـى هـذه الفتـرة، وكانت زاهـرة بفضـل تجارتها الواسعـة وأسطولهـا وبفضـل الاحتـكاك مـع ثقافـات أخـرى، مصريـة وحثية وايجيـة. ويشهـد على نشاطها التجاري (مينة البيضـا) القريب منها، وفي هذا المكان كانت مستودعات البضائع والتحف وفي المدينة مازالت منطقة المشاغل التـي تنتج المعادن الثمينـة والحلي والفخار واضحة تم اكتشـاف معالمها. منها اللـوح النحتي البارز المحفوظ في متحف اللوفر. (شكل ٣١). وفي المدينة حي سكنـي وقصـر ملكـي، وإلـى الغـرب معبـد بـل، ومنطقـة تجاريـة وصناعية تنتج المعادن الثمينـة والمنسوجات. ويعتبـر رأس ابن هاني امتداداً لهـا. ونستطيع أن نضيـف مدينة إيمار (مسكنـة) إلـى قائمـة الحواضر التي ازدهرت فـي العصـر السـوري الوسيـط، وكانـت إيمار مرفـأ علـى الفـرات استطـاع أن يتوسـط التجارة بيـن مـاري والساحل السوري.

٣١ - لوح مينة البيضا

الآثار الفنية الأوغاريتية

إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تعود التماثيل الرائعة التي تم اكتشافها في أوغاريت، وفي القسم المخصص في أوغاريت لصناعة التحف، عثر على قطعة هامة

من الحجر منقوش عليها مشهد عبادة وابتهال إلى الإلـه العظيم (إيل)، ويبدو وقد اعتمـر تاجاً ذا قـرون ويرتدي ثوباً ملفوفـاً ويجلـس على عرش ذي مسند منخفض ويضـع قدميـه علـى مرقاة، زينـت كلهـا بزخـارف جميلـة، ويقـف المصلي أمامه بثوب طويل وقبعته عالية مروّسة، وبيده إبريق يقدم ما فيه قرباناً للإلـه ويعود هذا اللـوح الهام المحفوظ في متحف حلـب إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. (شكل٣٢)

٣٢- أ-المعبود ايل- لوح - اوغاريت

و نـرى هذا التـاج أيضاً في تمثال الإلـه ايـل الجالـس هـو واحـد مـن تماثيـل أربعـة كانت ملفوفـة بقطعة من الكتـان الأبيض، والتمثـال هذا محفـوظ في متحف دمشـق مع غيره مـن التماثيـل المكتشفـة، و يرتـدي معطفـاً مغشـى بطبقـة مـن الذهب الخالص، وهـذه المعالم متميزة عن الطابع المصـري، ومرتبطة بتقاليد فن النحت الأوغاريتي.

٣٣-المعبود بل- اوغاريت

وثمـة مجموعـة واسعة فـي جناح أوغاريت في متحف دمشق مؤلفة من تماثيل برونززية تمثل الآلهة المعبودة وبخاصة الإله بل إله الطقس والأنواء (شكل٣٣).

علـى أن الطبق الذهبي الذي اكتشف قرب معبد بل في أوغاريت هو من أثمن مـا يحويه متحف حلب،هـو صحيفة ذهبية أو وعاء يخص أخـت ملكة أوغاريت، لعلهـا استخدمت لأغراض دينية وهـي مزينة برسوم بارزة بطريقة الضغط على المعـدن وتبين هذه الزخارف مدى تبـادل الثقافي والفني مع مصر وبحر إيجه. (شـكل٣٤). ومن التماثيـل الهامة تمثـال الرأس العاجي المحفـوظ في متحف دمشق (شكل٣٥)

٣٤- الطبق الذهبي - اوغاريت

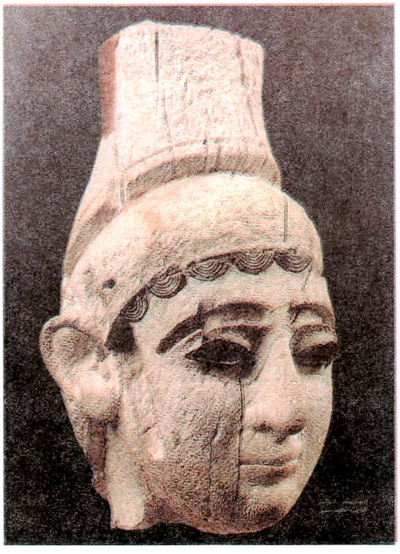

٣٥- الرأس العاجي-اوغاريت

الفينيقيون السوريون

فينيقوس تسمية مستمدة من اللون الارجواني أطلقها الإغريق على السوريين الذين انتشروا على امتداد شطآن الأرجوان من أنطاكية إلى راميثا (اللاذقية) ثم إلى بيبلوس (جبيل) وتير (صور) واكر (عكا). ويحتفظ المتحف الوطني بنماذج من الآثار الفينيقية منها القوارير الزجاجية التي تسمى «الأزهار الألف». (شكل٣٦)

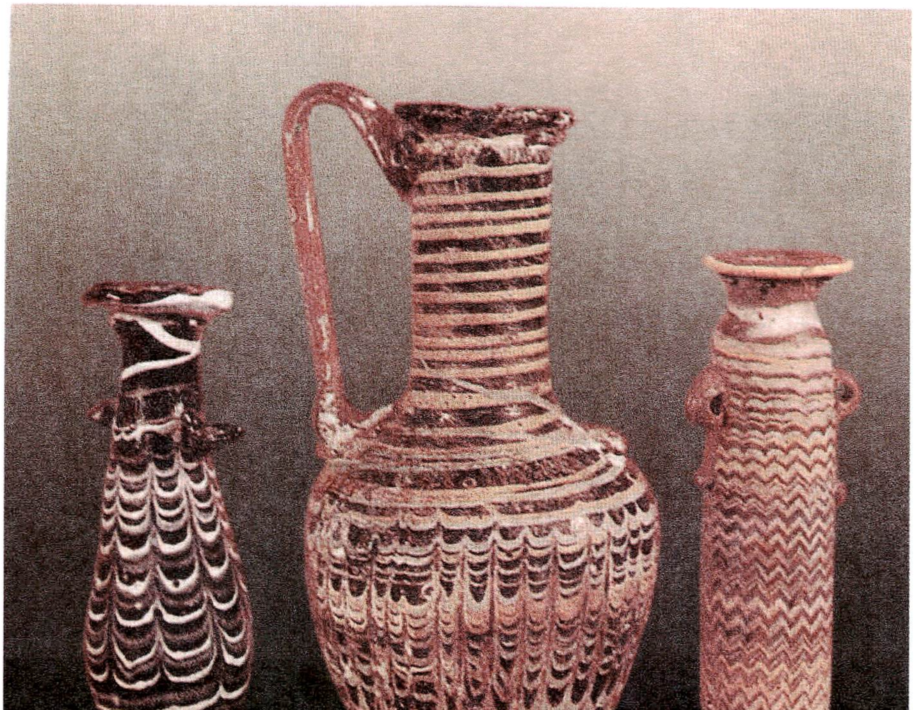

٣٦- آنية فينيقية

عمريت

على الساحل السوري ،جنوبي طرطوس ، تقع عمريت ،أنشأها سكان جزيرة أرواد. أهم آثارها المعبد والملعب والمدافن والمغازل وبرج البزاق. [٣٠] وتعد مدافنها التي كانت مخصصة لملوك أرواد وعمريت وكبار الاغنياء من الشواهد النادرة على الساحل السوري.

ويبدو المعبد على شكل حوض محفور في الصخر مساحته ٥٦،٤٩ م وبعمق٣م ويحيط به رصيف وأروقة محمولة بدعامات حجرية ومسقوفة بالحجارة ومزين بالشراشيف المغلقة. وله قناة ماء للتطهير وأخرى للشرب. ويتخلل واجهة الأروقة ميازيب بشكل أسود. وفي وسط الحوض يقع الهيكل المركزي المعد لتمثال الإله ملقارت الشافي من الأمراض.

وعلى بعد ٣٠٠م يظهر الملعب المحفور بالصخر ومساحته ٢٢٥،٣٠م. ويضم التل بعض المدافن الدائرية النادرة.

قصة إليسار شقيقة بيغماليون

امتد الفينيقيون على سواحل البحر المتوسط الجنوبية ،منذ أن استطاعت إليسار شقيقة بيغماليون وأميرة صور أن تمضي مع حاشيتها وجنودها وأموالها الى موقع مدينة تونس اليوم ، وهناك حصلت على أرض حددت مساحتها بما تستطيع أن تحيط بها مساحة جلد ثور ، وتقول الاسطورة أنها خدعت المساحة بأن قامت مع خدمها بتقطيع الجلد الى سرائد امتدت خيوطها حول مساحة واسعة شكلت مدينة في العام ٨١٥ م أطلقت عليها إسم (قرت حدشت) أي المدينة الحديثة أصبحت محرفة بإسم قرطاج. امتدت حتى عهد ملكها حنيبال(٢٤٧-١٨٢ق.م)وما زالت آثارها قائمة حتى اليوم في تونس.

امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط

امتدت التجارة من هذه المرافئ الفينيقية السورية إلى مرافئ أرواد وقبرص،حيث كانت المراكب الفينيقية تروح وتعود ناقلة أصناف المبدعات

والمنتوجـات، وتقيـم لها مراكـز ومواطن وحواضر ثـم لا تلبـث أن تمضي عبر سواحـل إفريقية لكي تقيم مراكزها، فتقف في طرابلس «ليبيا» التي كان اسمها أويـا Oba وصبراتـه ولبدة مكان مولد سبتيموس سيفيروسـ. وفي تونس تتجمع الحواضـر الفينيقية، ومن أهمها «هيبواكرا» واسمها اليوم بيزرت و«هادروميت» حيث كانت تستقبل حجيج الفتاحين، و«كركوان» التي كشفت فيها روائع الآثار والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

ونتابـع السير عبر المراكز الفينيقيـة الأساسية في الجزائر فهي على التتابع هيبوريغيوسـ «عنابـة» وصرتـه «قسطينـة» وايغليلـي «جيجلـي» وايكوسيـوم «الجزائر» وتيبازا ومازالت تحتفظ باسمها وفيها عدد كبير من المدافن تعود إلى القرن السادس ق.م، وفي» مرسي مداخ «حصون وأسوار تعود إلى نفس التاريخ.

وسنجتـاز السواحـل التونسية ثم الجزائـر فنقف قليلاً في مـدن الفينيقيين الأجـداد، وقبـل أن نتخطـى حدود اليـوم بين الجزائـر والمغرب ونـودع ميناء الأندلسييـن المركـز الفينيقـي الشهيـر، نصل إلـى مليلا المغربيـة التي كانت روساديـر الفينيقيـة. وسنتابـع إبحارنـا إلى ايميـزا «حمص» الموقـع الفينيقي المغربـي. ثم نصل إلى تطـوان وكانت هـي تامودا الفينيقية ثـم نعود مرة أخرى إلى مضيق جبل طارق.

لـم يقتصـر امتـداد السوريين على الشاطئ الإفريقي بـل شمل جميع سواحل صقلية ومالطـا وسردينيا إضافة إلى شواطئ الأندلسـ والجزيرة الإيبرية، مثل قادش والمنكب وايبيزا ثم قرطاجنة التي أنشئت متأخرة ٨١٤ ق.م، وفيها كانت حرب حنيبعل العظيم مع الرومان الذين استولوا عليها عام ٢٠٩ ق.م، ثم استولوا على قادش ٢٠٦ ق.م.

إن كلمة القرية الحديثة «قرت حدشت» هي أصل كلمة قرطاجنة التي حورها الرومـان وهي تطلق على جميع المدن التـي أنشأتها إليسا الأميرة الصورية سنة ٨١٤، بـل إن بالرمو عاصمة صقليـة كانت تحمل هذا الاسم، يبدو ذلك من نقش علـى نقد، كما يبـدو الحضور السـوري الفينيقي في بالرمو مـن خلال المدافن

المكتشفة والتي مازال يطلق عليها أسماء سورية. مثل مدفن أرض الخرايب ومدفن أرض المورلي ومدفن البرج الجديد ومدفن بومنجل ثم معبد شموم.

كان الفينيقيون والكنعانيون عامة سادة البحر الأبيض، وكانوا أول أمة مارست التجارة ، وكانت الأخشاب وافرة لبناء السفن التي ساعدتهم على الإبحار على امتداد شواطئ البحر الأبيض، حيث أنشأوا المدن والحواضر. ومن أبرز مدنهم أوغاريت وصور وصيدا وقرطاج وقادش وقرطاجنة وغيرها،ولقد خرجوا من البحر إلى المحيط الأطلسي ووصلوا إلى أمريكا في أقصى الغرب.

ولم تكن شعوب هذه المناطق تمارس الحرب والعدوان، لولا عدوان الرومان وحربهم ضد القائد القرطاجي الشهير حنيبعل (٢٤٧-١٨٣ ق.م). ومن أشهر البحارة، البحار القرطاجي حانون الذي قاد ستين سفينة وعليها عدد كبير من المهندسين والفلكيين والأطباء والعلماء ، ووصل بهم الى مضيق جبل طارق في القرن السادس قبل الميلاد في جولة واسعة.

الفصل الثامن

علم الآثار و نقد تاريخ العهد القديم

وثائق ايبلا والتوراة

علم الآثار والتاريخ

القصص الديني التوراتي

البحث عن أصل اليهود

الفصل الثامن

علم الآثار و نقد تاريخ العهد القديم

وثائق ايبلا والتوراة

يعـد اكتشاف إيبلا الذي تم في الآونة الأخيرة مـع آلاف اللوحات الكائنة في أرشيـف قصرهـا بأنه من أعظـم الاكتشافـات الأثرية في هـذا العصر. وتلقي الأبحـاث الدائرة هناك ضوءاً على الصفة الإنسانيـة لأقدم المدن الكبيرة التي عرفتهـا البشرية، على أن الجدل الحالي لا ينبثـق من تلك المسائل العلمانية بل مـن الصلات الدينية والعرقيـة التي قامت بين شعوب إيبـلا وفلسطين. وتوحي التقاريـر الأولية بـأن اللوحـات تشتمل على إشـارات عديدة تربـط إيبلا بعالم التوراة.[٣١]

يقـع تـل مرديخ على مسافـة ثلاثين ميـلاً جنوبي حلب الجديـدة، هنـاك بدأ ماتييه بشق هضبة عالية منتشرة على مسافة مئة وأربعين آرك، انتهت باكتشاف خمسـة عشر ألف (رقيـم) لوحة مسمارية تولى قراءتها لجنـة دولية من علماء اللغات. .ورافق هذا الإكتشاف تأويلات متسرعة.

يقـول فريدمان في مقال نيوزويك «إن ظهـور أسماء مثل إبرام وأدامو واشمع ايـل ومـي كاايل، يوفر لنـا الدليل على تحديـد تاريخ إبراهيم الخليـل في الألف الثالـث قبل الميلاد. » بل ذهـب بعض الصحفيين الصهاينة إلـى القول إنه من المحتمل أن تكون القدس هي إيبلا ذاتها.

ويذكر كاتب جريدة التايمز في نهاية موضوعه الطويل، أن إيبلا أعطت صورة واضحة لحضارة سامية قوية امتدت من البحر الأحمر إلى تركيا شمالاً وإلى بلاد

الرافديـن شرقاً. وقد وجدت إشارة إلـى مدينة «أورشليما» التي قال العلماء أنها اسـم القدس عنـد الابلاويين، فإذا صح هذا فإنه لا جـدال أقدم إشارة معروفة إلـى المدينة المقدسـة «. كما تحتوي اللوحات على شواهـد مذهلة تشير إلى أن بعضـ الأشخاص والأمكنـة مذكورة في العهد القديم ممـا أسس لوضوح حقائق تاريخية.

قدمـت لنا هـذه الألـواح أقدم لغة عربيـة سامية مـع أول قائمـة للمفردات والمرادفـات عرضها الإنسان، وقد قـام الكتّاب في إيبلا بفهـم اللغة السومرية بالإضافـة إلـى لغتهم الساميـة، لذلك قامـوا باستعارة الكتابـة المسمارية لكي يدونوا لغتهم الأصلية. [٣٢]

أمـام الخبط في تأويل وثائق إيبلا ، أعلنـا (كمسؤول عن أعمال التنقيب في سورية) البيان التالـي: (إن إيبلا تعني لنا نحن الاختصاصيين ثورة في الكشف الأثري تجعل هذه المدينة مركزاً لسلطة سياسية وثقافية هامة في الألف الثالث قبـل الميـلاد، وقبل هذا الكشـف كانت سومـر وأكاد تحتل المركـز الأقوى. أما أن تكـون ألواح إيبلا قـد كشفت عن أسماء الآباء الإسرائيليـن الأوائل إبراهيم وإسحـق ويعقـوب (إسرائيل)، فهذا أمر نعتبره في غايـة الأهمية وما زلنا نحلم أن تظهـر المكتشفات الأثرية ما يؤيـد علمياً وتاريخياً آل إبراهيم وإسماعيل أبي العـرب، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فـإن المكتشفات في رأس الشمرة وفي ماري ثـم فـي إيبلا تبين لنا يومـاً بعد يوم، أن أحـداث التوراة تمـت متأخرة جداً عن الأحـداث التي جرت في بـلاد أكاد وماري وإيبلا وكنعـان، ولقد جاءت مختلطة غامضـة متناقضة، ويكفـي أن نقول بأن الكنعانيين اعتبروا فـي التوراة لأسباب سياسية من الحاميين وليسوا من الساميين، وفي ذلك نقض لكثير من المفاهيم التاريخية الأساسية). [٣٢]

أمـا عـن ورود اسم اورشاليما، وتعني مدينة السلام. فـإن هذا على افتراض تأكيـده يعني إن القدس (أور سلام) كانـت معروفة منذ عام ٢٤٠٠ ق.م كغيرها مـن المدن التـي ذكرت ومازالت موجـودة مثل دمشق- حمـاه- حمص- حلب-

بيـروت. وإن تسميتها بأورسلام قديم جداً خلافـاً للادعاء من أن داوود هو أول مـن أطلق عليها هذا الاسم. وإنه ليس لهـذه المدينة علاقة في منشئها باليهود. بل هي وقبل أكثر من ألف عام من ظهور موسى مدينة كنعانية نعرف الآن حسب وثائق إيبلا أنها كانت موجودة وزاهرة تتعامل مع إيبلا وغيرها.

وفـي تصريح منشور نفى بتيناتـو التأويلات المغرضة لما ورد في وثائق إيبلا : «أمـا عن الصلات المزعومة مع النص التوراتـي فإني أشعر أنه من واجبي أن أوضـح، بصورة نهائيـة إنه ليس ثمة ما يبـرر أن نجعل مـن الإيبلائيين أسلافاً لإسرائيل. »

علم الآثار والتاريخ

يعترف العالم دوفو de veux بجلاء إن حقيقة الكتاب المقدس أمر ديني من حيـث الأساس، ولا يستطيع علم الآثـار البرهنة على تلك الحقيقة أو نفيها، ذلك أن نصوص الكتاب المقدس تتضمن تأويلاً دينياً للتاريخ. ثم بدا ماتيه Mathiae مؤخـراً أكثر وضوحـاً في الدعـوة إلى الفصل بيـن العلم الأثري وبيـن العقيدة الدينيـة المسيّسـة، بعـد أن تعرضت مكتشفاته فـي ايبلا إلى التأويـل والابتزاز التوراتـي والصهيوني، فهو يقول: «تفترضـ الأحداث التوراتية من حيث الأساس أنهـا تعاقب زمني طويل تتخلله أحداث أسطورية مهدت السبيل إلى ظهور الوحي الإلهـي، أي أن شعوب هذه الأزمنة التوراتيـة وحضارتها لم يكن لها بعد تاريخي بل هي مجرد خلفية للأحداث التوراتية المقدسة. ولا يستطيع علم الآثار أن يؤكد أو يثبت صحة ما جاءت به التوراة من أحداث ومواقع «.

إن مهمة علم الآثار أن يحقق موضوعياً دراسة ميدانية لوثائق تاريخية تكشف عـن حضارة ما بخصائصها البنيوية وبتأثيراتها المتبادلة خلال الفترة الزمنية التي عاشتها تلك الحضارة «

ولتوضيـح مضمون وثائـق ايبلا قمنا بتشكيـل لجنة دولية مـن علماء اللغات القديمـة لدراسة وثائق ايبلا ، وتقوم هذه البعثة بنشر دراساتها في دورية تسمى Archivi reali di Ebla Testi ومن أبرز الباحثين فيها أركي وادزر وسولبرجه.

قدمت وثائق ايبلا المقروءة إثباتاً أن الآداب التي زعم أنها يهودية ، تعود في ايبلا إلى ما قبل عصر داود بأربعة عشر قرناً. و يبدو ذلك واضحاً من الأسماء الواردة في الوثائق المكتوبة على الرقم الطينية والتي يزيد عددها عن خمسة عشر ألف رقيم. ومن هذه الأسماء : أور سلام واسماعيل واسرائيل وغيرها. ولم يستطع الأثريون، وحتى الأمريكي المشهور أولبرايت أن ينفي هذه الحقيقة ، على الرغم من عثوره على كثير من الآثار التي تعود فعلاً لعصر الحديد، لا ترتبط بأحداث التوراة.

القصص الديني التوراتي

إن عدم تطابق الأحداث التوراتية مع المكتشفات الأثرية كان موضع خيبة أمل كبيرة للعلماء الذين ابتدأوا ينفصلون عن الحدث التوراتي لمصلحة الحدث المكتشف ، وقد أعلن ذلك صراحة عدد كبير من العلماء من أمثال لاب وديفر وفرانكن وماتييه، بل أصبح الاعتماد على التاريخ التوراتي عبثاً يتحاشى العالم الموضوعي التنويه به. ولعل اكتشاف آثار إيبلا في تل مرديخ «سورية» كان فاصلاً في تحويل علماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق، وهو تأكيد الأحداث التوراتية.

ومع ذلك فإن ثمة أحداثاً توراتية محضة مازالت تحتاج إلى بحث، وهي تبدأ بقصة إبراهيم الخليل ومجال دعوته، وقصة موسى وجنسية قومه، ثم أرض التوراة وحدودها الجغرافية.

إن بعض البعثات التنقيبية التي أقامت مراكزها في القدس وعمان، ما زالت جاهدة في البحث التنقيبي دون أن تعلن عن يأسها بعد، لقناعتها المطلقة بالتوراة، وإن المصدر التاريخي التوراتي مازال مسلمة لفئة واسعة جداً من توراتيي العالم، الذين ترسخت في أذهانهم الأسطورة على أنها حقيقية، وليس يفرحهم أن تنكشف حقيقة الأسطورة، بقدر ما يهمهم أن تتأكد على أنها هي الحقيقية.

ولكـن إذا ما انفصل التوراة عن التاريخ، تصبـح الأحداث التوراتية من أمور العقيدة التي لا تدخل في عالم الآثار، أو هكذا يجب أن تكون.

والحـق أن خيبـة الآمـال المتتابعة التي أصيـب بها علماء الآثـار التوراتيين، جعلتهم يشكون في أرض التوراة ذاتها، كما فعل كمال صليبي في كتابه (التوراة كتب في عسير) فإذا كانت جميع أعمال التنقيب لم تؤكد بعد ما إذا كانت المواقع التوراتية مثل أورشليم أو جرار أو بئر السبع. هي ذاتها المعروفة اليوم، فإن هذا يعنـي أحد أمرين فإما أن يكون التاريخ التوراتي لهـذه المواقع مزعوماً، وإما أن تكون هذه المواقع هي غير المواقع التوراتية.

وفـي الحالتين فإن الشك يقع مرة على التاريخ التوراتي ومرة أخرى يقع على الجغرافيـة التوراتية، وأخيراً نـرى أن الشك يقع على الزمان والمكان التوراتيين بوقـت واحد، فـإذا كان الأمـر كذلك فإن الوجـود الصهيوني كلـه يصبح دونما إحداثيات جغرافية أو تاريخية.

البحث عن أصل اليهود

لا بـد من القـول إن اليهودية كدين أمـر قائم منذ زمن قديـم ولكن لم يؤكد العالم الأثري بعد تاريخ اليهودية كما ورد في التوراة. وصحيح أن تعاليم اليهودية كانت موضع اهتمام الديانتين المسيحية والإسلامية، وإن ثمة علاقة بين الأديان الثلاثة. ولكن السؤال من هم اليهود الأوائل، هل كانوا من سكان هذه المنطقة أم كانوا من سكان منطقة بحر الخزر، وما علاقتهم ببني إسرائيل، أي آل إبراهيم وأعقابـه؟. وهل جميع يهود العالم هم ورثة بني إسرائيل، وبمعنى آخر هل يشكل اليهود قومية متميزة تنتسب إلى بني إسرائيل، أم أن هذا الدين كان مفتوحاً لمن يؤمن به، وإن علاقة اليهود ببني إسرائيل هي علاقة دينية وليست عرقية قومية، وإن بني إسرائيل أي آل إبراهيم قد انتهوا مع يوسف وأن لا علاقة لموسى وقومه بالإسرائيليين.

وثمـة دراسات تاريخيـة وانتروبولوجيـة تؤكد عدم وجود علاقـة بين الدين اليهـودي والقومية. ويتوسع العلم المعاصر فـي التأكيد على أصول اليهود الذين

انشــروا فــي العالم في منطقة بحر الخــزر منذ العام ٧٤٠. حيــث انتمى الملك «بولان» اليهودية وتبعه أبناء شعبه.

أصبح الحديث عن حقيقة إسرائيل أرضاً وتاريخاً من الأمور القومية الأساسية لكــي يتمكن المفكر أن يضع تفسيراً لواقع سياســي مرير أصاب الوجود العربي. علــى أن موقف الفكر العربي لن يكون دفاعــاً لصد هذه المطامع وحسب، بل هو موقـف موضوعي لا بد لدعمه من العودة إلى التاريخ والبحث الأثري للكشف عن حقيقة هذه المزاعم والمبادئ.(٣٢)

الفصل التاسع

الأساطير والآلهة القديمة

أسطورة الوجود

أسطورة الطوفان

أسطورة جلجامش

تعدد الآلهة

بداية التوحيد الإلهي

عقيدة الهكسوس (الملوك الرعاة)

العقيدة الواحدية الأقدم

العقيدة التوراتية غير التوحيدية

الفصل السابع

الأساطير والآلهة القديمة

أسطورة الوجود

جـاء في أسطورة الخليقـة أن الإله الذي وكل بالموت وجد قبل خلق الإنسان. حتـى جلجامش لم يستطـع الحصول على الخلود. ولم يعتقد النـاس في ماري في الفنـاء المطلق، فقد تصـوروا أن الكائن الحي ينقسم إلـى جزئين، هما الجسد والـروح، فإذا مات الإنسان انفصلت روحه عـن جسمه ودخلت في دائرة جديدة هـي عالم الأرواح السفلي وتبقى هناك إلى مالا نهاية. ولم تصلنا وثائق تثبت أن أهـل الرافدين كانوا يعتقدون بعودة الروح إلى الجسم في القبر أو في البعث كما اعتقـد المصريون القدماء. ومع ذلك كله فقد اعتنـوا بتهيئة قبر الميت، وتطور بنـاء القبـر، منذ الألـف الثالثة ق.م. كان يوضـع الميت على ظهـره داخل بناء مستطيل الشكل من الطوب ومعه أوان من طين وبرونز. ثم تطور الأثاث الجنازي فأصبـح يشمل أشياء كثيرة منهـا السكاكين والموازين وحبات من عقيق. وكانت تقدم القرابين كل شهر. لعلهم يقصدون من وراء ذلك اتقاء الأذى الذي يحتمل أن يلحق به أكثر منه تكريماً له.

وُصـف عالـم الأرواح السفلي بأنـه عالم مخيف وكأنه مدينـة أحيطت بسبعة أسـوار، على كل منها شيطان مارد وتقوم آلهة قاسيـة بالحكم في هذه المدينة. وطالمـا أنهم لم يؤمنـوا بالبعث فلم يعتقدوا في الثـواب أو العقاب الأخروي، أي أنهم لم يتصوروا وجود جنة أو نار كما تصورها المصريون القدماء.

أسطورة الطوفان

مـن أقدم الاساطير أسطورة الطوفان. في زمن ما عندما أصبحت شوروباك مدينة آثمة ، قررت الآلهة إرسال طوفان يهلك الجنس البشري المثقل بالخطايا، لكن المعبود أيا أخذته الشفقة على ملك شوروباك وابنه اوبارتوتو (نوح) ، همس لـه سراً من جدار كوخ القصب بما تبيته الآلهة من هلاك. ونصحه أن يبنى فلكاً أعطاه مقاييسه لينجي به نفسه وعائلته وكل بذور الحياة.

وفـي اليوم التالي أخذ الملـك الصالح يبني فلكاً من سبـع طبقات، ثم طلاه بالقيـر وحمّله ذهباً وفضة وطيوراً وحيوانات ،ونقل اليه عائلته وأقاربه وصناعه، ولمـا تلبدت السمـاء بالغيوم السوداء دخل الفلك وأغلـق الباب وبدأت العاصفة الكبـرى مع رياح ورعـود أمطار وصواعق، بأمر بل سيد الأرض لعقاب البشر وقد فتح كل بوابات السماء وفاجأ بذلك كل الآلهة لمدة سبعة أيام.

حتـى الآلهـة عشتـار خرجت كامـرأة آلمها المخاض وهي تصيـح : « كيف أعلـن الإله حرباً تدمر شعبي وأنا التي تسعى لتزيد توالدهم؟ أما خلق الناس إلا ليمـلأوا البحر كالأسماك، أنت الحكيـم بين الآلهة أنت الشجاع! كيف بدون فكر تسبب الطوفان؟!».

فـي اليوم السابع هدأت العاصفة وسكن البحـر واستقر الفلك ، فتح نوح كوة ، رأى البشريـة تحولت إلى أوحـال فوهنت قواه وجلس يبكي. أطلق سنونو فعادت إذ لـم تجد مكاناً ترسو عليه، ثم أطلـق حمامته وعادت لنفس السبب ،ثم أخرج غراباً وأفلته، ذهب الغراب، بعد زوال المياه أخذ يأكل و يمشي في الأوحال.

إنها قصة التكوين البشري الرسمية وعلى هذا الأساس تقيّم درجتها الروحية في كل عصر.

أسطورة جلجامش

وفي عام ١٨٤٥ بدأ البريطاني سير هنري لايارد في التنقيب في نمرود (كلخ) ونينوى يعاونه المنقب العراقي هنري رسام (١٨٢٦-١٩١٠) فوجدا كنزاً لا يقدر

بثمن وهـو مكتبة آشور بانيبال (٦٦٩-٦٣٠) ق.م آخـر ملوك آشور العظام، ولم يـدر بخلده أن يعيد للعالم أدباً رائعاً مفقوداً من تلك المدينة الدارسة. وفي عام ١٨٥٢ خلفـه رسـام فاكتشف عـام ١٨٥٣ القسم الثاني من مكتبـة آشور بانيبال الذي حوى لوحات المجموعة الآشورية لملحمة جلجامش.

لقد تجمع من تلك المكتبة ٢٥٠٠٠ لوح طيني يحمل الكتابة المسمارية. إحدى مجموعـات المكتبة حـوت ٢٠٠٠٠ لوح تمثل التراث القديم لبلاد ما بين النهرين فـي الأدب والدين والإدارة والتجارة مع عدد كبيـر من الرسائل وفروع العلم من رياضيـات ونبات وكيميـاء ونواميس. ويخبرنا آشـور بانيبال أنـه أرسل البعثات ليتفحصـوا سجلات مراكز العلـم القديمة في بابل وأوروك ونيبـور ولينسقوا أو يترجمـوا إلى الأكادية تلك النصوص التي كانت مكتوبة بالسومرية فجمع مكتبة ممتازة «دونت حسب النص الأصلي ونظمت في قصر آشور بانيبال، ملك العالم، ملك آشور» نقلت هذه الألواح إلى المتحف البريطاني في لندن حيث تحفظ الآن. وقد بدأ هنري روبنصن في حل رموز تلك الألواح هو حجر بهيستون (باهستان) المـدون بثلاث لغـات، سجلا لدرا (داريوس) ملك فارس بلغـة فارس القديمة وعيلام وبابل. وفي ١٨٦٦ انضم إليه جورج سميث في معالجة الألواح. وفي ١٨٧٢ أعلـن سميث في اجتماع بجمعية «آثـار الكتاب المقدس» أنه «قد كشف منذ وقت قصير من بين الألواح الآشورية في المتحف البريطاني عن رواية عن الطوفان». وعندمـا نشر جورج سميـث الرواية الآشورية للطوفان ذكر أنـه يبدو أنها نسخة عـن ترجمة أقدم منها كثيـراً تمت في مدينة أوروك وعند التوسع في فك الرموز السماوية وجد بين الوثائق اثنتي عشرة لوحة شعرية يحمل بطلها اسم جلجامش، ولوحة الطوفان كانت اللوحة الحادية عشرة وهذه المجموعة المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال في نينوى تمثل أكمل نص لملحمة جلجامش.

إن ملحمة جلجامش تستحق أن تتبوأ مكانها في الأدب العالمي، لا لأنها سبقت الملاحـم الهوميرية بألف وخمس مئة سنة على الأقل وحسـب، بل من أجل نوع القصـة التي ترويهـا وطبيعتها. فهي مزيج مـن المغامرة والأخـلاق والمأساة.

وجلجامش ليس أول بطل بشري بل أول بطل مأساوي يمثل خوف الإنسان من الموت واهتمامه بالتهرب من هذه النهاية المحتمة.

وهناك أسباب وجيهة لشهرتها وذيوعها بين الجماهير في الأزمان القديمة والحديثة على السواء. لأن ملحمة جلجامش تعد من حيث أهميتها الإنسانية ووقعها الدراماتيكي قطعة فريدة في الأدب البابلي. ففي ملحمة جلجامش يكون الإنسان يحب ويبغض، يفرح ويكافح، يخاف ويأمل ويقنط ولا يكون مجرد كركوز تحركه أيدي الآلهة ولا إرادة له. إنه تدور حول مشاكل عامة في حياة الإنسان حيث كان وخلال جميع العصور. كالحاجة إلى الصداقة والرفقة والولاء والإخلاص والحوافز الفردية والمغامرة والخوف من الموت وحبه الخلود.

تبقى ملحمة جلجامش مجرد إنتاج فني أكثر منها وثيقة دينية، وهي إنجاز شعري يسمو على الزمن وأقدم ملحمة بطولية في التاريخ. هي مثال في التركيب الملحمي تتناول مشكلة الإنسان الأزلية مشكلة الحياة والموت وبالتالي جدوى الوجود الإنساني أو عدم جدواه. ومن ثم خلق وفناء الإنسان على أيدي الآلهة. وهكذا كانت أفكار الملحمة لا تشكل معنى إقليمياً بل إنسانياً وعالمياً. لهذا نعتبر هذه الملحمة من روائع الأدب العالمي أكان جلجامش الملك تاريخياً أم مجرد أسطورة.

وتشكل ملحمة الخلق وملحمة جلجامش الملحمتين الرئيسيتين في أدب ما بين النهرين وماري. لكن ملحمة الخلق «أنوما ايلش» هي أقرب إلى نوع الأدب الكهنوتي الفلسفي الديني.

كان جلجامش يمثل الصورة الأولى والصادقة لقوة الحياة، وقد استغل رجال ونساء مدينته لبناء أول سور مدينة في العالم. ليس لجلجاميش ميلاد مصحوب بالخوارق والأساطير عن طفولته، كما هو الحال بالنسبة إلى الكثير من أبطال الحكايات الشعبية، فالقصة تبدأ وجلجاميش في مكتمل الرجولة، متفوق على كل من عداه من الرجال في القوة والجمال، وفي شهوات لا تشبع هي وليدة طبيعته

نصف الإلهية. وتصف الحلقة الأولى كيف أوجدت الآلهة رفيقاً له، وكان هو إنكيدو «رجل الطبيعة» الذي تربى مع ضواري الحيوان وكانت له سرعة الغزال. لكن بغياً من بغايا المدينة لم تلبث أن أغوت إنكيدو، وكان في فقدان براءته خطوة لا رجعة فيها نحو ترويض الرجل الوحشي، فعندئذ صدت عنه الحيوانات، واقتيد هو على درب التمدن في مراحل، فتعلم أولاً لبس الثياب وأكل طعام البشر ورعي الأغنام ومقاتلة الذئب والأسد حتى وصل آخر الأمر إلى مدينة أوروك ذات المدنية العظيمة

تعدد الآلهة

ابتدأت العبادة في العصر الحجري بتقديس الآباء ، واستمرت حتى الألف الأول″ ق.م. وفي تل أسود قرب دمشق عثر على جمجمة ملونة لأحد الجدود. وكانت تحفظ في مذبح منزلي يحوي تمائم.

كان للآلهة ظاهرة واضحة وهي علاقتها بظواهر الطبيعة والحياة، فحينما تحدثوا عن أصل الوجود جسموا السماء والأرض والماء والشمس والقمر والهواء، كما خصصوا آلهة أخرى لمختلف شؤون الحياة كالحرب والموت والحب والعلوم... الخ. وقد تعددت الآلهة في الجهة الغربية أهمها. **الإله ايل رب الأرباب الواحد (شكل٣٧) والإله بل**

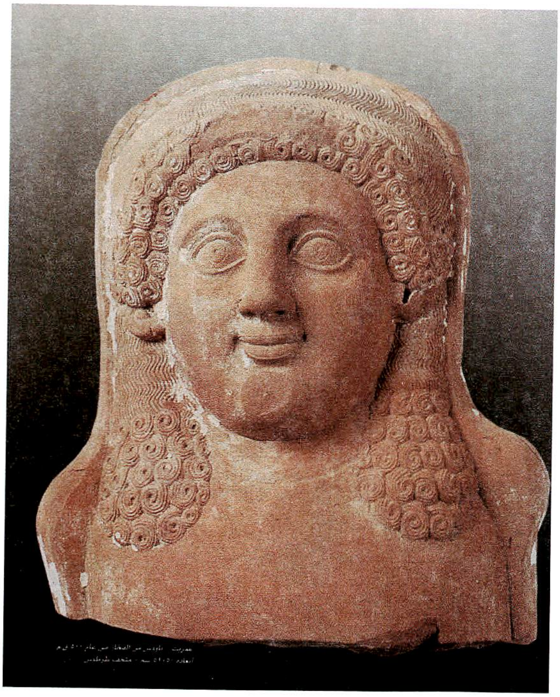

٣٧- عمريت- رأس الناووس

أو الإلــه حدد إله الأمطار والرعد والفيضان، وقد قدسه الحثيون باسم «تشوب» كما عبده الآشوريون وشيدوا له معبداً في آشور.

وكانــت الآلهة عشتار آلهة الحب والحرب فــي وقت واحد، ورمز لها بالزهرة. وقــد انتشرت عبادتها في جميــع أنحاء بلاد الرافدين وسوريــة ، وكذلك امتدت عبادتهــا فعبرت البحر إلى بلاد الإغريق، وسميت هناك «أفروديت» وانتقلت بعد ذلك إلى روما فعبدها الرومان وسموها «فينوس».

سماهــا السومريون «اينانــا» أو «انيني» بمعنــى سيدة السمــاء، وأطلق عليها الأكديون والآشوريون «عشتار»، وعرفت في سورية بإسم «عشتاروت وعشتوريت».

وفــي الجهــة الشرقية كان آنــو أبا الآلهة، ولذلك كان يعــد النموذج الأول لكل أب، كان أيضــاً الملك والحاكــم من أجل ذلك اعتبروه النموذج الأول لكل حاكم. وكان آنو يمثل السلطة، لذلك اعتبرت رموز السلطة (الصولجان، والتاج، ورباط الرأس) كلها مستمدة من آنو، وأنها نزلت من السماء إلى الأرض. انتشرت عبادة آنــو فــي جميع أنحاء بلاد ما بيــن النهرين، وفي جميع العصــور، وأقيمت له دور العبادة في مدن كثيرة.

وثانــي الآلهــة كان الإلــه إنليــل و يــدل اسمــه «إن-ليــل» على أنــه كان (سيد العاصفــة). كان سيــد ما بيــن السماء والأرضـ، وهو يعد إله الهــواء والجو وما يتعلــق بهما، كما لقب أيضاً بأبي الآلهة.. وكان يقود أنليل الآلهة إلى الحرب، فهو يمثل القوة والبطش ،وجاء ذكر أنليل في شريعة حمورابي.

وثالــث الآلهــة الكبرى في بــلاد الرافدين الإله أنكى أو ايــا ، وأنكى هو الاسم السومري ومعنـاه (سيد الأرض) وكانت مملكته هــي «أبسو» وهــي المياه التي تحمل الأرض وتنتشر حولها. وأسماه الساميون «أيا» ومعنـاه (بيت المـاء).

كان أنكى القــوة الخلاقة، وكما قلنا أن اسمه السومري معناه (سيد الأرض) كان أنكى رمزاً للماء، فهو القوة الخلاقة، وقد قدسه النـاس في جميع أنحاء بلاد

ما بين النهرين ،أسماه السومريون والبابليون «سين» وكذلك سمي «ننار» أو «ننا» ومعناه (رجل السماء)

هـذا وقد انتقلت عبـادة الإله سين إلـى سورية وعبـده الفينيقيـون وكذلك الآراميون وكذلك العرب البدوعلى أنه القمر.

الهكسوس (الملوك الرعاة)

استطـاع النظام العقائـدي السوري الانتشار خـارج سورية، ولعل الظروف الحربيـة القاسيـة فـي البـلاد العمورية وبخاصة فـي إيبلا، كانت السبب في نزوح السوريين إلى مصر على موجات متتالية، وكانوا يحتلون بعض المواقع مثـل «قطنـة» (المشرقة قـرب حمص)، وكانت عاصمتهـم «شكيـم» (نابلس) و«أريحا» (تل الدوير) حتى استقر بهم الأمر في سيناء ومنها إلى مصر حيث تمكنوا من الاستيلاء على الحكم خلال ١٧٨٥ق.م-١٥٨٠ق.م. وكان المصريون يطلقون عليهم اسم «مينوساتي» أي رعاة آسيا، وأطلق عليهم اليونان فيما بعد اسم «الهكسوس» أي الملوك الرعاة، وجرى على هذا الاسم المؤرخون.

كان «الهكسـوس» محاربين أشداء وكانت مواقعهم محصنة ومسورة ومحاطة بخنادق المياه في سورية. وفي مصر أقام زعيمهم «سلاطيس» أولا في «ممفيس» وفرض الجزية على مصر العليا والسفلـى، وأقام فيها المعاقل لصد الآشوريين عـن وادي النيـل، ثم بنـى مدينة «أوراس» فـي ولاية «حمان» وحصنهـا بالأبراج والقـلاع والأسـوار وأكثـر من حاميتهـا التي بلـغ عددها ٢٤٠ألـف مقاتل. وكان «سلاطيـس» يأتـي إليها صيفاً لجمع الحنطة ودفع رواتـب الجند والإشراف على تنظيـم الجيش وتدريبه لحماية سلطانه على مصر. وكان «الهكسوس» قد أدخلوا إلـى مصر استعمال الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول، مما ساعدهم علـى الفتـح والاحتلال وفرض القـوة والهيبة علـى المصريين الذين لـم يألفوا هـذا النوع من العتاد والسلاح، كالسيـف المقوس المصنوع من الحديد والقوس المركب، كما أدخلوا تحسينات هامة في صناعة المعدن.

بداية التوحيد الإلهي

يحدثنـا التاريـخ عن دور الملـوك السوريون الرعاة (الهكسوسـ) وقد تتابع نزوحهم وحكمهم مصر خلال قرنين كاملين ،حاملين عقيدة توحيدية تتمثل بإله الجبل غير المشخص. وكان أخناتون آخر من تبنى العقيدة التوحيدية المنتشرة في دمشق التي ترتبط بفرعون مصر بروابط عقائدية وتجارية وعسكرية.

وكان اسم الإله «إيل» رب الأرباب شائعاً عند «الهكسوس»، ولكنهم لم يفرضوه علـى المصريين، إلا أن العقيدة بالإله الواحد قد تسربت عنهم إلى المصريين، وكانـت ثـورة «أخناتـون» التي جعلـت «آتون» الإله الـذي وراء الشمسـ وصانعها عوضـاً عن «أمون» إله الشمس فقط. واستقرت هذه العقيدة عند قوم موسى من المصريين فيما بعد وليس لهؤلاء علاقة بآل إبراهيم على عكس ما يذكر التوراة.

وفـي رسائل تل العمارنة بيـن سورية ومصر إيضاح لعلاقـة سورية بمصر و انتقـال العقيـدة السورية في عهد أخناتون فرعون مصر. هـي رسائل على ألواح طينيـة اكتشفت عام ١٨٨٧ في تل العمارنة التي كانت عاصمة «أخناتون» ١٣٧٥-١٣٥٨ق.م واسمهـا «أخـت آتـون». وكان هذا الفرعون قد نـادى بالتوحيد متأثراً بالعقائـد السوريـة القديمـة، فنقل عاصمتـه من طيبـة إلى العمارنـة التي تقع شمالـي القاهرة. وهذه الألواح أو الرقم وجـدت محفوظة في ١٢٠٠ جرّة تشتمل على سجـلات ملكية ورسائل من ملوك سورية إلـى تحوتمس أو امنحوتب الثالث وإبنـه أخناتون. وهي مدونة بالمسمارية وباللغة السورية القديمة. وأصبحت هذه الرسائـل مصدراً تاريخياً هاماً عن الفترة خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م. وقد نشرت هذه الرسائل بلغات مختلفة.

في هذا العصر كان الفرعون امنحوتب الرابع قد غير العقيدة المصرية التي تؤمـن بالشمس (آمون) بإله موحـد لعله الخالق الأسبق هو(آتون) الممثل بدارة تحيـط الشمس. وغيّر الفرعـون إسمه وأصبـح (أخناتون). كمـا غيّر عاصمته وأصبحت (أخت آتون)العمارنة اليوم ..حيث عثر على جرار الرقم التي أرسلت من ملك دمشق إلى أخناتون

هكذا تغيّرت ملامح العمارة والفنون والنظام الاداري تبعاً للعقيدة التوحيدية التي نقلها الهكسوس.

العقيدة الواحدية الأقدم

يؤكـد فرويد في كتابه (موسـى والتوحيد) المعتمد على كتـاب يوسفوس، أن النبي موسى كان في بدايته قائداً مصريا، وكان من أتباع أخناتون فرعون مصر الـذي تبنى الديانة التوحيدية، وهي ديانة تؤمن بإله واحد (آتون) يقع فيما وراء الشمس، فهو خالق الشمس (آمون) وخالق الكون كله وهو رب العالمين وليس إله مصـر وحدها، ثم هو إله موجود في كل مكان وزمان، وليس له صورة فهو لا يرى ولا يمس. وتقوم العبادة الاخناتونية على السلم والإخـاء الإنساني. وعلى رسالة إنسانية تبنى نشرها الملك آخناتون أي عبد الإله، فنفى عن نفسه الألوهية التي كان يتمتع بها الملوك الفراعنة، وضحى بجميع ميزاته لكي يؤدي رسالة التوحيد، فكان بذلك أشبه بالنبي، فلقد ألغى الآلهة السابقة مثل آمون وايزيس وحتحور... لكـي ينادي بإلـه واحد. وبعد أن مـات اخناتون بعد حكم طال سبعـة عشر عاماً (١٣٧٥-١٣٥٨ق.م)، خلفـه توت عنخ أمـون الذي حارب الكهنة من اتباع آمون، فنقضـ العقيدة التوحيدية، وأعاد البلاد إلى العقيدة الآمونية ونقل العاصمة من تل العمارنة إلى طيبة.

وامتدت موجة الاضطهـاد ضد المؤمنين بالتوحيـد الاخناتوني، ولعل موسى كان منهـم، فهاجر إلى سيناء جامعـاً بعض المضطهدين الذين آمنوا بالتوحيد، ولكنهـم وقد أنهكهم التيه في سيناء عادوا إلـى عبادتهم السابقة وخذلوا موسى وقتلـوه وتولى يشوع بعد ذلك قيادتهم للتغلغل والتسـرب إلى فلسطين عن طريق أريحا.

تتجلى الهوية الثقافية من خلال ارتباط الأجداد بالعقيدة الواحدية المختلفة عـن العقائـد اليهودية والفارسية واللاتينيـة. العقيدة التي بقيـت صامدة بدءاً بالإلـه إيـل، وكان معبوداً منذ العام ٢٤٠٠ قبل الميـلاد، وهو رب الأرباب العلي العظيـم، ولعلـه أصبح رب إبراهيم الخليل، وليس لـه علاقة برب اليهود يهوه.

و تؤكـد التسميـات التـي عثر عليها مكتوبة فـي وثائق إيبلا ، هـذا الانتماء وتلك العقيدة. مثل : اسماعيل (يسمع إيل) وميكائيل (من ك إيل) وإسرائيل (أسير أو عبد إيل) و كيا(كالإله يا) ، و كإل (كالإله إل)

العقيدة التوراتية غير التوحيدية

لم يفطن كتبة التوراة إلى التقارب القائم بين التوحيدية ، والتي دمج فيها رب السماء في بلاد الرافدين مع رب الأرض في إله واحد، وبين التوحيدية المصرية التـي تقوم على إله هو الخالق لآمون (الشمس) ولجميع الكائنات الصغرى، وهو إلـه غير مشخص ولا شبيه له، ويعبر عنه بهالة الشمس. أما التوراة فلقد جعل يهوّه إلهاً خاصاً ،مع أن يهوه كان إلهاً إقليمياً آمن به قوم مؤاب. واصبح هو نفسه حسب عقيدتهم إله إبراهيم واسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى، باعتبار هؤلاء جمعيا هم أصول اليهودية، ونادوا بأنفسهم أبناء إسرائيل.

الفصل العاشر

تراث الممالك الآرامية وآسوراعربايا

بلاد أرام

عين داره

مملكة دمشق

أشهر الممالك الآرامية

الآراميون- الأخلامو

الأحداث العسكرية

آسورا عربايا

حدود الشام

الفصل العاشر

تراث الممالك الآرامية وآسوراعربايا

بلاد أرام

أرام تسميـة جغرافية ، تعني الأراضي العالية وذلك بالنسبة للرافدين أو هي تعني الأراضي المرتفعة الجبلية. على أن الآشوريين هم الذين أطلقوا اسم أرومو وأرامو وجمعهم اريمي على بلاد أرام وعلى سكان تلك المنطقة. و لعل اسم أرام خامس أبناء سام بن نوح هو جد الآراميين وأن تسمية الآراميين جاءت من هذا الجـد المفترض. ومصطلـح أرام النهرين كما ورد في التوراة إنما يعني الأقسام الشماليـة مـن الرافديـن وبالتحديـد المنطقة الواقعـة بين منبـع البليخ وحتى الفـرات، ولقد عرفت باسم بيـن النهرين أو «مينروبوتاميـا» ومركزها «حران». وكان بوليبوس (٢٠٢-١٢٠ق.م) المؤرخ الإغريقي أول من أطلق هذه التسمية.

كان الآراميـون قد استقـروا منذ الألف الثالث في هـذه المنطقة وكانت لهم لهجتهم المتميزة التي حملت فيما بعد اسمهم. أما وجودهم السياسي فلم يتضح إلا بعـد زوال الإمبراطورية العمورية أو بعد ضعف نفوذها عام ١٥٠٠ق.م. إلا أن تواجدهـم المستقر والمشترك أوضح حدود بـلاد أرام. منذ ذلك الوقت تقريباً توسـع الآراميون باتجـاه الجنوب لكي يستولوا على جميـع المنطقة أو لكي تظهر مدن وممالك تحمل اسمهم.[٣٢]

عين داره

لعل عين داره الواقعة غربي حلب طريق اعزاز -عفرين هي من أهم المواقع الأثرية الآرامية التي تحمل آثار النزاع مع الحثيين. ولعلها عاصمة بيت آجوشي حسب رأي الزميل علي أبوعساف الذي تولى التنقيب في هذا الموقع حيث اكتشف المعبد حسب الأسلوب المعروف ببيت هيلاني. . وأهم ما يميز هذا المعبد ، هوزخرفة جدرانه الخارجية بلوحات نحتية تمثل أسوداً وأبا الهول. ،(شكل٣٨). كما يتميز ،بآثار أقدام كبيرة يبلغ طولها ١٧ سم كدليل لدخول المعبد.

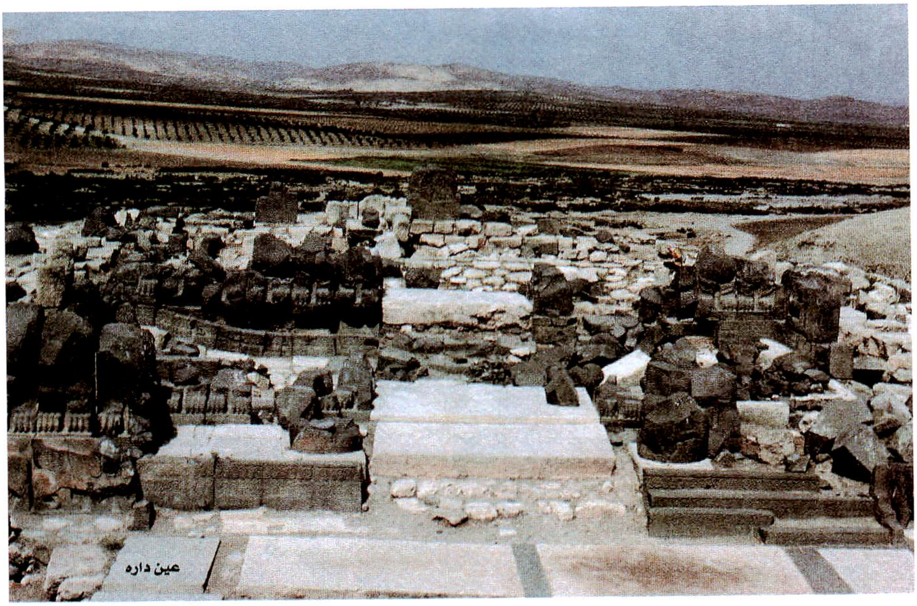

٣٨- موقع عين داره

يتألف هذا الموقع من مرتفع هو الحي الملكي وتحته يقع الحي الشعبي. ولقد كان هذا الموقع محمياً بسور منيع مبني بالحجارة واللبن (شكل٣٩). ويحيط السور المدينة كلها وتنفتح فيه بوابات تحيط بها من الجانبين أبراج، وتقوم بوابة المدينة الرئيسية عند تمثال الأسد المكتشف هناك.. ولقد سكن هذا الموقع في جميع العصور حتى عصر الحمدانيين... وهذا الموقع لم يحدد اسمه القديم بعد، ولكنه يبقى بآثاره الضخمة مرشحاً أن يكون عاصمة لمملكة آرامية. [٣٤]

٣٩- النحت الجداري في عين دارا

أشهر الممالك الآرامية

في نهاية النصف الأول من الألف الثاني ق.م ابتدأ ظهور الآراميين في سورية وابتدأ تجمعهم في الشمال وفي تدمر وعلى العاصي، وبعد أن تم استقرارهم انتشروا في أنحاء واسعة مشكلين ممالك متجانسة في اللغة والحضارة والعقيدة ومن أهم الممالك الآرامية بيت بخياني ومملكة صوبا ومملكة دمشق. أما بيت بخياني فكانت عاصمتها غوزانا (تل حلف) التي اكتشفت حضارتها الغابرة في الألف الخامسة وتقع قرب «رأس العين» على الحدود التركية ، ومن أشهر هذه الممالك:

ـ مملكة فدان آرام وعاصمتها حران.. مملكة صوبا في سهل البقاع.. مملكة آرام النهرين (بين الفرات والخابور) .. مملكة بيت عديني وعاصمتها تل بارسيب (تل أحمر) .... مملكة شمأل عند سفوح جبال الأمانوس.. مملكة حماة.. مملكة بيت رحوب عند مجرى الليطاني.. مملكة آرام معكا في الجولان.. مملكة جشور بين دمشق ونهر اليرموك.. مملكة بيت آجوشي وعاصمتها أرباد (تل رفعت) ، مملكة دمشق.

مملكة دمشق

بعد موت أخناتون كانت ثمة حروب دامت حتى موقعة قادش في مايس عام ١٢٧٤ ق.م ،وتم انحسار وجود المصريين والميتانيين والحثيين في دمشق ، أصبحت دمشق مركزاً لمملكة آرامية سيطرت على جميع الأمراء الآراميين من شمال الجزيرة الفراتية وحتى سيناء. وكانت دمشق المملكة الأهم في هذه المنطقة الواسعة التي تضم سورية الكبرى كما يذكر استرابون في كتابه (الجغرافيا).

وفي العصر الآرامي كان اسم آرام وحده، يعني دمشق. وأخذت ملامح الهوية الآرامية تبدو عليها سياسة وثقافة ولغة. ثم أصبحت المملكة الأكثر نفوذاً على الممالك جابهت الآشوريين وهي تحمل اسم ملكها حزائيل بعد انتصاره في موقعة جلعاد وكان عصره زاهراً.

ومملكة دمشق بوصفها أقوى الممالك الآرامية، لعبت دوراً هاماً في عهد ملكها «ابن حدد» (بنهدد) ٨٧٩-٨٤٣ق.م حيث فرضت نفوذها على البلاد المجاورة وعقدت معها أحلافاً ضد أطماع الآشوريين. واستطاع خلفه صد هجومين قاما بهما شلمناصر الثالث سنة ٨٤٣ق.م و٨٣٨ق.م إلى أن احتلها «تغلات بلاصر» الثالث ٧٣٢ق.م بعد حصار سنتين تم قتل ملكها رصين وقضى على الحكم الآرامي الدمشقي.

ولقد استطاع العالم سوفاجيه أن يحدد أبعاد آرام- دمشق ضمن السور، وأن يرسم شوارعها والمعبد الآرامي والقصر الملكي في منطقة السماكة، بيد أن الأسبار التي أجراها الدكتور غزوان ياغي في موسمي ٢٠٠٩- ٢٠١٠ في تل السماكة لم تؤكد وجود أي بقايا أثرية.

ومازالت القرى المحيطة بدمشق تحمل اسمها القديم في العصر الآرامي. ولقد اكتشف في جدار الجامع الأموي بدمشق لوح نافر يمثل أسداً آرامياً مجنحاً، محفوظاً في المتحف الوطني. (شكل٤٠)

٤٠- الأسد الآرامي المجنح

الآراميون - الأخلامو

ومـن المؤكـد أن الآراميين لم يكونوا على مستوى واحـد من الحضارة. فكان منهـم أهل الحضر والمدن. ولقد عرفت بعض أسماء القبائل والعشائر التي كان لهـا دور تاريخي. مثل **أخلامو** وهـي تسمية شاملة لجماعـة القبائل البدوية في شمالي الجزيرة العربية الذين لعبوا دوراً في صد الهجوم الآشوري مع أهل المدن مـن الآراميين، ثم اندمجـوا بهم بل صار اسمهم كثيراً مـا يطلق على الآراميين أنفسهـم. ولقد وردت هـذه التسمية «اخلامو» في رسائل تل العمارنة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م وكان المقصود بها أحلاف آرام. وهناك تسمية الخبيـرو أو العبيـرو وكانت تطلق علـى القبائل العربية الرحـل التي كانت تجوب البادية فهم العابرون في البادية وأهل الخبرة في مساراتها، ولعل التسمية جاءت مـن هذيـن المعنيين. إلا أنه لا بد من الإشارة أن هذه التسمية أطلقت أيضاً على أتبـاع موسى وهم مـن القبائل الرحـل أيضاً. ولقـد حرّفت التسميـة فأصبحت

«عبري» وليس لهذه التسمية أية علاقة بالعبور.[٣٢]

الأحداث العسكرية

امتد الآراميون بنفوذهم التجاري إلى خارج حدود هذه المنطقة، وكان منهم بطون في العراق وبطون في سيناء وفلسطين، وانتشرت مع تجارتهم لغتهم حتى أصبحت لغة رئيسية في بابل وآشور ومصر وفارس وفلسطين. وكانت الآرامية لغة السيد المسيح، بل إن انتشار الآرامية أدى إلى إطلاق تسمية آراميين على جميع من يتكلمها من بلاد فارس وحتى حدود بلاد الأرمن وبلاد الإغريق ومصر.

ولعل الالتحام القوي الذي بين الآراميين والآشوريين في الألف الأول. وبين الآراميين والكلدان وبين هؤلاء والكنعانيين. قد وسع رقعة البلاد الآرامية. ولا بد أن نشير إلى تحالف الآراميين مع بعضهم ضد شلمناصر عام ٨٥٣ ق.م وانتصارهم في موقعة قرقر.

تعرضت سورية الآرامية بوصفها قلب المنطقة العربية الأم، لأحداث عسكرية هامة، وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تعرضت لاحتلال مؤقت من قبل الكاشيين ثم الحثيين، وفي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد أغار عليها الحثيون وشعوب البحر وتصدت لهم مصر وسورية، وفي النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد خاضت البلاد حرباً منتصراً على الجنوب. ، ثم احتل الفرس الأخمينيون البلاد بسبب خيانة الكهنة البابليين بعد أن احتلوا بابل ٥٣٩ق.م بقيادة «قورش»

انتهت الدولة الآرامية التي لم تكن موحدة سياسياً في عام ٧٢٠ ق.م على يد «شاروكين» ملك آشور، حيث قضى على مملكة حماة، وكان تغلات بلاسر الثالث قد احتل دمشق عام ٧٣٢ ق.م. لكن النفوذ الآرامي استمر عن طريق نشوء الدولة الكلدانية ٦٢٥ق.م على يد نبو بلاسر. وما زالت أكثر المدن السورية تحمل أسماء آرامية حتى اليوم ، وثمة قرى مثل معلولا وجبعدين يتكلم أهلها الآرامية لغة السيدالمسيح. وقد أطلق على اللغة الآرامية اسم اللغة السريانية نظراً لأنها كانت لغة الآشوريين أيضاً. وتبدو هذه اللغة واضحة على كتابة تمثال

الاسد الآرامي التدمري. (شكل ٤١)

٤١ - الأسد الآرامي في تدمر

عندما هلك آخر أقوام الآراميين وهي عاد وثمود أصبح اسم الآراميين «أرمان». وهي آرام وأضيف إليها «ان» في النهاية وهما حرفا التعريف حسب الجنوب العربي. والأقوام البائدة وهي عاد وثمود وطسم وجديس واميم وعماليق ورهط وجاسم وقحطان إلخ.. ولقد أطلق عليها اسم العرب البائدة، وكانت تحمل اسم العرب العاربة بمعنى الرساخة في العروبة كما يقول ابن خلدون. وهذا يعني أن الآراميين هم من أصول العرب في الشمال. (٣٥)

آسورا عربايا «سوريا العربية»

وصلت الدولة الآشورية الحديثة أوج توسعها في عهد آشور ناصربال وكانت سورية جزء من هذه الإمبراطورية. ثم ظهر الاخمينيون الفرس من أعقاب الميديين وأسس قورش «سيرهوس» ٥٥٩-٥٢٩ ق.م دولتهم. ثم جاء بعده قمبيز الذي استولى على سورية وعلى مصر وكان مستبداً أشبه بالمجنون. ثم جاء دارا الأول ابن هيستاسيس ٥٢٣ ق.مالذي قسم الإمبراطورية الضخمة التي وصلت إلى جبال الهندوس شرقاً وإلى مصر غرباً إلى ٢٠ ولاية Satrapies مرزبانة وتتمتع بحكم

ذاتـي مع سلطة مركزية وتعني بالفارسية سيد البلاد.. وكان هذا الملك الفاتح قد توسـع في انتصاراته وسجل ذلك على جـدار جبل بهيستون (الذي يقع بين همدان وبابل)، وفيه نقوش تمثل انتصار دارا الأول واهورا مزدا يبارك هذا الانتصار. مع كتابات مسمارية تعبر عن هذا الانتصار، ومن هذه الكتابات تمكن العالم راولنسون مـن فك رموز المسمارية. علـى أن كتابة بهيستون تضمنت أسمـاء ثلاثة وعشرين ولايـة، أما كتابة نقش رستم (حيث قبور الملوك الاخمينيين) فلقد تضمنت أسماء ثمانية وعشرين ولاية. ولقد عددت هذه الولايات في كتابات هيرودوت. وكانت ولاية سورية من حران شمالاً إلى سيناء تسمى اسورا عربايا. وتشمل منطقتين: شمالية هـي منطقة الجزيرة وحلب وحتى حوران والليطاني، وجنوبية هي بلاد العرب وهي بذلك جزء من الإقليم الخامس (مرزبانة عبر نهرا).

ورمـز إلى الشعـوب التي استولى عليهـا دارا الأول في النقوش التي مازالت قائمـة من آثـار برسيوبوليس وفيها رمـز لاسورا عربايا (شـكل٤٢). مؤلف من رئيـس بيده عصا وفـي حزامه خنجر وعلـى رأسه قلنسـوة كالطربوش ويرتدي

بيرسيبو بوليس

٤٢- لوحة - آسورا عربايا

قميصاً فضفاضاً وشروالاً عريضاً. وخلفه تابع ممسك بيده جلبابا وعلى رأسه قلنسوة ذات طبقات خمسة. ووراءه تابع آخر بنفس الملامح ولكنه يحمل في كل يد إناء ذا عروتين على شكل أفعى. وتابع ثالث بنفس الملامح ويحمل في كل يد خلخالاً كبيراً أو حلية ما. ونرى أخيراً تابعين حاسري الرأس يقودان حصانين عربيين. ولقد مثل الوفد السوري في هذه المنحوتات وهو يقدم أعمال الصناع المشهورين والمنتجات المعدنية والخيول التي كانت البلاد مشهورة بتربيتها وإنتاجها.

وكان هذا بداية تسمية هذه المنطقة باسم سورية، ولكن هذه التسمية اقترنت بصيغة عربية لأول مرة. وكانت صيدا عاصمة هذه الولاية، ولمع اسم صور ـ تير ـ أوتسور (وتعني الصخر) في ذلك العهد، وليس لاسم صور أية علاقة باسم سورية.

ويقول استرابون أن دمشق كانت المدينة الأكثر أهمية في العهد الفارسي، أما أرواد وجبيل وصيدا وصور فكانت تتمتع بحكم محلي، وفي القرن الرابع توحدت تحت سيطرة طرابلس (آثار).

لكن اللغات الرسمية كانت ثلاثة وكانت الآرامية هي الرابعة انتشرت من الهند إلى مصر. وعلى واجهات قصر الملك في «بيرسيوبوليس» منحوتات بارزة تمثل وفود «المرزبانات» التابعة للفرس، ومنها كانت «مرزبانا أسورا عربايا» التي كانت تعني سورية، وكانت تضم القسم الشمالي «آسورا» والقسم الجنوبي عربايا. وهذه التسمية هي الأولى التي حملتها البلاد

حدود الشام

كان العرب في الجنوب يطلقون اسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية. وما زال اسم الشام يتردد على ألسنتنا، على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية، فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية، عرفوا

(الشام) مـن خلال التاريخ، وتضطرهم ظروفهم لكـي يعرفوا الشام من خلال الحـدود السياسيـة، فيتبادلـون تسميات أخـرى، ولكن اسم الشام مـا زال أكثر تـداولاً، على الرغم من أن حجم هـذا الاسم تكثف في مدينة واحدة هي دمشق. إن اسم الشام قديم، ولقد استعمله العرب للدلالة على جميع المناطق الشمالية. كمـا أن عـرب الشمال كانوا يطلقـون اسم اليمن (يمنـات) أو يمون على مناطق الجنوب، وكان الهمذاني في كتابه الإكليل قد ذكر لأول مرة اسم الشام.

حدود بلاد الشام إذاً، وبحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريباً سورية الحالية ولبنان وفلسطين والأردن وسيناء وجنوب الأناضول.

الفصل الحادي عشر

التراث السوري وأثره في الغرب

أثر الابجدية السورية

الأميرة السورية أوربا بنت أجينور

أثر العقيدة السورية

السوريون في عصر الاغريق

الفصل الحادي عشر

التراث السوري وأثره في الغرب

أثر الابجدية السورية.

لكي نبدأ الحديث عن سورية الحضارة وما أعطته إلى الغرب، لابد أن نتحدث أولاً عن الأبجدية التي ابتكرها السوريون القدماء ونقلوها إلى الغرب.

ابتدأت الكتابة في سورية في القرن الثالث والعشرين ق.م في ايبلا وتل البيدر«نباذا. وفي عام ١٩٣٣م، عثر في مدينة أوغاريت «رأس الشمرة» قرب اللاذقية على رقيم صغير الحجم يحوي عدداً من الصيغ المسمارية وعددها إثنان وعشرون شكلاً، تبين بعد الدراسة والتدقيق أن هذه الأشكال المسمارية ما هي إلا حروف أبجدية لم يعرف لها نظير، بل لقد تأكد للباحثين أن هذه الأبجدية هي الأولى في العالم وأنها ترجع إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. (شكل٤٣) وكان العالم مونتيه قد عثر عام ١٩٢٢ على أبجدية أخرى

رقيم أبجدية أوغاريت

٤٣- أبجدية أوغاريت

فـي جبيل وعددها ثلاثون شـكلاً منقوشة على ضريح أحيـرام وترجع إلى زمن لاحق. (شكل٤٤)

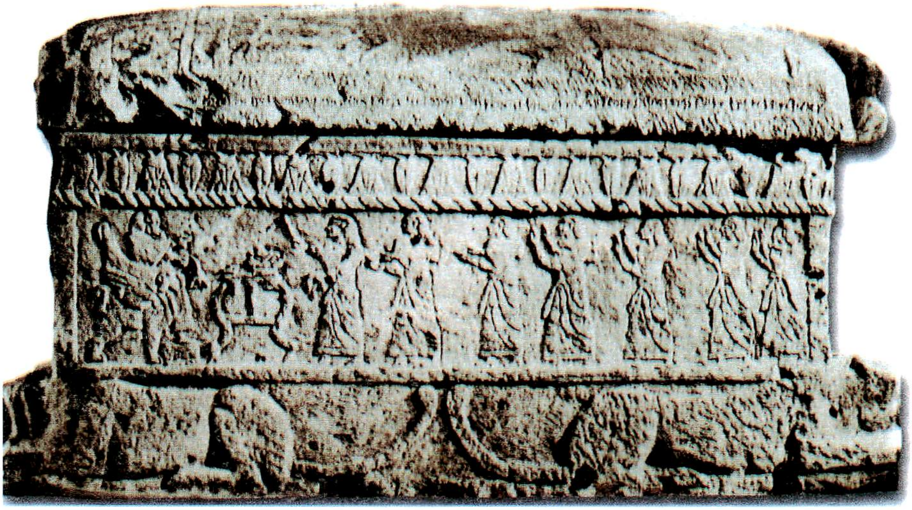

٤٤- تابوت أحيرام

وتبدو أهمية ضريح أحيرام هذا، والذي يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد أنـه يمتاز برسوم نافرة جميلـة تمثل أحيرام والد أيشوبعل ملك جبيل الذي صنع الضريـح له، وأمامـه رتل من الباكيـات الناحبات والعابـدات، وبعضهن يمزقن ثيابهن علامة الحزن، وترجع أهمية الضريح التي اشتهر بها إلى النص المكتوب عليـه بأحرف أبجديـة مازالت تعتبر حتى الآن الشـكل الأولي للأحرف الأبجدية العربية واللاتينية. (٣٦)

وكان الكنعانيـون وهم قدمـاء العرب السورييـن على ساحل البحـر الأبيض المتوسـط، قد تبنـوا منذ العصور الأولى الكتابة التـي نراها في أوغاريت، حيث كان مـن المألوف هناك استعمال الكتابة المسمارية التي كانت منتشرة في بلاد الرافديـن، والتي استمرت وسيلة الأكاديين والعموريين العرب القدماء ثم سكان أوغاريت من الكنعانيين، وكان لابد من استعمال هذه الكتابة بسبب طريقة النقش علـى ألواح الطين بمسمار خاص. المهم في أوغاريـت أنهم قد استعملوا الكتابة

المسمارية على الرقم الفخارية التي كانت غير أبجدية كالكتابة الصينية، ثم قاموا بحذف أكثر الإشارات التي كانت تلازم الكلمات ذات الدلالة الصوتية المختصرة، واكتفوا بصورة تناسب الصيغة الصوتية، فكانت الحروف الأبجدية الأوغاريتية وعددها ثلاثون حرفاً، وهي أول أبجدية في العالم. ويقول أحد الباحثين «جورج بيرو»:«إن ابتكار الأبجدية كان حدثاً هاماً جداً لا يمكن مقارنته بأي حدث آخر في تاريخ الجنس البشري، وهو أعظم من ابتكار الطباعة، إذ أن تحليل الكلام وإرجاعه إلى عناصره الأولية يحتاج إلى عمل فكري عظيم.».

على أن نقش أحيرام يقدم لنا أبجدية كاملة مقروءة ومفهومة بوضوح، ذلك أن كل حرف يعتمد بصيغته وشكله على دلالته المادية لأشياء معروفة، فإذا كانت الإشارة يمكن أن تترك بعض الشك في هويتها بالنسبة للشكل المادي الذي يمثله الحرف، فإن إسم هذه الحروف يسعفنا في تثبيت هذه الدلالة.

وتسميات الحروف باللغات الكنعانية أو الفينيقية في ذاتها هي تسميات الحروف العربية لوحدة اللغتين، وهي تبين أن الحرف الأول « يسمى ألف، وتعني البقرة، ويرمز إليها بما يوضح خصائص البقرة، وهو الرأس ذو القرنين، وأن بيتا «الباء» وتعني المنزل أو البيت كما هو واضح ورمزها مخطط غرفة أو صحن دار، وجيمل «الجيم» أو الجمل ويمثل بسنم، وداليت «الدال» وتعني الدلاية أو مطرقة الباب وتأخذ هذا الشكل، وياء «الياء» وتعني اليد ورمزها الزند والساعد، وكوف «الكاف» وتعني الكف ورمزها مشابه لكف اليد، وراس «الراء» وتعني الرأس وتحمل شكل الرأس، وسن «السين» وتعني السن ويأخذ الحرف شكلاً مضرساً، وماء «الميم» وتعني الماء وتتجلى بشكل متموج، وهكذا..

ولقد انتقلت هذه الأبجدية إلى الكتابة الآرامية والنبطية، ومن ثم إلى العربية الأولى ثم العربية الحديثة.كذلك انتقلت إلى الأحرف الإغريقية واللاتينية. ويقول المؤرخون، أن قدموس شقيق أوروبا وقد مضى إلى بلاد اليونان باحثاً عن أخته، وبعد أن وصل إلى (بيوتي) أنشأ مدينة (طيبة) شمالي أثينا، وقام هناك

بتعليم الناس أبجدية الكنعانيين، واستمرت هذه الأبجدية مستعملة مع بعض التحوير، وحاملة نفس التسميات الكنعانية القديمة، ثم انتشرت هذه الأبجدية في جميع الكتابات الغربية بعد أن تبناها الرومان.

ولقد كتب هيرودوت (ق٥ق.م): «إن الفينيقيين القادمين مع قدموس جلبوا إلى الإغريق معارف كثيرة ومنها الحروف التي لم يكونوا يعرفونها. وكان القدموسيون يستعملونها بادئ الأمر بشكلها الفينيقي المألوف. ومع الوقت أدخلوا عليها بعض التغييرات كما غيروا أيضاً في لسانهم، وآنئذ كان أكثر الإغريق الذين يحيطون بالفينيقيين من الأيونيين، فتعلموا منهم الحروف واستعملوها محرفة قليلاً ولكنهم استمروا على تسميتها بالكتابة الفينيقية (تاريخ هيرودوت ج٥ف٥٨). ولقد أدخل الإغريق الأوائل على هذه الحروف، الحروف الصوتية.».

وحوالي عام ٨٠٠ ق.م ظهر الإتروسكيون في شمالي إيطاليا، ويعود أصلهم إلى الساحل السوري وكيليكيا، وقد نقلوا نفس الأبجدية إلى الرومان وبدت باللغة اللاتينية، وقام كيريللوس بالاستفادة من هذه الحروف لوضع أسس الكتابة السلافية.

الأميرة السورية أوربا بنت أجينور

في صور وصيدا، كان ثمة ملك محبوب من شعبه، حقق الاستقرار والأمن. وكانت أوروبا الابنة الوحيدة للملك أجينور ولأمها ليبيا، ولم يكن من واجباتها إلا رعاية الزهور والورود واقتناص الفراشات، ترعاها دائماً عشتار آلهة الأمومة، على تلة صغيرة تعلو سائر زميلاتها كأنما هي بعناية إلهة الحب، وسرعان ما تدخلت في مستقبلها يد القدر. (شكل٤٥)

يهيمن على عالم البحر الأبيض إله أسطوري هو زيوس كبير الآلهة. من عادة رب الأرباب زيوس أن يجلس في أعلى جبل الأولمب، ينظر إلى العالم في جميع أرجائه يتفقد رعاياه. ويبحث من خلالهم عن حسناء جديدة ، بعيداً عن رقابة زوجته الغيورة حيرا.

كان كيوبيد إله الحب ينظر من بعيد إلى ما آل إليه رب الأرباب بعد أن صوب

٤٥- أوروبا بنت أجينور

إليـه سهم الحـب الذي ألهب وجدانه، وحرك نزاواته التي لـم تهدأ أبداً. زيوس رب الأربـاب أفاق من بيـن ذراعي آلهة الحب، التي نجحت وحدها في إخضاعه، ورأى أوروبـا مـن عليائه ووقع في غرامها. لكنه لم يـرد المضي لأخذها مباشرة خوفـاً من غضب يونـو الغيور، وخشية أن يخيف الفتاة أوروبـا بغير داع، لذا فقد لجـأ زيوس الخبيث إلى حيلة رهيبة. فقد قلب نفسه فـي صورة ثور، لكن أي ثور هو! إذ لم يكن كالثيران التي نراها في المروج.

و سرعـان ما تقدم إليهـن، ووقف أمام أوروبـا مباشرة وانتفضـت أوروبا واقفة وتراجعـت خطـوات كأنما أحسـت بالمفاجأة لكـن عندما استمر الثـور وقفاً بهدوء استـردّت شجاعتهـا، وتقدمت باتجاهه ، ثم تجـرأت فصعدت ظهـره، بينما بقيت رفيقاتهـا مترددات. ما أن أحس الثور بغنيمته الغافلة على ظهره حتى استوى واقفاً، ثم سار بها متهادياً على مهل بحيث لا يثير فزعها، ومن جهة ثانية بحيث لا تستطيع

الفتيـات الأخريات أن يماشينـه. وهبط من الرابية متجهاً نحـو البحر حتى إذا بلغ الشاطـئ تسارعت خطواتـه وحوافره تدق الأرض، وبقفزة ضخمـة كان في البحر مخلفاً اليابسة وناسها وراءه. وعندها ما عاد يشبه في سيره ثوراً متهادياً بل حصاناً مجنحاً طائراً

وصـل الثور وعلى ظهـره أوروبا إلى كريت، إنها جزيرته والأرض التي خبأته فيها أمـه عندما هرّبته من أبيه كرونوس أي الزمـن (ايل أبو السنين). وتقول الأسطورة أن كرونوس كان يلتهم أبناءه، وبحيلة أنقـذ زيوس. وصلا إلى كريت وقفز الثور إلى اليابسـة والتقى الحراس والأعيـان في حفل الزفاف، لقد أنجبت مـن زيوس أولاداً أشهرهـم مينوس ورادانتوس اللذين اشتهرا بالعدل فأوكل إليهما محاكمة الأموات، لكن اسمها بقي أشهر الأسماء إطلاقاً إنه «أوروبا»، وقد أصبح عنواناً لقارة جديدة.

النقد البرونزي
ويمثل قدموس يعلم أهل طيبة الأبجدية

٤٦- قدموس في طيبه

افتقد أجينور بنته أوروبا وطلب من أولاده البحث عنها ، **فأرسل ابنه قدموس للبحث عنها، وعندما وصل إلى طيبة استقبله الناس بالترحاب، وهناك علمهم الأبجدية الفينيقية كما هو منقوش على رصيعة محفوظة في متحف اللوفر. (شكل٤٦). وأنشأ مدينة «قدميا»**، وسميت المنطقة المحيطة بها «بيوثيا» أي بلاد البقرة.، وأصبحت طيبة مدينة عظيمة مزدهرة ، وحكمها بحكمة كما أدخل الحرف إليها.

أثر العقيدة السورية

يتجلى أثر حضارة الساحل السوري على أوربا من خلال انتقال عبادة الآلهة الكوكبية ومن خلال انتقال الأبجدية وتسمية القارة باسم أوربا ابنة ملك «أجينور» ثم انتقال قدموس شقيقها وتأسيس «قدميا» وتعليم اليونان الأبجدية.

تمتد الأواصر الحضارية بين سوريا وبين الإغريق عبر مواقع جغرافية يحتضنها حوض البحر المتوسط. وسنسمع أصداء تتحدث عن السوريين الذين كانوا في هذه الجزر والذين استطاعوا بفعاليتهم التجارية أن يدخلوا هذه الجزر ضمن حدودهم السياسية. ويصف بلين المؤرخ جزر السوريين عندما يتحدث عن هذه الجزر.

تبدأ ذكريات سورية في عاصمة اليونان أثينا منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، فلقد أعطى السوريون أثينا عقائدها وعباداتها وأصبحت الآلهة الكوكبية بدءاً من الشمس إلى القمر وعطارد والزهرة آلهة هي المثل الأعلى والمصدر الرئيس لقوى الخير والخصب والثواب والحب. ويعلم قدموس الأبجدية السورية الأولى التي أصبحت أبجدية أثينا ، ثم تحولت إلى الأبجدية اللاتينية. ومازال الغرب ينعم بهذا الكشف الثقافي الرائع الذي جعل المعرفة متاحة للناس جميعاً وبأسهل الطرق. بينما مازالت الكتابة الصينية واليابانية كتابة غير أبجدية حتى اليوم.

السوريون في عصر الاغريق

إن إسم قارة أوربا مدين لاسم تلك الأميرة السورية «أوروبا» بنت أجينور التي خطفها زيوس على شكل ثور حملها على ظهره عبر المتوسط ومضى بها إلى أثينا ، وهناك عمّد اسمها اسماً لهذه القارة المتحضرة اليوم، و أصبح أخوها قدموس إلهاً للأثينيين لأنه ابن (يم) إله البحر وهو يعادل بوسيدون، وأمه «ليبيا» التي أوجدت قارة إفريقيا وأعطت اسمها لمنطقة تونس وليبيا اليوم، وافريقوس هو أحد أبنائها. ومازالت مدينة قادميا في اليونان تذكرنا بقدموس السوري.

الفصل الثاني عشر

سورية والاسكندر المكدوني

الاسكندر في موقعة إيسوس

الاسكندر و اجتياح سورية

سورية في العهد السلوقي

الفصل الثاني عشر

سورية والاسكندر المكدوني

الإسكندر في موقعة إيسوس

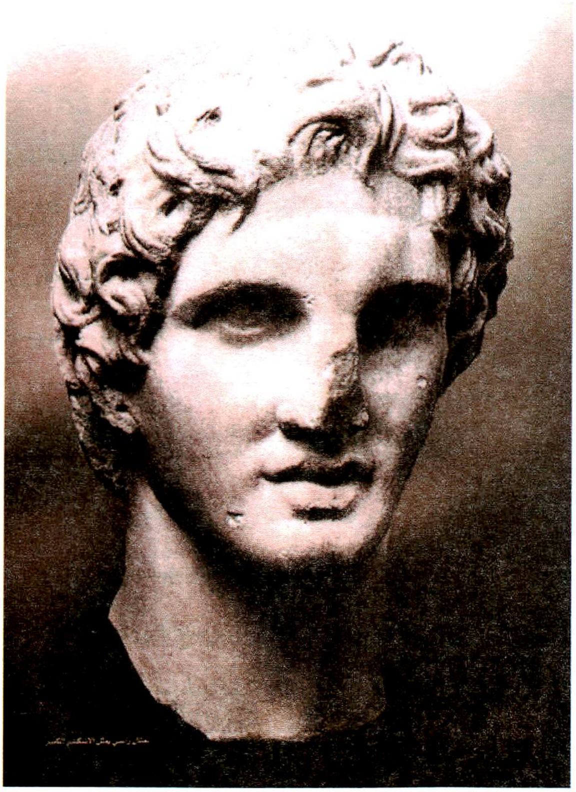

٤٧- الاسكندر المكدوني

زحف الاسكندر من مكدونيا الى الشرق محاولاً تجاوز بلاد الفرس في عهد الأخمينيين. و كان «دارا» الثالث ملك الفرس يملك قدرات واسعة، فكان عدد رجاله يفوق رجال الاسكندر المكدوني وكانت أمواله في «سوسا» هائلة وجاهزة وكان قصره في «برسيوبوليس» عامراً، وكان لديه أسطول يحمي شواطئ آسيا الصغرى وسورية ومصر. ولكنه لم يكن قائداً ممتازاً. (شكل٤٧)

أما جيش الاسكندر فكان مكوناً من أربعين ألف رجل مع إثنى عشر ألف مكدوني كانوا من المشاة وسبعة آلاف من كورنثا وخمسة آلاف من المرتزقة

وثمانية آلاف من حملة الأقواس وراشقي المقاليع وكانوا من تراقيا، أما الفرسان فقد بلغ عددهم خمسة آلاف منهم ١٨٠٠ من أشراف المملكة، كما كان يصحبه عدد من المهندسين المختصين بفن الحصار، وكان بصحبته الفيلسوف أرسطو معلمه، أما أسطوله فكان مؤلفاً من مئة وثمانين سفينة. (شكل٤٨)

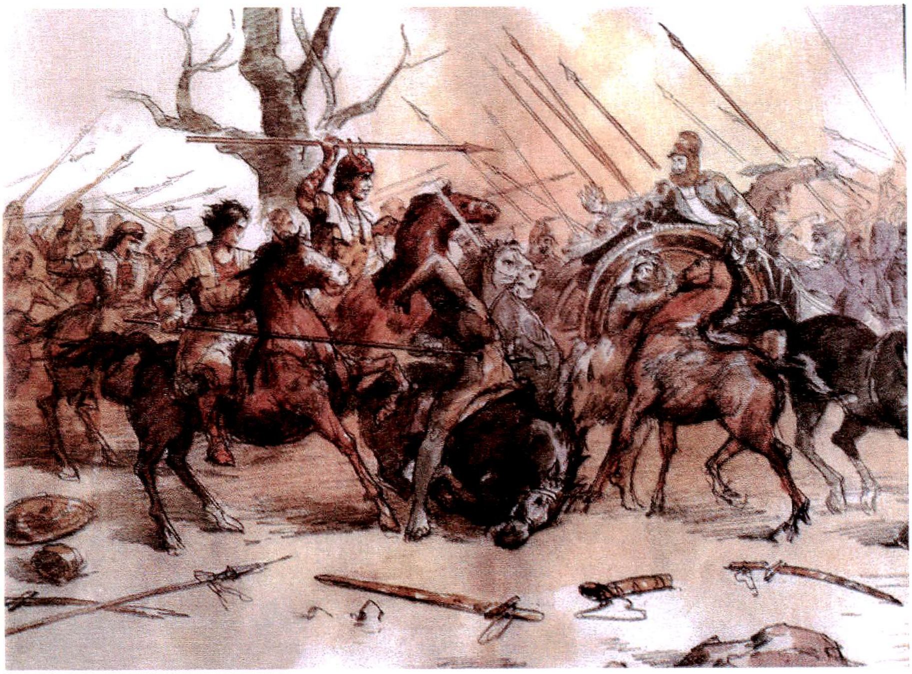

٤٨- لوحة - موقعة إيسوس

عبر «دارا الثالث» الفرات على رأس جيشه وكان قد حضر بنفسه متحدياً الاسكندر وطموحه، وكان الاسكندر قد أخضع آسيا الصغرى. وقرب أيسوس تأخر الاسكندر في «قلقيلية» عن قتال «دارا»، وكان لهذا التأخير أثر كبير في انتصاره إذ تقدم «دارا» إلى «قرب أيسوس» وقتل المرضى والشيوخ الذين تركهم الاسكندر. ولكنه في ذلك وضع نفسه في كماشة.

تقدم الاسكندر على طريقته المألوفة في تنظيم الجيش، فقد كانت المشاة في الوسط والخيالة إلى اليمين وبها هاجم الاسكندر ميسرة الجيش الفارسي،

بينمـا تقـدم المشاة ببـطء، وعندما عبروا النهـر ارتبك خط القتـال وتعرضوا لضغـط الخيالة الفرس، ولكن وحـدات الخيالة ساعدتهم في القضاء على جناح العـدو. وبعد ذلـك أدار الاسكندر المعركة باتجاه المكان الذي كان فيه دارا على عربتـه الحربية وحوله بطانته وقـواده. ورغم إصابة الاسكنـدر في ساقه، طارد «دارا» الـذي فر مع ميسـرة جيشه، مما أرعب جيشه فتقهقـروا باتجاه الشمال. وكان «دارا» مذعوراً حتى أنه نسي أمه وزوجه فكانتا معه في معسكره في أيسوس. وحينمـا وصـل إلى جبـال الأمانوس تـرك وراءه عربتـه ودرعـه ورداءه الملكي، وامتطى فرساً لينجو بحياته.

وعندمـا احتل الاسكندر معسكر «دارا» وكانت معه هـذه البقايا، اعتقد نساء «دارا» وأهلـه أنه مات.ولكن الاسكندر أحسـن معاملتهم وطمأنهم على سلامته، وعـاد «دارا» إلى بلاده وكتب إلـى الاسكندر طالباً استـرداد أهله وعقد معاهدة معه. ولكـن الاسكندر وعده بإعـادة نسائه، ولكنه طلب إليـه الاعتراف بسيادته على جميع أرجاء المنطقة.

الاسكندر في سورية

كان انتصـار الاسكندر في أيسوس قد فتح له البـاب لاجتياح سورية ومصر، فلـم يجـد مقاومة كبيـرة إذ كانت مـدن الساحل السـوري مفككـة، فهذه جبيل (بيبلوسـ) التي حلـت مكان صيـدا وأرواد قد سلمـت للاسكندر حتـى أن ملك صـور أمر بنحت تابوت الاسكنـدر وعلى جداره نقش معركـة أيسوس، وقد صور الاسكندر وعلى رأسه غطاء من جلد الأسد والتف حوله الجلد. وفي الوجه الآخر من التابوت صور الاسكندر مشتركاً في صيد السباع والوعول. وقد عثر على هذا التابـوت العالـم «مونته» وهو محفوظ فـي متحف استانبول. ومـن دمشق حصل الاسكنـدر علـى كنوز «دارا» التـي كان قد أودعها هنـاك خوفـاً عليها من الضياع أثناء عبوره ممرات الأمانوس. كان حصار صور صعباً تطلب حيلاً هندسية وكان لسقـوط هذه المدينة أثره في الاستيلاء على كامـل سورية ومصر بعد استيلاءه علـى دمشق وغزة. ثـم توجه إلى بابل. وفي عام ٣٣١ق.م جابه «دارا» وجيشه في

معركة ضخمة، انتصر الاسكندر الذي دخل بابل وأعاد إليها استقرارها بسرعة، لكـي يتابع فتحه ملاحقاً «دارا» في «أكبادانا» عاصمة «ميديا»، ولكن «دارا» هرب إلـى «باكتريا» حيـث قتله حاكمها حماية لمـا بقي من بـلاد الأخمنيين. ثم عثر الاسكنـدر على الجثـة فدفنها رسمياً فـي «برسيوبوليس». تابـع الاسكندر فتحه الهنـد، وعند عودته إلى بابل عـام ٣٢٣ توفي الاسكندر وهو في الثانية والثلاثين من عمره.

سورية في العهد السلوقي

بعد موت الاسكندر المكدوني في سنة ٣٢٣ق.م اقتسم كبار الضباط التابعين لـه الممالـك الواسعة التـي استولى عليهـا الاسكندر، فـكان نصيـب «انتيغون» مكدونيا وآسيا الصغرى، وكان نصيب «بطليموس» مصر وفلسطين، وكان نصيب «سليقوس نيكاتور» سورية وبابل وفارس، وفي المنطقة الواقعة عند مصب العاصي أنشـأ «انتيغـون» مدينة الاسكنـدرون أطلق عليها اسم الاسكنـدر سنة ٣١٧ق.م، وتقع بيـن العاصي ومخرج بحيرة أنطاكية، ثم قـام «سليقوس نيكاتور» باحتلال هـذه المدينة سنة ٣٠١، وأقام مدينة أطلق عيلها اسم «أنطاكية»، نسبةً إلى اسم أبيـه «أنطوخيوسـ»، كما أنشأ مدينـة أخرى باسم أمـه «لاوديسيا» (لاذقية) ثم أنشـأ مدينة أفاميا باسم زوجته «أباميا».واهتم «سليقوس» بمدينة أنطاكية فنقل إليهـا أنقاض مدينة «انتغونا» التي هدمها وشجّع النـاس على سكن أنطاكية بأن منحهم حقوق اليونانيين وامتيازاتهم، فازدهرت وصارت عروس الشرق وعاصمة الممالك السلوقية الممتدة من البحر المتوسط إلى حدود الهند.

آفاميا

تتجلـى عبقريـة المعمارييـن السورييـن في حاضـرة آفاميا التـي تلي تدمر بأهميتها المعمارية. كشفت عن آثارها بعثة بلجيكية منذ العام ١٩٣٠. أنشأ آفاميا سليقوس نيكاتور وأطلق عليها إسم زوجته أباميا. ولقد تم ترميم أسوارها. و وفي العام١١٧٠م دمر المدينة زلزال. (شكل٤٩)

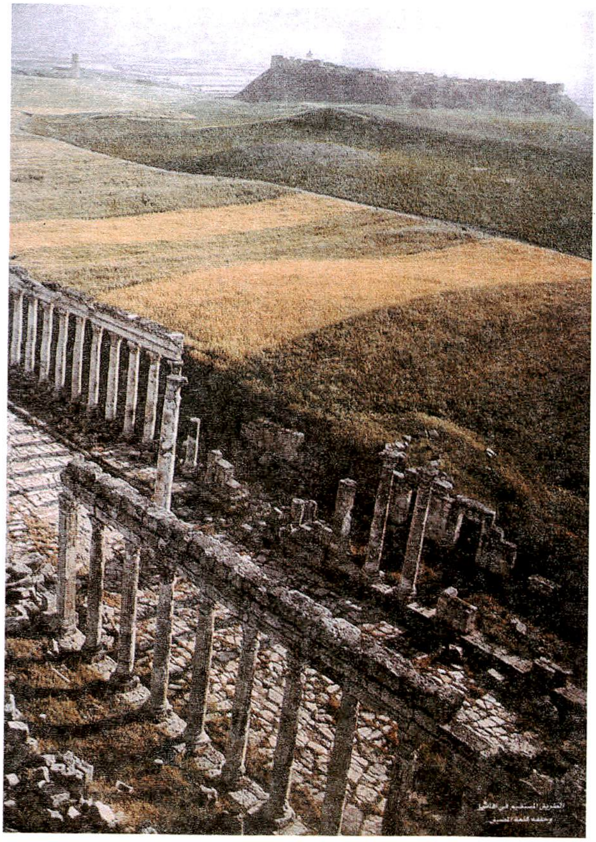

٤٩- افاميا – مشهد عام

وتعاقب على سورية في عصـر السلوقييـن ثمانية عشر ملكاً كانوا في صراع مستمر مع البطالمة، ولقد أطلق المؤرخـون الإغريق علـى هـذه الحـروب اسم الحـروب السوريـة التـي انتهت بسيطـرة البطالمة على دمشق ٢٧٦ق.م وعلى أنطاكية ٢٤٦ق.م.

وفـي عـام ١٥٠ق.م فـي سوريـة ممالـك عربيـة تحـاول التحـرر والاستقـلال، كمملكـة الأباصـرة فـي «الرهـا» (أديسـا) وإمـارة الشمسـي غرام في حمص والرستن، وإمـارة الأيتوريين في البقـاع (عنجر). ودولة الأنبـاط الذين دخلوا دمشق عـام ٨٥ق.م زمن الحارث الثالث. وهكذا أصبح السلوقيون في مأزق حتى انتهى عهدهم على يد الرومان.

كما أنشئت دورا أوروبوس «صالحية الفرات» في العام ٣٠٠ ق، م على ضفاف الفـرات وفيها أجرى العالم الأمريكـي هوبكنز حفرياته الهامة. (٣٧) وفي الحمام البارثـي مجموعة من الرسـوم الجدارة، قطعة منها تمثـل آلهة النصر اجنحة. وتعود الى عام ١٦٥م، محفوظة في متحف دمشق (شكل ٥٠)

لقد كان عهد سليقوس مزدهراً وقوياً، فلقد استعان بأفيال الهند في حروبه وخاصة عندما حاول الاستيلاء على مصر من بطليموس. فاحتل بلاد الشام

كلها مع الجنوب. ولكنه فوجئ بتدخل الرومان الذين نازلوه في موقعه. وابتدأ حكمهم في سورية.

٥٠- لوحة جدارية - دورا اوروبوس

الفصل الثالث عشر

تراث سورية في العصر الروماني والحقبة السورية

السوريون في روما

روما والأسرة السورية

الامبراطور السوري كاراكالا

الامبراطور افتينوس (ايلا غابال)

الامبراطور فيليب العربي

ابوللدور الدمشقي

الفصل الثالث عشر

تراث سورية في العصر الروماني
والحقبة السورية

السوريون في روما

فــي صفحات المؤرخ هيــرودوت أخبار عــن الأيتروسكيين الذيــن نزحوا من السواحــل السوريــة واستقــروا في شمالــي إيطاليا لكــي يشكلوا الأســس الأولى للحضــارة الرومانيــة، وكانــوا قــد نقلوا نفســ الأبجديــة إلى الرومــان ، ثم قام كريللوســ بنقــل هــذه الأبجدية إلــى الكتابة السلافيــة، كما نقلوا طــراز البيوت واستعمال البرونز.

إن قصــة إنشــاء روما التي جــاء بهــا الإيتروسك من بلادنا هــي نفس قصة صارغــون وقصــة موسى التــي وردت بشكل ما في أساطيرنــا القديمة ، والقصة الرومانيــة تقول أن ريا سلفيا قتلها عمهــا اموليوس بعد عودته من حرب طروادة لأنها حملــت من الآلهة وولدت بالخفــاء ولدين روموس ورومولوســ ، فوضعتهما فــي مهــد خشبي ورمت بهمــا في نهر التيبر (كمــا فعلت أم موســى بابنها، أو أم صرغــون) ، وسمعــت صياحهما ذئبــة فأنقذتهما وأرضعتهما فشبــا واختلفا كما اختلــف قابيل وهابيل. وقتل رومولوســ أخاه وبنى روما وأطلــق عليها اسمه سنة ٧٥٣ق.م. ومازال شعار روما ذئبة ترضع الأخوين الطفلين.

كانــت روما مدينة محــدودة الإمكانيات تتطلع إلى استجــداء الشرق أو اغتنام ما تستطيــع لدعمها. ودخلت إلى الشرق عن طريق البطالمة في مصر الذين استنجدوا بالمرتزقــة في حربهم ضد السلوقيين في سوريــة، وكان من قادة الرومان «بومبيه.

« المشابه لتمثال الرأس الفضي المكتسف في حمص (شكل٥١). هذا القائد الذي استخلص سورية في عام ٦٤ق.م من سيطرة «تيجران الأرمني». مما أثار حفيظة زميله قيصر الذي قاتله فهرب منه إلى مصر حيث قتله أتباع قيصر، الذي دخل إلى مصر حليفاً وتزوج من كليوباترا أخت الملك المصري، واتفق مع البطالمة على تجهيز حملة للتوسع في الشرق حيث الحكم السلوقي. وقتل قيصر بخيانة «بروتوس» وأصبح ابنه «أكتافيوس» مسيطراً على مصر. ولم تكن سلطة الرومان على سورية شديدة الاستقرار، فلقد كان الضغط الفارسي متزايداً مما دفع الرومان لتعيين قائد سوري «أفيديوس كاسيوس»، كي يدافع عن بلاده ضد الغرب، بل قام باقتحام «طيسفون» و«سلوقية».

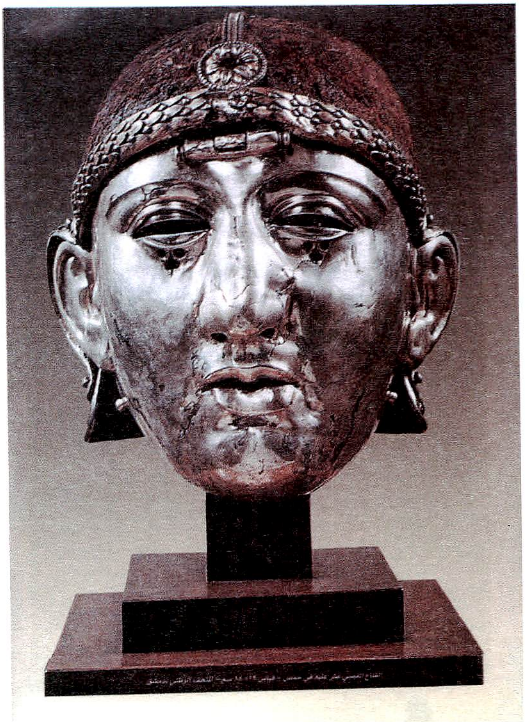

٥١- الرومان - القناع الفضي - حمص

مجموعة من الآثار التي تعود الى العصر الإغريقي ولكن أعيد صنعها في العصر الروماني ، من أبرزها تابوت الرستن الحافل بالتماثيل البارزة تحكي قصة آغا ممنون المذكورة في إلياذة هوميروس. (شكل٥٢)

٥٢- تابوت الرستن

تابوت الرستن

روما و الأسرة السورية الحاكمة

ليس من مؤرخ روماني أو مختص بتاريخ الرومان لا يضع أسرة سيفيروس في بداية حديثه عن أباطرة روما السوريين الذين لعبوا دوراً هاماً في تدعيم الإمبراطورية وفي توسيع انتشارها وتعديل قوانينها، ثم في تدعيم المسيحية الأولى وإحلالها محل الوثنية.(٣٦)

ظهرت الأسرة السورية في عهد عميد العائلة « سبتيموس سيفيروس » الليبي من لبدة، وكان يتكلم الفينيقية وتزوج من جوليا دومنا الحمصية التي تتكلم الآرامية شقيقة الفينيقية، وكانت جوليا ابنة «باسيان» الحمصي الكاهن الأعظم في معبد إله الجبل «إيلاغبال» في حمص، وكانت ابنته جوليا على جانب عظيم من الذكاء والجمال والثقافة، وتزوجت من «سيفيروس» عام ١٧٥م وكان من كبار الموظفين. ثم أصبح إمبراطوراً على روما عام ٢١١م، فبنى قصراً على هضبة «البالاتين». وكانت زوجته قد فرضت سلطانها إذ رافقت زوجها في انتصاراته وفي حكمه. فمنحتها روما لقب «أم الوطن» ولقب «أم مجلس الشيوخ» ولقب «أم الجيوش» وفتحت أبواب قصرها إلى السوريين الذين وفدوا إليها كعلماء ومفكرين وفلاسفة ورجال دين.

ولقد استعانت «جوليا دومنا» بعدد من السوريين، أمثال قريبها الفقيه «بابيان» ثم «أولبيان» و«ديوجين» كاتب التراجم ، و«ديو كاشيوس» المؤرخ ، و«فيلو سترات» السفسطائي.كما اعتمدت على شقيقتها «جوليا ميزا» التي جاءت معها من حمص مع ابنتيها الشابتين الجميلتين،جوليا ماميا وجوليا سوميا.

نشاط جوليا دومنه ودستور انطونيوس

استطاعت جوليا أن توفر من ميزانية الدولة لتسديد حاجات الجيش المتزايدة، دون اللجوء إلى ضرائب جديدة، واستطاعت أن تحد من الفساد والرشوة والسرقات. (شكل٥٢)

ولأنها كانت على رأس أسرة سورية تشكل واحدة من الأقليات غير الرومانية،

٥٣- جوليا دومنا

وضعت مشروعاً أصدره ولدها تحت اسم «دستور أنطونيوس» سمحت بموجبه بشمول الرعوية الرومانية على جميع سكان الإمبراطورية على اختلاف أصولهم، وأصبح من حق هؤلاء التمتع بجميع الحقوق المدنية والانتخابية واختيار القضاة والموظفين الكبار، وأهم هذه الحقوق كان حق التملك وحرية الزواج والحصانة من الحكم بالإعدام، ولم تكن هذه الحقوق العامة دونما واجبات، فالناس أصبحوا سواسية في الحقوق والواجبات العامة، ومنها دفع الضرائب والرسوم، مما زاد في دخول الخزينة وفي تخفيف أعباء الدولة.

كان هدف جوليا دومنا أن تجعل من المواطنين جميعاً مجتمعاً مشتركاً، وكانت الرعوية الرومانية امتيازاً يحقق لكل مواطن مهما كان أصله الكرامة والجدارة، وهكذا سبب هذا القانون إلغاء الأرستقراطية، وإفساح المجال للمساواة الكاملة بين جميع طبقات الشعب. ولقد أعلنت جوليا دومنابقوة ذكائها وثقافتها، أن الإنسان ليس عبداً وليس كائناً بلا روح تدفعه إلى البحث عن القيم المثالية الكامنة في عقيدة دينية يؤمن بصلاحها وبقوتها لتحقيق الخير للإنسان، ولقد تعلمت جوليا دومنا من عقيدتها التي كان يوجهها والدها باسيانوس في حمص، أن الروح تسبح في رحلة أبدية بين النجوم لتحقيق السعادة الأبدية للإنسان، ولذلك سمحت للناس على اختلاف عقائدهم، بممارسة دياناتهم طالما كانت هذه الديانات تسعى إلى تهذيب

الروح وتحقيق انفتاحها نحو المثل والحقيقة.

وعلـى هذا كانـت جوليا كما كان ابنهـا الإمبراطور شديدي الاهتمـام بالمسيحية بوصفهـا ديناً روحانياً سمحـاً، وكان كثير من المؤمنين بهـذا الدين من أتباعها ومن كبـار موظفي البلاط. ولكن جوليـا كانت تأخذ على المسيحيـة والمسيحيين إخضاع العقـل والفكـر الحر للإلهـام والوحي والوهـم، وكان مجرد الإيمان كفيـل بالرد على المناقشة الفكرية المحضة

الامبراطور كاراكالا

ولـدت جوليـا دومنا ولديـن، الأول باسيان وأصبح إمبراطـوراً تحت اسم «مارك أوريـل» أو «كارا كالا» والثانـي «جيتـا» الـذي مات مبكراً أو قتله أخـوه بعد موت أبيه ليرث مكانه في الحكم.

وتأكد حكم السوريين في روما بعد أن أصبح كاراكالا ابن جوليا دومنا إمبراطوراً.. وكان قائـداً مـن الطراز الأول يرتـدي في حروبه الكاراكال وهـو رداء سوري حمل هو اسمه. كان رداء الكاراكال رداءً سورياً هو أشبه بالعباءة وكانت جوليا دومنا قد شجعت أتباعها وأصدقائها السوريين من رجال القضاء أو الفلاسفة على ارتداء هذا الرداء، ومنـذ أن كان ابنهـا البكر طفلاً، كانت قـد أهدته عباءة صغيـرة تميّزه عن غيره من الأطفـال. ولعـل جوليا دومنا أرادت مـن الاحتفاظ بارتداء هذه العبـاءة، التعبير عن هويتهـا السوريـة، مع الإشارة إلى الرداء الديني الـذي كان يرتديه والدها باسيانوس الكاهـن الأعظم في سورية، أثناء الاحتفالات الدينيـة مع الأحبار الذين يرافقونه في هذه الاحتفالات.

وإذا كانـت هذه العباءة مطـرزة ومزركشة عند الكهنة والكاهـن الأعظم، ولكنها كانـت منقولة عن العباءة التقليدية التي كان الشعـب في سورية قد تعوّد ارتداءها في المدينة أو في البادية السورية لدى الأعراب.

كانـت الأسـرة السوريـة وحاشيتها قـد تداولت إسـم كاراكالا الـذي أطلقته على الإمبراطور، تعبيراً عن هويته السورية، بدلاً عن اسمه مارك أوريل أنطونيوس، والذي أطلقه والده عليه متأخراً محاولاً ربطه بأرومة رومانية لأهمية هذه الربط سياسياً.

ترك كاراكالا أثراً بالغاً في علاقات الرومان الاجتماعية والسياسية عندما أصدر

مرسومــه الذي جعل جميع سكان رومــا سواسية دونما تمييز بسبب اللون أو الطبقة أو التبعيــة، وتمتــع لذلك بحب الشعب. ، وكان اسمه الأصلــي باسيان وهو اسم جده لأمه الــذي كان كاهــن حمص، وتزوج كاراكالا من ابنة خالتــه السورية جوليا ميزا. وكانت زوجتــه جوليا سوميا فتاة جميلة من أب سوري جاءت مع أمها وأختها جوليا ماميا إلى رومــا ، وحملت الأميرات الثلاثة تقاليد بلادهن وعقائدهــن. وكانت جوليا ميزا الأم سيــدة القصــر الفعلية فــي حيــاة زوج ابنتها، ولقــد تابعــت أختهــا دومنا فــي نقــل لثقافة السوريــة والعقيدة إلى روما، ودعوة الناس إلى التقرب من هذه الثقافة وتلــك العقيــدة التــي كانت تقــوم على عبادة الإله بعل أو حدد ،وهما إسمان لإله واحد هو إله الخصب إذا رضي وإله الصاعقــة إذا غضــب. وتمثّــل أحيانــاً بالحجر الأســود الــذي كان يعلو الهضــاب والجبــال ، ولذلــك أطلق عليه اسم إلــه الجبل (إيلا غابال).

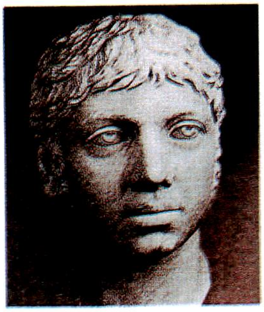
جيتا

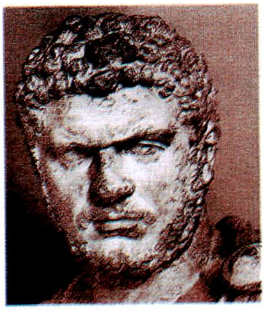
كاراكالا

الامبراطور ايلاغابال

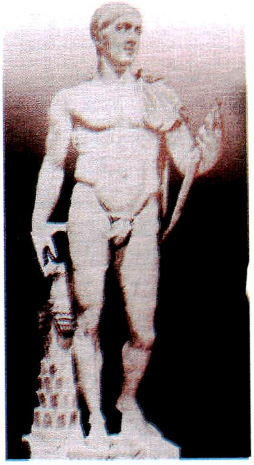
الامبراطور اسكندر سيفيروس

٥٤- أسرة سيفيروس - الأباطرة السوريون

وتــرك بعض الرومان آلهتهــم ليعبدوا الآلهة الجديدة التي نقلهــا بصورة حاسمة ابن كاراكالا واسمــه أفتينوس الذي نادى بــه الرومان إمبراطوراً وكان شديد الولاء لجدته جوليا دومنا أم كاراكالا التي كانت داعية للثقافة والديانة السورية. (شكل٥٤)

كاراكالا في سورية

حينما حل كارا كالا وجيشه في المدن السورية وغيرها في الشرق رغبت جوليا دومنه مرافقته ، الى حيث أودعت تاريخها الأول وأهلها وقومها الذين يدينون لها بالمودة والولاء، ولم تكن مقصرة في تقديم العون لسورية وأهلها في زمن زوجها الراحل، وها هي ترغب الوصول إلى موطنها الأصلي مع ولدها الفاتح الجديد، لكي توسع رقعة سورية شرقاً.

كان كاراكالا يقيم الاحتفالات ويبني العمارات والمسارح وأماكن التسلية واللهو، وكان الفنانون النحاتون يقيمون التماثيل للإمبراطور كاراكالا، وهو في حلة تشبه حلة الإسكندر المكدوني.

لعل «كارا كالا» من أبرز الأباطرة الرومان الذين تركوا آثاراً اجتماعية هامة، إذ اصدر مرسوم «كارا كالا» الشهير الذي جعل بموجبه جميع سكان روما سواسية يخضعون لقانون واحد ضمن حدود الحرية والحقوق الأساسية التي منحت إليهم. وكان «كارا كالا» يضرب المثل بتواضعه وحسن معاملته للشعب والجنود، فيعيش معهم ويأكل من أكلهم ويستمع إلى طلباتهم ويحل مشاكلهم. ولكنه قتل في حران شمالي سورية وهو في ريعان عمره وفي قمة مجده. ولقد حمل «كارا كالا» هذا الاسم لأنه يرتدي الكاراكال، وهو رداء سوري يشبه العباءة.

حمامات كاراكالا

لقد حمت روما ذكرى الإمبراطور «كارا كالا» بالحمامات الكبيرة التي مازالت آثارها قائمة حتى الآن، وهي تمتد على مساحة قدرها أحد عشر هكتاراً، وكانت تتسع لألف وستمائة زائراً، تمارس فيها جميع أنواع الرياضة وتضم مكتبة ضخمة فكانت مركزاً ثقافياً ورياضياً وليس مجرد حمام للاستحمام. وكانت الحمامات مزينة بالفسيفساء ومكسوة بالرخام المرمر والتماثيل الرائعة، وتحيطها الحدائق والمنتزهات والمرافق الأخرى.

جوليا ميزا رئيسة العائلة

نفذ ماكرينوس أمره بإقامة الأسرة السورية في حمص إقامة جبرية، وهناك أصبحت جوليا ميزا رئيسة العائلة يعاملها السوريون على أنها جدة الإمبراطور صاحب الحق الشرعي بالحكم، وكان حفيدها باسيانوس في الثالثة عشرة من عمره بينما كانت جوليا ماميا خالته قد ولدت طفلاً اسمه اليكسيانوس وأصبح طفلاً في الثانية من عمره.

عقدت جوليا ميزا الأمل على استمرار الأسرة السورية في حكم روما بوجود حفيدين لها باسيانوس الذي أصبح اسمه ايلاغبال، واليكسيانوس وقد أصبح اسمه سيفيروس الإسكندر. وكان ايلاغبال قد تسلم مركزه في حمص ككاهن أعظم، وكان يظهر بملابسه الكهنونية الفخمة في المناسبات الدينية والأعياد حيث يرأس موكب المصلين الماضين باحتفال شعبي كبير إلى رأس الجبل، حيث هيكل إله الجبل ممثلاً بحجر ضخم مقدس.

كانت جوليا ميزا قد اعتمدت على قائد سياسي يدعى جانيس، فجعلته معلماً لحفيدها، وحامياً لابنتها سومايا، ولكنها لم تلبث أن عينته ميزا مستشاراً لها.

وقد فطن جانيس أن الحفيد ايلاغبال يتمتع بذكاء وثقافة تؤهله للحكم، وبخاصة أنه الكاهن الأعظم الذي يدين له بالولاء الشعب السوري والجنود المقيمين في سورية، اتخذ جانيس خطوة حاسمة بالاتفاق مع ايلاغبال ، وبفضل جسارة جانيس وشجاعته استطاع أن يكسب حسن استقبال الجنود للإمبراطور الصغير بملابسه الإمبراطورية وبوصفه ابناً لكاراكالا، فكان الحماس شديداً باستقباله والهتاف له، وهتفوا به إمبراطوراً تحت اسم ماركوس اوريليوس انطونيوس وقاموا بتقديم عباءة الكاراكال ووضعوها على كتف المحتفى به. والتحقت به جوليا ميزا وابنتها سوميا وأختها ماميا، وأصبح المكان مزدحماً عندما جلب الجنود زوجاتهم وأصدقاءهم إلى مركز الحامية.

استطاعت جوليا ميزا بذكائها ونشاطها معتمدة على ولاء السوريين وأنصار كاراكالا أن تستعيد كرامة أسرتها في روما. وأن تنقل رماد أختها من أنطاكية إلى

روما كي يدفن إلى جانب قبر كاراكالا في مقبرة الأنطونيين، وأن تزيح ماكرينوس وتنصب حفيديها ايلاغبال أولاً ثم سيفيروس الإسكندر ثانياً متابعة خطة أختها جوليا دومنا في إدارة الدولة بدهاء ومقدرة وحزم، موجهة الإمبراطورين الواحد بعد الآخر إلى سداد الحكم وحسن الإدارة لصغر سنهما.

كانت «جوليا ميزا» أكثر تأثيراً في السياسية والعقيدة وتحويل المجتمع الروماني نحو الحياة الشرقية ونشر العادات والتقاليد السورية.وهي أرملة أحد السوريين ولها منه ابنتان جميلتان هما «جوليا سوميا» التي تزوجت ابن خالتها «كارا كالا». و«جوليا ماميا» التي تزوجت ابن «كارا كالا» الإمبراطور «إيلاغبال».

الامبراطور افتينوس (ايلا غابال)

بعد موت «كارا كالا» قتلاً وموت أمه «جوليا دومنا» حزناً عليه، حصلت في روما اضطرابات تزعزع النفوذ السوري على أثرها، إلا أن الفرقة الغالية الثالثة المؤلفة من الجنود السوريين المرابطة قرب مصياف، وبتأثير «جوليا ميزا» أعلنت «أفتينوس» إمبراطوراً على روما تحت اسم «إيلاغبال» وهو ابن «جوليا سوميا» و«كارا كالا»، وكانت جدته «جوليا ميزا» قد استردت مكانتها وقيادتها للأمور ودعمت الإمبراطور الصغير (أربعة عشر عاماً) وابنتها بحامية سورية جديدة.

كان «أفتينوس» قد ورث صفة الكاهن الأعظم في معبد حمص، وأصبح يحمل إسم الحجر الأسود الهرمي الذي يرمز إلى الإله «إيلاغبال» الشكل المقدس في العبادة السورية، فنقل الحجر الأسود إلى روما، وأنشأ له معبداً خاصاً وميزه على سائر الأشكال المقدسة وبنى قربه مذبحاً، وكان الإمبراطور يمارس الطقوس والشعائر في المعبد على الطريقة السورية، ويتبعه في ذلك جميع رجال الدولة.

ثم أنشأ إيلاغبال معبداً آخر في ضواحي روما، وجعل الحجر الأسود ينتقل بين المبعدين على عربة محلاة بالذهب والأحجار الكريمة وباحتفال رسمي.

ولقد أثار هذا التحول العقائدي المتعصبين من القادة الرومان، فتآمروا على الإمبراطور وأمه «جوليا سوميا» وكثيراً من رجال الحاشية السورية، وألقوا

بجثثهـم في نهر التيبـر (٢٢٩م) وهدموا المعبدين وأعـادوا الحجر الأسود إلى سورية.

لـم يكـن «إيلا غبال» قد سمـع إلى نصائـح «جوليا ميزا» الحكيمـة القديرة، وكانت تنتظـر لحفيدها هذه النهايـة المحزنة، وتسعى إلـى استبداله بحفيدها الآخر «الكسيانوس» ابن «ماميا» ابنتها الثانية، الذي أصبح إمبراطوراً بعد مقتل «إيلا غبال»، واعتلى العرش تحت اسم «اسكندر سيفيروس».

لقد استمـر «اسكندر سيفيروس» على علاقته بسورية كسلفـه «إيلا غبال»، وكلاهمـا كانا يشغلان منصـب الكاهن الأعظم في حمصـ، واستمر ذلك حتى أثناء اعتلائهما العرش.

وكان اسكنـدر قد اهتـم بالناحيـة الديمقراطية وجعل الأمر شـورى معتمداً على مجلس المستشارين. ولعل اعتماده على القانون والعدل وتركيزه على الأمور الديمقراطية لم يكن يرضي بعض الفئات التي كانت تعيش على المنح والميزات. فقتلوه في خيمته عام ٢٣٥م وأمه «ماميا» وكان حكمه قد امتد ثلاثة عشر عاماً.

اكتسبـت سورية طابعاً استقلالياً تقريبـاً في عهد أسرة «سيفيروس» السورية التي اعتلـت سلطة الإمبراطوريـة ٢١١-٢٣٥م وجاء بعدها فيليـب العربي وكان لهـؤلاء الأباطـرة دور فـي حماية وجـود الإمبراطوريـة الرومانية أمـام الخطر الفارسي..

أثر المعماريين والفقهاء والعلماء

الوقـوف في روما يثيـر الأشجان ويثير الفخر، هنـاك أثـر حكم أفراد الأسرة السورية، وهنـاك آثار العباقرة من السوريين العظام الذين أوجدوا قوانين حقوق الإنسان وهنـاك من بنوا الأوابد.

فـي روما كانـت مجموعة من الأدبـاء والفقهـاء والعلمـاء السوريين تحيط جوليـا دومنا في بلاطها المفتوح للثقافة والعلـم، وكان أكثر هؤلاء قد جاؤوا من سوريـة. ولكن اهتمامها الأقوى كان بفلسفة مواطنها غالين التي تقوم على العقل والحقيقة، ولقد طبق نظرياته على العلم وعلى الدين.

إذا كان سيفيروس قليل الاهتمام بالفلسفة، ولكنه كان منصرفاً إلى الحقوق وكان مستشاره وصديقه رجل القانون السوري بابنيان ابن عم جوليا. وكان سيفيروس قد ابتدأ حياته قاضياً.ولم تكن جوليا بعيدة عن الجلسات القانونية، فلقد كانت تستفيد من الأبحاث الحقوقية في دعم ثقافتها السياسية والإدارية.

كان بابنيان نفسه الطبيب سوري ابن عم جوليا والذي جاء من دمشق بدعوة منها، هو المشرع الأكثر حضوراً في وضع القانون الروماني ،وكان من أبرز المشاركين في حلقات جوليا دومنا في العلم والفكر، وكان من أشهر علماء الطب والتشريح ووظائف أعضاء الجسم، وإلى جانب دراسة الطب اهتم أيضاً بدراسة الفلسفة، وكان من أفكاره الشائعة «أنه لا يجوز قبول أي رأي على أنه صحيح، ما لم يثبت أمام التجربة والعقل.» وفي مجال الطب كان يقول: «إذا أردنا فهم الطبيعة علينا أن لا نثق بكتب التشريح بل الثقة بما نشاهده بأعيننا وببصائرنا».

، وكانت جوليا تجمع في مجلسها كبار العلماء والأدباء السوريين، فكانت ملهمتهم بذكائها وجمالها وعطاءاتها، بل كانت تجلس وسط حزمة من الورود تشع على الحاضرين بأفكارها وأسئلتها، وكانت متواضعة تصغي باهتمام لكل جواب وسؤال.

لم يكن ابنها البكر أليفاً لهذه اللقاءات المستمرة، فلقد كان يلازم أبيه في حروبه وحملاته، ولكن جيتا الأخ الأصغر كان تلميذاً نجيباً، بل كان في المجالس يشارك في السؤال وبعض الجواب، ترعاه بحنان واضح أمه الإمبراطورة المحبوبة من الجميع.

انتقال عقيدة السلالة السورية

كانت العقيدة السورية تؤمن بعلامات النجوم في تحديد المصير والمستقبل، وكان الاعتقاد أن مصير الإنسان مرتبط بالنجوم، وكان رصد النجوم قد أدى إلى الكشف عن عالم منظم مضيء، تقوم على تنظيمه قوة قاهرة تحكم السماء والأرض في كل زمان ومكان، وكانت هذه العقيدة بداية للعقيدة التوحيدية، وكان الاعتقاد أن مصير الأخيار إلى السماء، ومصير الفاجرين إلى مكان مظلم.

وليســت هذه العقيدة بعيدة عن العقائد التــي كانت سائدة في بلاد الرافدين ، ومــع أن هذه العقيدة تؤمن بتعدد القوى الحامية والتي تسمى آلهة، إلا أن جميع الآلهــة المحليين ليسوا إلا مظاهر لــروح واحدة تعتبر الشمس نافذة وشارة لهذه الروح المطلقة.

وكان إلــه حمصــ والمسمــى «ايلاغابــال» ويعنــي «إلــه الجبل» بدايــة لاسم «الوهيم» فــي العبرية و«إله» في العربية الإسلاميــة، وكان الجبل رمزاً للتصعيد باتجاه الملاذ المطلق.

الرومان و هيكل الآلهة في حمص

وصلــت أخبــار إلى سورية ترافقهــا إشاعات متطرقة أن سوريــة ستكون دولة مستقلة واسعة الأرجاء، وأن الإمبراطور سيكون من سلالة سورية.

كانت حمص (ايميسا) مسقط رأس الأم جوليا دومنا أكثر احتفالاً بهذه الأنباء التــي استقــرت عند الشعب وكأنها الحــدث الوشيك التحقيــق. وسارت المواكب الشعبية في احتفال ديني باتجاه هيكل الإله إيلاغابال في قمة هضبة في ضواحي حمص، كانت أعمدة الهيكل مذهبة تعكس أشعة الشمس وكان المؤمنون بالديانة الجبليــة الرمزية يأتون من جميع أنحاء المنطقــة حتى من بلاد فارس، يقدمون الذبائح والقرابين القيّمة. وكان الكاهن الأعظم قد تسلم السلطة الدينية وراثياً

الامبراطور فيليب العربي

«فيليب العربي» هو الشخصية السورية الأكثر أهمية والتي وصلت عن جدارة إلى قمة الحكم في إمبراطورية روما الواسعة الأرجاء. ولد فيليب العربي عام ٢٠٤ في شهبا بلدة صغيرة قريبة من بصرى تقع في الولاية العربية Provincia Arabia، وكان والده أحد شيوخ العرب رئيساً لقبيلة اتسع نفوذها وازداد عدد أفرادها حتى أصبحت قوة لها دورها في دعم الإمبراطورية، التي أصبح رعاياها على اختلاف انتماءاتهم مواطنين لهم جميع الحقوق، وهذا التحول كان قد أجراه «كاراكالا» الإمبراطور السوري الذي حكم روما

١٩٨-٢٠٧م، حمل والد فيليب اسم جوليوس مارينوس وحمل ابنه اسم فيليب الذي شب في بيئة عربية صرفة تؤمن بالحرية ويدفعها الطموح إلى العمل والنشاط. وعندما أصبح فيليب ضابطاً في الجيش استطاع أن يثبت ذاته كقائد ناجح، حتى أصبح قائداً للحرس الإمبراطوري. وعندما تمرد جنود جيش الشرق على الإمبراطور جورديان الثالث أصبح فيليب إمبراطوراً (٢٤٢-٢٤٩م). باشر إنجازات هامة في تحسين الجيش لمتابعة قتال الفرس أو لعقد معاهدة صلح معهم وهذا ما حصل، وتعلق بمبادئ الشرعية فقوى من سلطة مجلس الشيوخ وحاول أن يضع حداً لتدخل الجيش في السلطة وفي تغيير الإمبراطور. وناصر الحرية الفردية. وكان ابنه فيليب الثاني قد نما على أخلاق ومثل أبيه، فشاركه في الحكم عندما شب ونضج، حتى بدا اسم الابن مقترناً باسم الأب على نقود الإمبراطورية، كما أن زوجته مارينا سيفيروس (ولعلها من أسرة سيفيروس الحمصية) قد ساعدته في حكمه، وظهرت نقود تحمل صورتها تمجيداً وتكريماً. (شكل٥٥)

٥٥- فيليب العربي

ومع أن الوثنية هي عقيدة روما، إلا أن فيليب العربي كان من مناصري المسيحية،

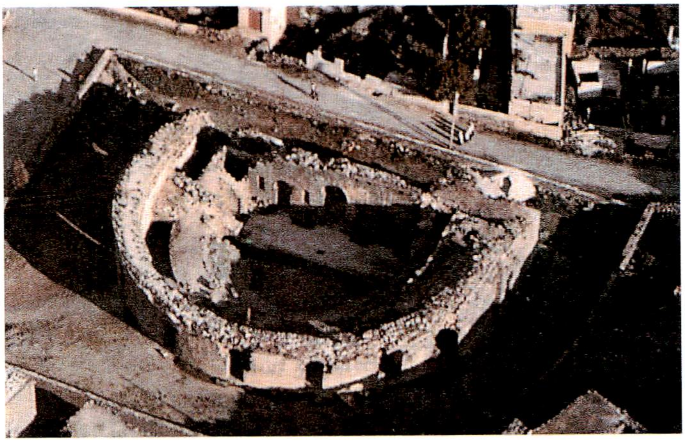

٥٦- شهبا – مشهد المسرح

مـكــرراً مـا فـعـلـه سـلـفـه كــاراكــالا. كـان فـيـلـيـب الـعـربـي شـديـد الــولاء لـوالـده، حتى أنه رفـع مـن شـأنـه إلى مرتبة الإله، وعلى نقود عثر عليها يبدو نسرٌ باسط جناحيه يرفع صورة الأب إلى مصافي الأرباب. وإثر فتن المتمردين قتل فيليب العربي عام ٢٤٩م في معركة ضدهم قرب مدينة فيرونا. وكان في حياته شديد الاهتمام بمدينته الأولى، فأنشأ فيها كثيراً من المباني التي ماتزال حتى اليوم ومنها مدفن الفيليبيون الذي لم يدفن فيه ، والمسرح (شكل٥٦).وثمة آثار قصر حفظت فيه الألـواح الفسيفسائية الرائعة. (شكل٥٧)

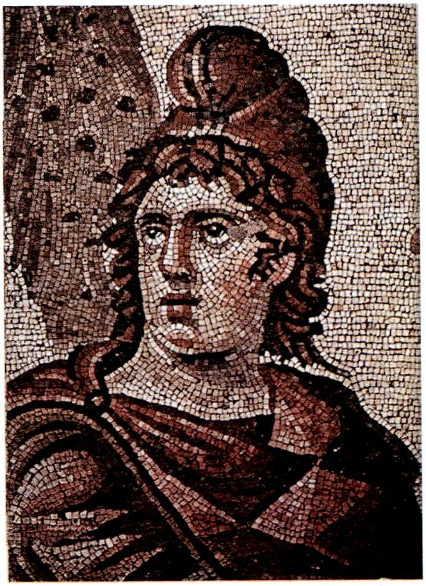

٥٧- شهبا – فسيفساء

ابوللدور الدمشقي

أبـو للودور الدمشقي الذي ولد على ما يبدو فـي دمشق عام ٨٠ للميلاد، كان قـد اختص بالعمارة الضخمة، وقد صـارت له شهرة واسعة مما دعا الإمبراطور «تراجـان» إلى استدعائـه إلى روما لبناء فورم روما الــذي مازالت آثاره واضحة حتى اليوم في عاصمة إيطاليا روما.

وقد تم إنجاز هذا الفورم عام ١١٤م وهو ساحة تحيطها بوائك مخصصة لرجال الحكم والاقتصاد، يتبادلون بها أفكارهم وبضائعهم ويحلون مشاكلهم، وعادة ينشأ في مركز المدينة (المترو بول) مثل هذه الساحة (الفورم) التي أخذت عن الإغريق وتسمى (اغوارا).

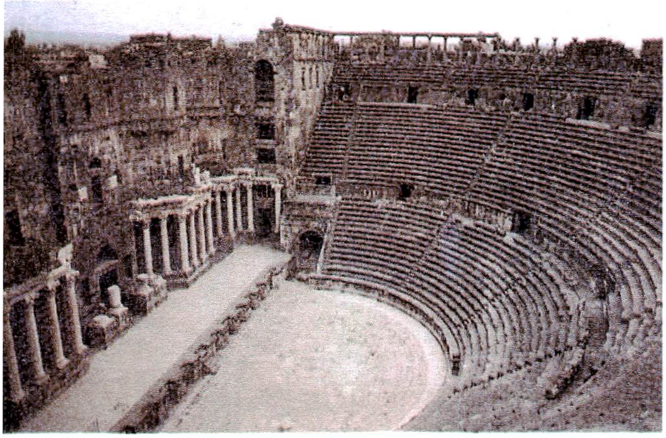

مسرح بصرى - مشهد جانبي

مسرح بصرى - مشهد جبهي

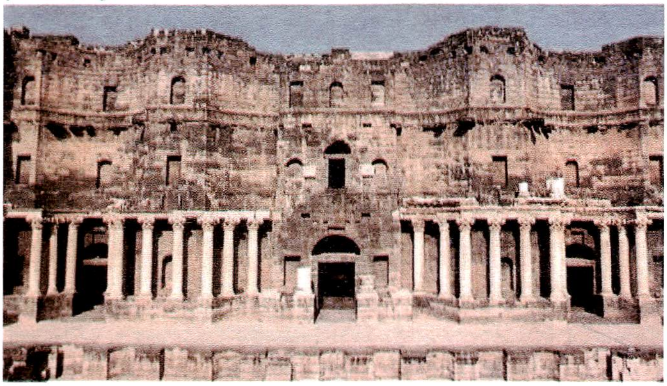

و تشمل الحقبة السورية في روما منشآت المعمار الدمشقي أبو للودور التي ما زالت آثارها شاهدة في روما. ، وأخذت العمارة الرومانية فيما أخذت من تقاليد العمارة السورية، بناء القوس والقبة حتى إن قبة «البانتيون» وهي أشهر قبة في العالم كان قد بناها المعمار السوري أبو للودور الدمشقي Apollodor de Damas. ونحن نعرف أن هذا الصرح الضخم كان قد أنشئ عام ٢٧ في عهد «أوغست» من قبل المعمار «فاليريوس». ثم أعيد بناؤه بعد أن تهدم، في عهد الإمبراطور «أدريان» عام ١٣٨م. وقد صمم. قبته ونفذها أبو للودور الدمشقي الذي اشتهر في ذلك الوقت كأبرع معمار. وترتفع القبة عن الأرض ٤٣,٥٠متراً،

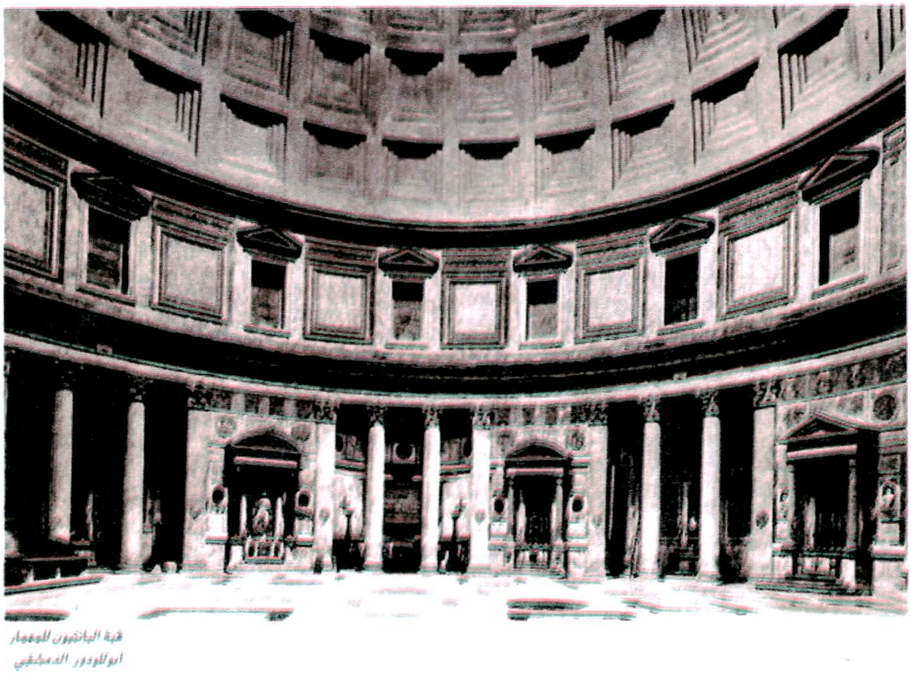

٥٩- البانتيون – للمعمار أبوللدور الدمشقي

ويبلـغ قطرهـا نفس ارتفاعهـا وليس لهـذه القبة رقبـة أو نوافذ، بـل فتحة عليا قطرها ٩ أمتار. وهي اليوم مدفن للعظماء، فيها قبر «رافائيل» المصور الشهير، و«ماكيافيلي الفيلسوف». (شكل٥٩)

كان تراجـان إمبراطـورًا رومانيًـا وقائـدًا عسكريًا مهمًّـا، (٥٣؟ – ١١٧م)، ولـد باسم ماركوسـ ألبيوس ترايانوس في مدينة إيتاليكا فـي أسبانيا من أبوين رومانييـن. كان أبوه عضوًا في مجلس الشيوخ، ثم أصبح فيما بعد حاكمًا لسوريا التـي كانـت إقليمًا مهمًّا فـي الإمبراطوريـة الرومانية، ثم أصبـح تراجان نفسه عضوًا في مجلس الشيوخ، وشغل مناصب عسكرية في أسبانيا وسوريا وألمانيا.

ثمة نصب تذكاري أنجزه المعمار أبوللدور الدمشقي بتكليف من الامبراطور تراجـان يسمى عمـود تراجـان، بُنـي تخليـداً لانتصـار الأمبراطورعلى شرف الإمبراطور الذي وسّع الإمبراطورية بالفتوح ونفذ برامج بنائية واسعة. فقد افتتح داسيـا (أجزاء من رومانيـا والمجر حاليًا) سنـة ١١٣م ، وتخليدًا لهذه الذكرى

تـم انشاء هــذا العمود. و مــازال قائماً حتـى يومنا هــذا في مدينـة روما. وهو عمود كالمئذنة الأسطوانية ارتفاعه ٤٣ متراً وهو مؤلـف من ثمانية عشر جزءاً وداخلـه سلـم لولبـي، ويغطـى العمود بنقوشـ بارزة تمثل ما يقـرب من ألفي محارب عدا الآليـات ومعدات الحرب، وتمثـل مشاهـد الجنـد هـذه، حـرب تراجان المنتصرة في بلاد داشيا، وفي قاعدة العمود مكان أودع فيه رماد جثة الإمبراطور، وقد وضعـت في وعاء من الذهـب. وينتصب هذا العمود الذي تم الحفاظ عليه جيدًا، في ساحة تراجان العامة في روما. (شكل٦٠)

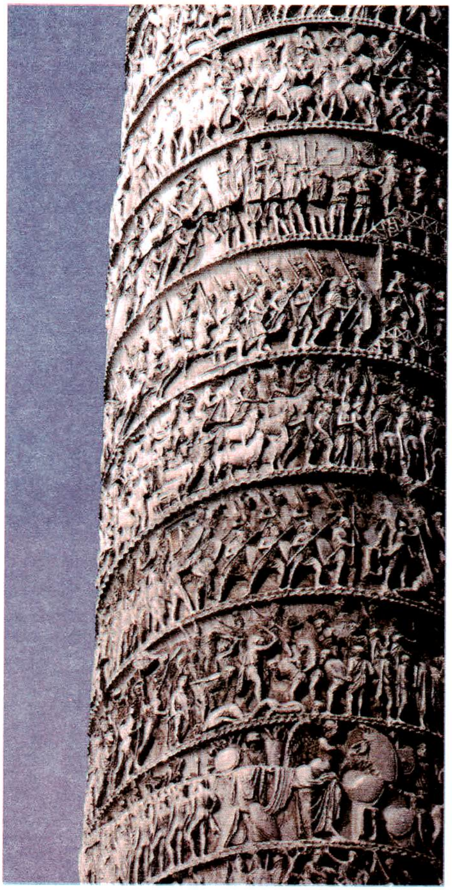

٦٠- عمود تراجان - روما

وفي المتحـف الوطني بدمشق جزء هـام منسوخ عـن العمـود قـدم هدية اعترافاً بفضـل أبوللدور الدمشقي صانع هذا العمود.

ولقـد أنشأ «أبـو للودور» أيضـاً منشآت أخـرى، وهي قصر للعـدل ومكتبتين وبازليـك أولبياالقد أدهش فن «أبو للـودور» الأباطرة الرومان، وبخاصة تراجان، وكان صديقـاً «لأبو للودور» فاحتـل هذا المعمار السوري في عهده مرتبة عليا من التقديـر، وبعد وفـاة تراجان عـام (١٣٥م) اعتلى العرش «أدريـان» الذي ابتدأ متمسـكاً برعايته «لأبو للـودور»، فكلفه ببناء قبة «البانتيـون»، ثم أقام كمهندس للجسـور ببنـاء أضخم جسر أنشئ في تاريخ روما وهـو جسر «دبروجا» على نهر

الدانـوب، فـكان معجـزة هندسية رائعة، ثم كلفـه ببناء معبد كبيـر. ومات «أبو للـودور» قبل إنجـازه، وكان موته غامضاً، إثر اختلافه مـع الإمبراطور. لقد كان «أبـو للـودور» قمة في فن العمارة عبـر التاريخ، ويحق لنـا أن نزهو بعبقرية هذا الفنـان المعمار الذي اصبح قدوة فيمـا بعد، أخذ عنه ميكل أنجلو في بناء قصر فارنـزه في فلورنسـه. وأخذ عنه المعمـار الفرنسي في إنشاء عمـود فاندوم في باريس أيام نابليون.

عـدد مـن المعمارييـن السورييـن اشتركـوا فـي بنـاء الأوابـد الضخمة في الإمبراطوريـة الرومانية، ذلك أن المعمار السـوري كان قد أنجز ببراعة خارقة أوابـد ضاهت بروعتها أوابد روما، ونحن مازلنا نـرى آثار دمشق وأفاميا وتدمر وبصـرى وشهبا وآثار بعلبك وجرش، وكلها من بناء المعمار السوري أو الشامي. وقـد وصلت إلـى أعلى مراتب الكمـال والروعـة المعمارية. ولقـد ورث المعمار السـوري عـن أجداده تقليـد إنشاء الأقواس والقباب مما لـم يضارعه في ذلك معمار آخر.

الفصل الرابع عشر

الانباط و تدمر

حاضرة الشرق في العصر الروماني

الأنباط

تدمر حاضرة الشرق

الغساسنة والمناذرة

الفصل الرابع عشر

الانباط و تدمر
حاضرة الشرق في العصر الروماني

الأنباط

الأنباط من العرب الذين استوطنوا البتراء، وتعني (الحرة)، وحوالي عام ٣١٢ق.م أصبحوا من القوة أن يصدوا السلوقيين، ويبدو أنهم كانوا من أحلاف البطالمة في مصر، ثم تحالفوا مع الرومان ٢٤ق.م وكان ملكهم الحارثة الثالث. وقبله في عام ٤٧ ق.م كان يوليوس قيصر قد التمس من مالك الأول، إسعافه بكتيبة من الخيالة لاكتساح الإسكندرية. وكان مالك يعتبر ملك العرب كلهم.

بلغت دولة الأنباط توسعها في عهد «عبيرة أو بوداس الثاني» ٢٨-٩ق.م ووصلت المملكة وعاصمتها البتراء في عهد سلفه الحارثة الرابع إلى دمشق والبقاع، وكانت مدائن صالح في شمالي الحجاز تابعة له أيضاً. وفي سنة ١٠٥م قضى إمبراطور الرومان تراجان على الأنباط العرب لغةً وجنساً وثقافةً، وكانت الكتابة النبطية أصل الكتابة العربية.

تدمر حاضرة الشرق

كانت سورية في العصر الروماني مجزأة إلى ولايات. وكانت حاضرة مستقلة واسعة عملت على توسيع حدودها حتى وصلت إلى الأناضول وإلى الاسكندرية. ولقد حاولت بعض الولايات الاستقلال ولكنها بقيت تدين بالولاء إلى روما. وفي بداية القرن الثاني الميلادي أصبحت سورية أكثر ازدهاراً بفضل التنظيمات الإدارية والتطور الاقتصادي، نرى آثاره في منطقة الكتلة الكلسية حيث كانت

زراعة الزيتون الوافرة، ونراه في تدمر التي كانت مركز التبادلات التجارية مع المدن المجاورة، بل مركزاً هاماً في طريق الحرير الواصل من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط والغرب.

كان التدمريون من عرب البادية الذين استقروا في واحة تتمتع بموقع استراتيجي هام، وكانت تحكمهم أسرة حيران العربية. ومنذ أن أصبحت الأسرة السيفرية السورية حاكمة في روما ابتدأ الاهتمام بسورية وبخاصة تدمر فأعلنها كاراكالا مستعمرة رومانية وأعفاها من الضرائب.

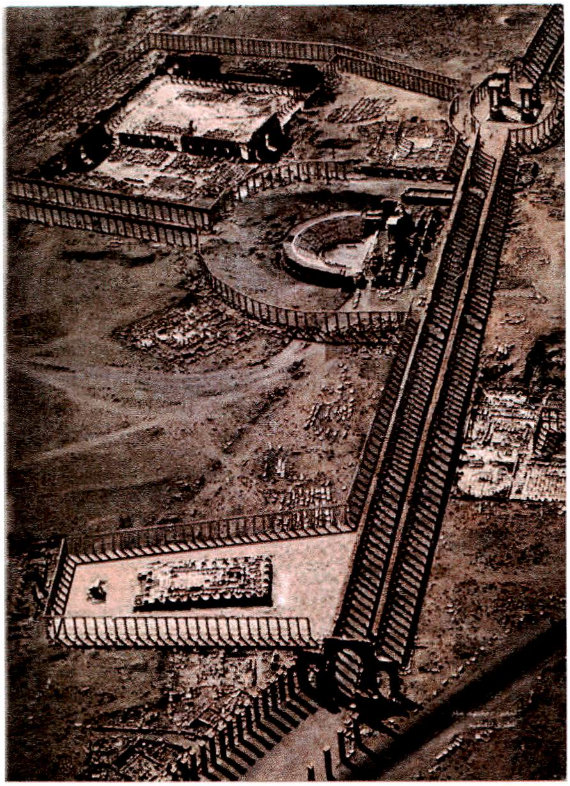

٦١- تدمر – مشهد الأسوار

كان مركز تدمر التجاري سبب ازدهارها، فكانت البضائع من عاج وحرير وعطور تمر من الشرق عبرها، وكانت التماثيل والزجاجيات الفينيقية تصدر إلى الشرق عن طريقها وكانت مركزاً هاماً من مراكز طريق الحرير القادم من الصين. (شكل٦١)

كانت تدمر في عصر السلوقيين مستقلة. ثم أصبحت تابعة للنظام العمراني الروماني في عهد الملك أذينة والملكة زنوبيا ثم ابنهما وهب اللات. وارتفع مستوى الحياة الاجتماعية فيها وازداد العمران وتعددت المنشآت تحمل الأسلوب الروماني مع بعض الملامح المتميزة وبخاصة في التماثيل والقبور.

وكانت التماثيل التي اعتلت أعمدة الشارع المستقيم تنم عن ارتفاع مستوى الطبقة الحاكمة من قادة أو شيوخ، كذلك كانت تماثيل القبور توضح المستوى الراقي الذي كان عليه الشعب بلباسه وجواهره وطراز معيشته، وبتكريم الراحلين بإقامة أجمل التوابيت والقبور.

من أهم آثار تدمر معبد بل ومساحته ٢١٠-٣٥٩م ومعبد بعلشمين (شكل٦٢). ومعبد اللات. والمسرح مع منصته ومدرجه (شكل٦٣). وخلف المدرج ما زالت آثار مجلس الشيوخ والفوروم ، مع مجموعة من المدافن الظاهرة والتحتية. وفي متحف تدمر مجموعات من آثار تدمر النحتية والمعمارية. (شكل٦٤)

كانت تدمر زاهرة بحضارتها قوية بجيشها الذي استقطب المقاتلين في البادية، وكانت علاقتها الحسنة مع روما تدفعها إلى تقديم الفرسان والأدلاء لمؤازرة الجيوش الرومانية، بل كانت تدمر الثغر الحامي لأقصى شرق الإمبراطورية الرومانية من الخطر الساساني المتربص لروما دائماً. هكذا بلغت تدمر دوراً كبيراً في سياسة الشرق كله، وبخاصة بعد أن وصلت جيوشها إلى الأناضول والإسكندرية.

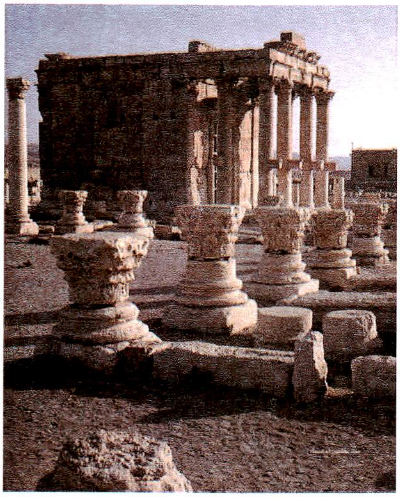

٦٢- معبد بعلشمين - تدمر

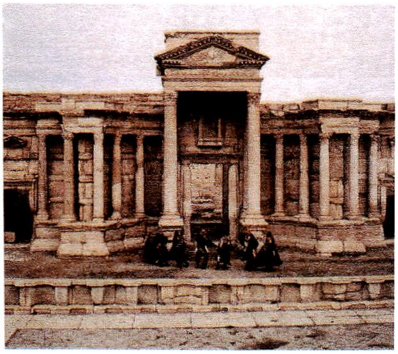

٦٣- المسرح - تدمر

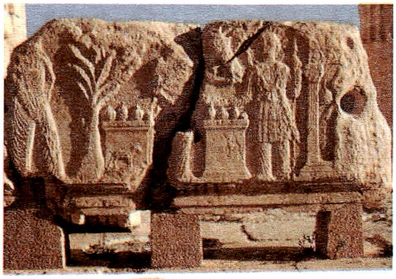

٦٤- النحت التدمري

ولكن طموحها بالوصول إلى روما لم يتحقق بل دفعت ثمن ذلك نهايتها القاسية المتمثلة بأطلالها القائمة حتى اليوم.

ومرة أخرى يقوم العرب التدمريون بنصرة الإمبراطور «فاليران» وإنقاذه من الأسر الفارسي في عهد ملك تدمر أذينة، الذي هزم الفرس الساسانيين وهدد عاصمتهم.

وعلى الرغم من قضاء «أورليان» على نفوذ تدمر، عام ٢٧٢م فإن سورية عادت إلى الاستقرار بظل الرومان، وكانت الإصلاحات التي تمت في القرن الثالث وبداية القرن الرابع قد وطدت الإدارة السياسية والنشاط الثقافي فيها والإعمار الذي حمل طابع الأسلوب الإغريقي الروماني.

وفي مجال التصوير والنحت فإن جميع الشواهد التي عثر عليها في تدمر، ومنبج وحوران وفي الساحل، هي من صنع الفنانين السوريين الذين كرروا التماثيل القديمة وابتكروا بطابع محلي صرف تماثيل تحمل الطابع السوري المتميز، ولعل تدمر شاهد قوي على الهوية الفنية السورية الصرفة. وفي مجال الفسيفساء فإن الشواهد الرائعة التي عثر عليها في كل أنحاء سورية والمحفوظة في متحف دمشق ومتحف تدمر ومتحف السويداء ومتحف أفاميا ومتحف المعرة، تجعل من سورية أكبر مركز على البحر المتوسط لابتكار وتنفيذ الفسيفساء الذي بقي مزدهرا في العهد البيزنطي ومن أهمها ما يمثل آلهة التدمريين، اللات وشماش، يبدوان في اللوح الذي عثر عليه في جبل البلعاس قرب تدمر (شكل٦٥). وثمة لوح آخر يحمل تماثيل عجليبول إله

٦٥- الآلهه التدمرية

القمر ويرحيبول إله الشمس. لقد عثر في منبج على تمثال كامل ذي طراز تدمري. (شكل٦٦). وفي متحف دمشق تماثيل جنازية لقبري يرحاي وطاعي

٦٦- - تمثال - منبج

الغساسنة والمناذرة

ثمة هجرات تدريجية تمت بعد خراب سد مأرب في اليمن بعد «السيل العرم»، أي بدءاً من أواخر الألف الأول قبل الميلاد. فكان من هذه الهجرات «المناذرة» في الحيرة (العراق) والغساسنة في جنوبي سورية (بصرى). هذه الحاضرة التي تحتفظ اليوم بالمسرح المدرج الأشهر في العصر الروماني.

وكانت بصرى محطة في عصر الأنباط، وأصبحت في العصر الروماني عاصمة الغساسنة و من أمهات المدن ،أغنى عمارتها الأسرة السورية الحاكمة. وفيها تم إنشاء مجلس الشيوخ والمعابد والحمامات والشوارع الرئيسية والكاتدرائية. مع معالم واضحة هي قوس النصر والكليبة أو سرير الملك. ومن أهم المنشآت في بصرى المسرح الأشهر في العالم ،ويبلغ قطره مئة متر وارتفاعه واحداً وعشرين متراً (شكل٦٧). والى العصر النبطي تعود البوابة الكبرى والبركة المربعة بضلع يصل الى مئة واربعة عشر متراً.

وأصل الغساسنة من الأزد استقروا في تهامة قرب عين ماء اسمها «غسان» فحملوا هذا الاسم، ثم نزلوا مشارف الشام وتغلبوا على قبائل «الضجاعمة» التي كانت تقيم هناك، وأنشأوا دولة عاصمتها بصرى واعتنقوا المسيحية، وكانوا حلفاء الروم فاشتركوا معهم في حروبهم مع الفرس وحلفائهم المناذرة العرب. وحكم الغساسنة ستمائة سنة أي من أوائل القرن الأول الميلادي إلى ظهور

الإســلام وكانت لغتهــم العربية والآراميــة وكان أول ملوكهم «جفنــة بن عمرو»، وامتــد سلطانهم على جميع بلاد الشام حتى تدمــر والرصافة وإلى البحر. ومن آثارهــم صهاريــج الرصافة والقصر الأبيض والأزرق وكثير مــن الأديرة، ولقد التحق بالغساسنة شعراء مشهورون مثل لبيد والنابغة الذبياني وحسان ابن ثابت.

أما المناذرة فهــم «تنوخيون» مزيج من «قضاعة» و«الأزد»، نزحوا بعد خراب السـد في «مأرب» وأسسوا في الحيرة مملكة استمرت من ٢٦٨-٦٣١م. إن أشهر تراثهــم قصــر الخورنق وحصن السدير، وكانوا من حلفــاء الساسانيين. ويروي ابن قتيبة الحرب الشهيرة بين المناذرة والغساسنة في «يوم حليمة».

الفصل الخامس عشر

سورية وبيزنطة

انتشار المسيحية من دمشق

المسيحية ديانة الدولة البيزنطية

انطاكية حاضرة المسيحية

الآثار المسيحية في سورية

الفصل الخامس عشر

سورية وبيزنطة

انتشار المسيحية من دمشق

المسيحية دين سماوي حمل رسالته السيد المسيح عيسى بن مريم الذي ولد جنوبي سورية في فلسطين وتوفي عن عمر يناهز الثلاثين، وفي كتاب الإنجيل قصة السيد المسيح في أربع روايات. وتابع رسله وتلامذته نشر رسالته في فلسطين أولاً ثم في سورية وفي العالم،.

في دمشق كان القديس حنانيا من الحواريين و من أوائل تلاميذ السيد المسيح الاثنين والسبعين والذين ذكرهم القديس لوقا، وعندما جاء شاؤول الى دمشق مناهضاً الدين المسيحي ، استقبله القديس حنانيا الذي قبّل شاؤل و أثناه عن اضهاد الكنيسة وعلمه مبادىء الدين المسيحي. ولما عمّده وتنصّر أصبح يتمتع بشهرة وتقدير عظيمين في كنيسة دمشق الفتية ، وفيها كشف السيد المسيح المهمة التي عينها لبولس الرسول. وقد قام حنانيا بمسح عيني شاؤول الطرسوسي، كما قام بإنقاذه بعد أن حمل اسم بولس ، وساعده على العودة الى اورشليم و مكث بها سنتين ثم مضى الى اسيا الصغرى ناشراً الدعوة المسيحية. حيث حاول اليهود قتله بالصلب واراد الوالى ان يجلده و ذكر بولس عن آلامه فى التبشير.

نقل القديس بولس إلى روما الديانة المسيحية فيما بعد، وهو الذي نقل الإنجيل ولأول مرة باللاتينية، وعن طريقه انتشرت المسيحية في جميع أنحاء أوربا.

كان نيرون امبراطور روما الطاغي قد أصدر قانوناً لقمع الحركة المسيحية،

وتنفيذاً لهذا القانون قتل بولس بالسيف عام ٦٧م كما قتل القديس بطرس صلباً.

واستمر حنانيا يبشر بالإيمان المسيحي البلاد السورية الى ان قبض عليه الحاكم الروماني وحكم عليه بالموت مرجوماً بالحجارة خارج سور دمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الأول ونقل المسيحيون جثمانه الى داخل مدينة دمشق القديمة داخل السور. ومنذ القدم تحول هذا البيت الى كنيسة الصليب. .

هكذا كان لسورية دور كبير في احتضان المسيحية وفي نشرها في أوربا، بفضل القديس حنانيا الدمشقي ودوره في إنقاذ بولس الرسول..

المسيحية ديانة الدولة البيزنطية

في نهاية الحكم الروماني على سورية انقسمت الإمبراطورية إلى قسمين، شرقي وعاصمته القسطنطينية، وغربي وبقيت عاصمته روما. وفي ٣٢٣م نشب قتال بين الفريقين بقيادة قسطنطين وليكينيوس، وانتصر الأول الذي أعلن تسامحه الديني وبالتالي تبنيه للمسيحية بعد الاضطهاد الذي كانت تلقاه في العهود السابقة.

في عام ٣٢٦م اعتنق قسطنطين وأمه هيلينا المسيحية في الامبراطورية البيزنطينية ، ثم قاما بزيارة القدس، وفيها أنشأت أمه الكنائس الأولى(كنيسة القيامة) وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية

ثم أعلنت كذلك في روما بعد أربعين سنة.وهكذا انتشرت المسيحية علانية وبقوة السلطة، وانتقل الناس في الإمبراطورية الرومانية الجديدة من الوثنية إلى المسيحية، وفي سورية كان ثمة ديانتان أساسيتان، الوثنية الرومانية والوثنية الآرامية، وكان الغساسنة والمناذرة العرب قد اعتنقوا المسيحية التي لعبت دوراً هاماً في السياسة الدولية بين فارس والبيزنطيين بعد الرومان.

اصبحت المسيحية ديناً معترفاً به من قبل الإمبراطور تيودوسيوس سنة ٣٩٢م وأصبحت بيزانطيوم عاصمة المسيحية يحكمها ابنه أركاديوس وأطلق عليها اسم القسطنطينية تكريماً لاسم الإمبراطور قسطنطين ٣٠٦-٣٣٧ الذي أعلن

مرسوم ميلانو أقر به حرية الاعتقاد. وصارت سورية تابعة لهذه الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي نشرت المسيحية. وعاشت ظروفاً صعبة فيما عدا عهد «جوستنيان» ٢٦٥-٥٢٧م ومازالت بعض آثاره قائمة.

في عهد «جوستنيان» (٥٢٧-٥٦٥م) انتشر مذهب اليعاقبة (مذهب الراهب يعقوب البرادعي) وكانت تيودورا السورية المولودة في منبج زعيمة هذا المذهب الذي انتشر بين السوريين والغساسنة على عكس المذهب الأرثذوكسي وهو مذهب القسطنطينية.

اعتمد المسيحيون في العالم ومنذ قسطنطين الأول على الإنجيل فقط، ولم يكن التوراة مصدراً من مصادر العقيدة المسيحية في أوربا، ولكن الإصلاح الديني الذي دعا إليه مارتن لوثر في القرن السادس عشر، فسح في المجال للاهتمام بالعهد القديم ، ولقي ذلك معارضة مما دفع إلى وصم لوثر باليهودية، على أن أتباعه من البروتستان رضخوا إلى مهادنة اليهودية ودعوا إلى دراسة التوراة واعتماده، وأصبحت التوراة جزءاً من طقوسهم الكنسية، مما أعطى الفرصة لليهود في أوربا أن يعلنوا منذ القرن السادس عشر عن شخصيتهم كأمة، وأن يتعاونوا مع البروتستان لإعلان أساطيرهم الثلاث، الشعب المختار، والبعث اليهودي للمسيح، وأرض الميعاد.

اتبع قسم كبير من السوريين العقيدة المسيحية، وتشهد الآثار في المدن المنسية في سلسلة جبال بيلوس على ازدهار الدين المسيحي وذلك من خلال الأديرة والكنائس التي أنشئت خلال الفترة من القرن الرابع إلى القرن السابع، كما تتجلى في مدينة الرصافة (سرجيو بوليس) وفي قلعة سمعان العمودي، وفي كنائس حوران ودمشق وحمص وأديرة وكنائس القلمون والبادية وفي حماه ، وفي المدن المنسية.

ومع ذلك فإن سكان سورية حافظوا على لغتهم السورية (السريانية) وهي آرامية الجذور. وكانت إنطاكية عاصمة المنطقة الشمالية كما كانت أفاميا عاصمة المنطقة الجنوبية.

انطاكية حاضرة المسيحية

كانـت أنطاكية أول مركـز للمسيحية، وكان بولس وغيـره ينطلقون منها في أعمالهم التبشيرية، وكان من ألمع كهنتها يوحنا فم الذهب الدمشقي.

فـي أنطاكية حاضـرة البطركية الشرقية سنسمع قصـة الراية البيضاء التي انطبـع عليها وجه المسيح، ومنذ ذلك الوقت تغيـرت ملامح المسيح في العالم، وأصبـح إنساناً وسيماً يشع بالنـور الإلهي له عينان حالمتان وعثنون صغير وشعر مسترسـل. وانتشر هذا الرسم في أنحاء العالم على يد كبار الفنانين وحل محل صورة المسيح التي كانت تختفي وراء صورة ابولون الإله الوثني الإغريقي. وتداول المسيحيـون في العالم اسـم المسيح السوري للدلالة علـى الصورة التي ظهرت فـي أنطاكية والتـي فصلت العقيـدة الوثنية عـن العقيدة المسيحيـة الجديدة. كانـت أنطاكية موئل السوريين الأوائـل الذين أغنوا الثقافة اللاتينية، كان منهم بوسيدونيوس الأفامي الفيلسـوف والمؤرخ والعالم الطبيعي وانتبياتر الصيداوي الشاعر الفذ ولوقيانوس السمسياطي الرحالة الجغرافي الذي أصبح حاكماً على مصر.

وفي أنطاكية نتلمس النفوذ السوري أيام حكم السلوقيين، فإذا كانت أنطاكية عاصمة فإن رجال هذه العاصمة كانوا من السوريين الذين استمروا في نفوذهم حتـى العصـور المتأخرة ، وكان لهـم دور كبير حتى في العهـود البيزنطية أيام جوستنيـان، ولم يكـن باستطاعة القسطنطينيـة عاصمة البيزنطييـن أن تزهو بكنيسـة اياصوفيا لولا عبقرية انتيموسـ وايسيدور السوريين من كيليكيا والذين صمما هذه الكنيسـة وأشرفا على تنفيذها وأصبحت أساساً معمارياً لبناء جميع الكنائسـ البيزنطية، ثم أصبحت أساسـاً لبناء المساجد التـي أنشأها المعمار سنان، كمسجد السليمانية في استانبول ومسجد السليمية في ادرنة، والخسروية في حلب.

الآثار المسيحية في سورية

يمكننـا توضيح معالـم تاريخ سورية خـلال الحكم البيزنطي فـي مرحلتين، يفصـل بينهما حكـم جوستنيـان الكبير. وفي المرحلـة السابقـة تمتعت سورية بعـد تقلبات سياسية بالاستقرار، وازدهرت بعض المدن الساحلية مثل إنطاكية وسلوقية واللاذقية ، وبعض المدن الداخلية مثل أفاميا التي كانت عاصمة وحلب وقنسريـن (كالسيـس) وحمص ودمشق. وتمثـل هذا الازدهار فـي الصناعات اليدويـة والنسيج الحريـري في الساحل، وبالتجارة الدوليـة مع إيران من خلال نصيبين وحلب وإنطاكية، ومع الهند عن طريق البحر المتوسط والخليج العربي، وعـن طريق خليـج العقبة والسويـس، وكانت المبادلات التجاريـة تتضمن السلع والمواد الخفيفة الوزن والعالية القيمة، كالتوابل والعطور والعاج واللؤلؤ والحرير. ولكـن الازدهار المستمـر تمثل بالنمو الزراعي وبالتجـارة بالمحاصيل الزراعية عبر المدن الداخلية.

عندما كانت سورية تدخل جغرافياً في نطاق الإمبراطورية البيزنطية، أنشئت الأديرة والكنائس.وأهـم بناء كنسي في دمشق المريمية أو كنيسة مريم العذراء التي أنشئت أولاً في القرن الثاني الميلادي ولعلها تهدمت وأعيد بناؤها في القرن الخامس، ومازالت عامرة حافلة بالأيقونات الدمشقية.

. وفي عام ٣٢٦م جاءت أم قسطنطين هيلينا لزيارة القدس وكانت قد اعتنقت المسيحيـة، وفيها أنشأت الكنائـس الأولى (كنيسة القيامة) ، وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح.

وفـي شمال سورية كانت آثار الرصافة (سيرجيوبوليس) من أهم الآثار التي مازالت قائمة من العصر المسيحي البيزنطي، وتقع على بعد ٣٠ كم جنوب غرب الرقة، وكانت مقراً للغساسنة ويحيط هذه المدينة أسوار في صفين وأربعة أبواب شديـدة الزخارف ذات أبـراج ،ومن أهم المباني كاتدرائيـة سرجيوس الكبرى ولعلهـا كانت تضم رفـات القديس (شكل٦٧) . وثمة خزانـات مياه ضخمة تحت الأرض.[٤٠]

٦٧- سيرجيوبوليس – الكاتدرائية

تحيـط الرصافـة اليـوم أسوار منيعة فـي صفين وخندق خارجـي مع أربعة أبواب. ولقد حددت معالم القصـر. و مازالت آثار كاتدرالية القديس سرجيوس قائمة. عثر فيها على كنز ذهبي من الأواني. (شكل٦٨).

٦٨- كنز الرصافة

شـن الساسانيون الحرب عليها عـام ٥٤٠ م ،وفي العصر الإسلامي أصبحت مقـراً للخليفـة هشـام بن عبد الملـك. وكانت سوريـة قد حاولت منـذ أن كانت حاضرة الإسلام في سجال مستمر مع بيزنطه.

ومـن أهم الآثار التي تعود إلى العصـر البيزنطي آثار المدن المنسية الواقعة فـي محافظـة إدلب، قـام بدراستها العالـم الفرنسي شالنكـو ، وكشف عن مئة وخمسين كنيسة وبيت و بخاصة آثار سرجللا (شكل٦٩) و الباره (شكل٧٠) وقلب

٦٩- سرجيلا - الكنيسة

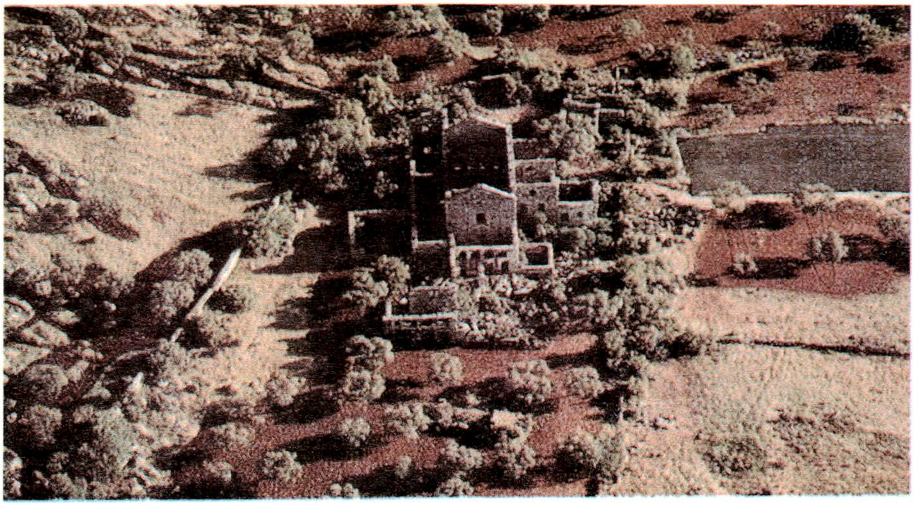

الباره - مشهد عام من الجو

٧٠- الباره- المدن المنسية

لـوزه. أما قلعـة سمعان العمودي وفيهـا الكنيسـة التـي أنشئـت عـام ٤٧٦ فهـي أضخـم كنيسـة فـي العالـم المسيحـي مساحتها ٥٠٠٠ م٢ ، ويلحـق بها دير وقبر بمساحـة ٥٠٠٠ م٢، والمعمودية بمساحـة ٢٠٠٠ م٢، وكان الموقع محجماً للمؤمنيـن مـن أنحـاء العالم، تقديساً للقديس سمعان. (شكل٧١) أمر بإنشائها القيصر ليون الأول في العام ٤٧٤ م

٧١-كنيسة سمعان العمودي

وتتـوزع الآثـار المسيحية في جنوبي سورية ، فـي قنوات وسيع والنمـارة وأزرع ، وفـي الباديـة حيـث قصـر ابـن وردان وقصر أثرية، والاندرين، وحوارين.

وقصـر ابن وردان: هـو آبدة معماريـة فريـدة بطرازها الذي يعتبر مقدمـة للطراز الإسلامي، فالتنـاوب فـي صفـوف الأحجار الملونـة بيـن صفـوف آجريـة حمـراء والبـلاط الممـزوج بالحصـى والكلس، يجعل البناء رائـع المشهد، [٤١] يبدو في وسط الباديـة وكأنـه بنـاء أسطـوري. (شكل٧٢)

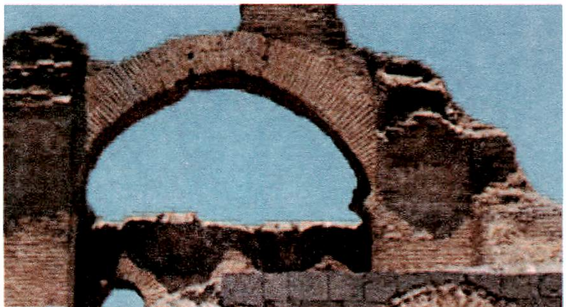

٧٢- قصر ابن وردان

كما تتوزع الآثار المنقولة وألواح الفسيفساء في المتاحف وبخاصة في متحفي آفاميا ومعرة النعمان. وترعى السلطة الأثرية كنوز الكنائس والأديرة ، من أوان كنسية ولوحات إيقونية. محفوظة في الكنائس والأديرة ، مثل الكاتدرائية المريمة في دمشق وكنيسة الرسول حنانيا التي تحوي روائع الإيقونات. وفي دير القديسة تقلا في معلولا المنقور في الصخر داخل مغارة يقطر الماء من أعلاها في حوض حجري يحفظ الماء المعدّ للشرب الزائرين.

واشتهر الفن الكنسي باحتوائه على الإيقونات الي تتصدر الإيقونستاز أي هيكل الكنيسة ، وموضوعها المسيح والسيدة مريم العذراء والحوارين. وكلن يوحنا الدمشقي قد شجع على تصوير الإيقونات ، وفي عاصمة مالطة أقدم أيقونة سورية. وكان المصورون السوريون قد اهتموا بإبداع ايقونات متميزة بطابعها السوري ، نذكر من الرسامين المصور يوسف الحلبي وابنه المصور نعمة اللهو في تدمر عثر على ايقونة من القرن السادس تمثل السيد المسيح والقديس ميناس محفوظة في متحف اللوفر. وفي كتاب المطران جورج خضر توسع في تاريخ الإيقونة وقداستها.

ومن أهم الأواني الذهبية الكنسية ماعثر عليه في الرصافة (سيرجيوبوليس) وتتألف القطع الفنية الكنسية من الكؤوس وحواجل الزيت وتذكارات التبرك والرسوم الجدارية في الدياميس والتي تعود الى القرنين الثاني والثالث الميلادي. وتعد الأناجيل المخطوطة من أهم المقتنيات الكنسية أحدثها كتاب الناموس الكنسي المزين بالصور ، خطه ورسمه الخطاط الحمصي قسطنطين بن داوود الحمصي. وفي المتحف الوطني بدمشق أنجيل باللغة العربية يعود الى القرن الثامن عشر مزين بصور مرقنة تمثل الإنجيليين الأربعة .

الفصل السادس عشر

التراث الإسلامي

سورية ومعركة اليرموك

علاقة سورية مع القسطنطينية

أصالة الفنون الإسلامية

مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية

الوحدة والتنوع

أحقاب الفنون العربية الإسلامية :

الفن والعقيدة

الواقعية في الفن الاسلامي

الفن الاسلامي بين التشبيه والتجريد

التصوير الإيضاحي بين المرقنات والمنمنمات

الرقش العربي و الزخرفة

تراث العصور الإسلامية

الآثار الإسلامية في متاحف العالم

الملامح الفنية الإسلامية في الآثار الكنسية الأوروبية

الفصل السادس عشر

التراث الإسلامي

سورية ومعركة اليرموك

عند إعلان دولة الإسلام بعد دعوة الرسول إلى مكة، كانت بلاد الشام جزءاً مـن إمبراطورية الروم البيزنطيـة وكان إمبراطورها هرقل قد وحّد بلاده ووطد أركانها. وابتدأ الرسول في العام الثامن للهجرة بحملات خفيفة على الروم، كان أولها غزوة (مؤته). وفي العام التاسع للهجرة ٦٣٠م قاد الرسول معركة (تبوك) التـي حققت توسعـاً. وبعد وفاة الرسول انتصر المسلمـون على بطريق فلسطين فارتد الروم إلى غزة. وبينما كان خالد بن الوليد يقاتل في العراق، جاء أمر أبي بكر الصديق بالاتجاه إلى الشام بعد أن كانت الحيرة قد سلمت لخالد.

وبفتـح دمشـق سقطـت جميـع البـلاد الشامية حتى جبـال طوروس. وكان السوريون أهـل البلاد يقفون دعماً للعرب الفاتحين مـن أبناء عمومتهم، «فكان الفتح يسيراً» كما يقول البلاذري. وعندما تم فتح القدس، قدم عمر بن الخطاب إلى باب الجابية كي يشارك أبا عبيدة الجراح في دخول المدينة المقدسة.

علاقة سورية مع القسطنطينية

فتح العـرب البلاد وانهزم هرقل وابتـدأ العرب بتهديد الوجـود البيزنطي.. **وحاولـت جيوش المسلميـن فتح القسطنطينية في عهـد معاوية على يد ابنه يزيد، وفي عهد عبد الملك على يد مسلمة بن عيد الملك وفي عهد هشام بن عبد الملك على يد عبد الله البطال وغيره وكان لابدّ من التعايش الحذر بين السوريين والقسطنطينية.** [٣٩]

الذكريـات القديمـة تدفعنا للتوقف عنـد حادث جلـل كان للسوريين فيه دور

كبيـر، يوم تحققت ثـورة أصولية على عبادة الأيقونات والمنابر، وكان زعيم هذه الثـورة من سورية هو ليـون الثالث (٧١٧-٧٤٠) الـذي كان واحداً من المثقفين فـي بلاط الخلافة فـي دمشق، وكانت تربطـه بيزيد بن معاويـة روابط خاصة، وكان الإمبراطـور قـد فهم الدين الإسلامـي وأتقن العربية وكانـت لغته الأولى. ولأن الإسلام قام على التوحيد ونبذ عبادة الأصنام والصور منذ أن قام الرسول بإزالتهـا من الكعبة، فإن الإمبراطـور ليون الثالث قرر منع عبادة الأيقونات التي كادت أن تحـرف المسيحييـن عن عبـادة الله إلى عبادة وثن هـو صورة المسيح أو العـذراء أو الحوارييـن، وكان ثمة حـوار وتنسيق بيـن القسطنطينية ودمشق، وانتهـت الحرب بعد وقت طويل بانتصار الإمبراطور على الكهنة الذين استفادوا من تجارة الأيقونات. **وعاشت هذه الإمبراطورية حتى عام ١٤٥٣م حيث استطاع محمد الفاتح إنهاء وجودها بعد فتح القسطنطينية.**

أصالة الفنون الإسلامية

ظهـرت الفنـون الإسلامية على أرضـ عربية واسعة كانـت ذات تقاليد فنية أطلـق عليها اسم التقاليد البيزنطية أو الساسانيـة، وهذه التسمية مستعارة من هويـة الحكم السياسي، ولكنها لا تعني أنها من صنع هذه السلطة أو تلك، بل هي مـن صنع الشعوب التي عاشت على هذه الأرض، ولقد دانت هذه الشعوب بعقائد هذه السلطة، بل إن العقائد هي تكوين فكري وروحي يصنعه الناس ليكون أساساً لنهوضهـم الحضاري، وترك لنا أفذاذ من تلك الشعوب منشآت رائعة تحمل آثار إبداعاتهـم الرائعة، نراها حتى اليوم في كنيسة أياصوفيا البيزنطية، كما نراها فـي آثار ساسانية مثل بيسرسيو بوليس فـي إيران أو في طاق كسرى في العراق. وفيها كانت الرسوم الرائعة التي وصفها البحتري في قصيدته السينية.

ومـما لا شك فيهـا أن مثل هذه الأوابـد كانت شاهداً على استمـرار التقاليد الفنيـة بعد ظهـور الإسلام وانتشاره وفي هذه المناطـق ولكن استمرارها هذا لا

يعني أن الفنان في العهد الإسلامي قد استمد منها، بل يعني أنه هو نفسه سواء أصبح مسلماً أم بقي على دينه، قد استمر في صناعة فن أصيل أراده لوظيفة دينية، ومدنية جديدة.

إن الأوابد الأولى التي نراها في المسجد الأقصى وقبة الصخرة والجامع الأموي وجامع القيروان بل وجامع قرطبة، كان قد أنشأها هذا الجيل الأول الذي استمر في صناعة الفن التقليدي الذي انتقل من ظل سلطة إلى ظل سلطة أخرى، ولم يكن سهلاً أن يقيم الإسلام منذ ظهوره مؤسسات حضارية جاهزة تعتمد على مبادئ وردت في مصادر الشريعة، أو القرآن الكريم، أو السنّة. بل لقد اقتضى ذلك زمناً حتى استقرت فيه مبادئ هذه الشريعة في نفوس وعقول المجتهدين، وولّدت أشكالاً من الفكر والنظرية وسمت مظاهر الحضارة بميسمها. أو كانت بطانة هذه الحضارة استخلصها المفكرون والكتاب والفقهاء، حتى أصبحت فلسفة قائمة بذاتها، متميزة عن غيرها من الفلسفات الشائعة، حسب اختلاف مبادئ الإسلام التوحيدية عن مبادئ دينية أو زمانية أخرى.

مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية

لم يمض زمن طويل حتى انقضت المرحلة الأولى التي مارس فيها الجيل الأول من أبناء أرض الإسلام استمرارية الفن التقليدي. وانتقلت الفنون الإسلامية إلى مرحلة ثانية لم يعد لهذه الفنون أية علاقة بمصادره التقليدية المحلية، وبرزت ملامح جديدة لهذه الفنون جعلتها متميزة موحدة، رغم اختلاف التقاليد في مساحة متعاظمة من الأرض التي انتشر فيها الإسلام من الصين إلى الأطلسي، وحملت هذه الفنون سمة جديدة، وتكونت شخصية فن نستطيع التعرف على أسرار جماليته وفلسفته، من خلال الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية.

ونعتقد أن هذه المرحلة كانت أهم مراحل تطور هذه الفنون، بل إنها تشكل الولادة المتكاملة لفن انفصل عن جميع الرواسب، لكي ينتمي لحضارة جديدة ويصبح أهم عناصر تكونها.

الوحدة والتنوع

على أن المرحلة الثالثة كانت مرحلة التنوع، فالفن الإسلامي لم يبق جامداً أمام التحولات السياسية والاجتماعية التي تمت تحت ظل الإسلام في عالم واسع تقاسمته سياسات متعددة، فكانت الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الأموية في قرطبة والخلافة الفاطمية في القاهرة. ثم ظهرت وحدات سياسية ذات نزعات قومية فارسية أو تركية. ولكن هذا الانقسام السياسي والنزوع القومي الشعوبي لم يحل دون استمرار العلاقات الثقافية والتجارية بين الشعوب الإسلامية، مما جعل الفنون التي تنوعت بتعدد الأنظمة السياسية، مرتبطة دائماً بالمبادئ الإسلامية ذاتها.

وهكذا فإن التنوع الفني لم يخلّ بوحدة الفن الإسلامي، بل استمرت الفنون الإسلامية موحدة، ولا يوجد من يخطئ في تحديد هويتها على امتداد أرض الإسلام أو على اختلاف أشكالها، سواء أكانت إناءً خزفياً أو مقبض سيف أو نقشاً في مخطوط.

أحقاب الفنون العربية الإسلامية :

ما زال المختصون في هذه الفنون يميّزون بين ملامح هذه الفنون واتجاهاتها، وهم يستعملون في تصنيفهم أسماء السلطات السياسية التي تعاقبت. وهكذا فإن كتب تاريخ الفنون الإسلامية تتحدث عن فن أموي وآخر عباسي. كما تتحدث عن فن الأندلس وفنون الفاطميين وفنون الفرس والمماليك والأتراك العثمانيين حسب تقسيم جغرافي مختلط بتقسيم تاريخ سياسي، سعياً وراء توضيح لاتجاهات متنوعة لا بد من إقرارها، ولكننا لا نستطيع أن نخرجها أبداً من إطارها الفلسفي الإسلامي الذي حدد أصولها الجمالية المستقلة عن أي أصل جمالي آخر. عندما كانت هذه الاتجاهات تنزلق إلى الاستمداد من أصول غربية، كما تم في المراحل الأخيرة للفن الفارسي فإن هذه الأشكال الفنية تنفصل عن هويتها وترتبط بأصول غربية.

الفن والعقيدة

الفنون الإسلامية هــي إبداعات تشكيلية نراها موزعة على أشياء استعمالية أو زخرفيــة تجميلية، وهذه الأشياء قد تكون قراطيس في مخطوطات أو أوان من الخــزف أو نسيجاً معداً للكسوة أو بسطــاً وسجاجيد أو أدوات معدنية أو مكعبات زجاجيــة فسيفسائية وهكذا فإن مادة الفنون الإسلامية لم تكن اللوحة المجردة المعــدة للتصوير، أو كانت البرونــز والرخام المعد للنحت كمــا هو شأن الفنون الأوربيــة التي ظهــرت منذ عصــر النهضة، لأن الفنــون الإسلاميــة كانت فنوناً إبداعيــة تطبيقية تمارس على أشياء استعمالية، وهكــذا فإن هذه الفنون مبثوثة فــي طبيعة الأشياء تضفي على وسائــل الحياة الجمال الذي يصنعه بمهارة فنان لا يكشــف عن تميــزه، لأنه كان مجرد صنّــاع ماهر كغيره من أبنــاء جيله الذين يشاركــون في بناء حضارة نمت مــع نمو الحياة والفكر، ترفدهــا عقيدة شاملة، هي أساسي لمبادئ هذه الحضارة فناً وأدباً وعلماً ومن هنا كان نعت هذه الفنون بالإسلاميــة، لأنها كانت تقوم علــى خلفية فكرية واضحــة، مازالت صالحة لكل زمان ومكان لحيوتها وقابليتها للتطور.

الواقعية في الفن الاسلامي

التصوير والنحت الذي يقوم علــى محاكاة الواقع وتجسيد صورة الإنسان هو مــن الفنون التــي رفضها الإسلام، ولم تكــن شكلاً من أشــكال الحضارة الفنية الإسلاميــة، وهي مع ذلك لم تكن غائباً تماماً عــن أشكال الفن الإسلامي، ففي بدايــة الإسلام ظهر الفن التشبيهي بوضوح على جدران القصور وأراضيها، كما فــي قصــري الحير في الشام وقصــر هشام (المفجر) في أريحــا وقصر عمره في باديــة الأردن، وظهرت مخطوطات في شمالي الشام والعراق تحمل ترقينات لصور آدمية مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس وكتاب الأغاني ثم كتاب مقامات الحريري. ولم تكن هذه الصور مخالفة لمبادئ الإسلام في ذلك الوقت.

إن الاتجاه السائـد لدى منظّري الفن الإسلامي والفقهاء على السواء، هو أن الفنـون الإسلامية تبعاً لمفهوم التوحيد، تقوم على مبادئ روحية فكان التصوير المجرد الذي يقوم على تصوير المطلق، أو التصوير الرمزي الذي يذكر بخدمة البيـان العلمـي أو التاريخي أو للتوثيـق، على أن يكون هـذا التصوير محرفاً عن الواقـع، ولا يهـدف إلى تكريم صاحبـه. فالمبدأ التوحيدي يحـرم محاولة العبد مضاهاة الله في عملية الخلق التي يختص بها الله تعالى.

وهكـذا فإن التصوير لم يكن محرمـاً، إلا إذا كان وسيلة لخلق الأصنام ونشر الوثنيـة وهـي أمور كان يمكـن أن يخشاها الإسلام في بداية ظهـوره، ولكن وقد توطـدت أركانه وتعمق الفقهاء في أحكامه، وتأصـل الإيمان بالله الواحد الأحد، وكانـت السلطـة الزمانيـة دينيـة بوقت معـاً، تحمـي الإسلام كما تحمـي أرض الإســلام فإن التصوير لم يظهـر إلا أداة للزينة والمتعة والتوثيق والتوضيح، وهو بهذا المعنى وعن طريق القياس ليس محرماً، ولم يكن غيابه إلا نوعاً من التشدد الـذي دعا إليه بعض الفقهاء. ثم لم يكن ظهوره المحدود لكونه (خطيئة دائمة) كما يقول بابا دوبولو.

ولسنـا من الذين يعتقدون أن ازدهار الرقش العربي والخط الجميل يعود إلى غيـاب التصوير التشبيهي وأسبابه المزعومة، بـل إن الفكر الإسلامي الذي قام علـى الإطـلاق في تحديد ماهية المعبـود، قد أفرز فناً مطلقـاً يعبر عن المطلق الأزلي، وليس فناً مشخصاً يعبر عن المحدد العرضي.

الفن الاسلامي بين التشبيه والتجريد

تنقسـم الفنـون الإسلاميـة إلى قسميـن أساسييـن، فنون تشبيهيـة، وفنون مجـردة، والفنـون التشبيهية تقوم على تشكيلات إنسانيـة أو حيوانية أو نباتية لا تتطابـق تماماً مع الواقع وإنمـا تمتاز ببعض التحريف، وهنـا نتساءل علام كان هـذا التحريف فـي تشكيل الواقـع؟ إن الجواب على هـذا السؤال إنمـا يتم على ضوء الفنـون المعاصرة التي تقوم على تحريف الواقع بـدءاً نم الانطباعية التي ظهـرت في أواخر القرن التاسع عشر فـي فرنسا، ومروراً بالوحشية والسريالية،

حتـى وصولها إلى أقصى التحريف فـي التجريدية. الجواب على سبب التجريف هنـا سهل قدمه لنا فلاسفـة الفن المعاصر من أمثال بريـون (Brion) وسوفور (Seuphor).

ويعتمد تعليل هذا التحريف على رغبة الفنان في إقحام ذاتيته على الموضوع، وتغليـب موقفه مـن الواقع على الواقع المألوف لخلق شـيء جديد لا وجود له في الطبيعـة. والفـن الإسلامي كان سباقاً فـي مجال تقديم واقـع فني مختلف عن الواقع الطبيعي. إن مهمة الفنان المسلم هي تقديم رموز الأشكال الواقعية وليس محاكاتهـا، وهـو يختار من الواقع ما يراه أكثر جـدوى في بناء العمل الفني. ومع أن الهدف من التصوير التشبيهي هو التعبير عن مضمون معين، فإن الفنان كان يشير إلى عناصر الموضوع بملامح تحمل صفة الإطلاق، وتترك للمشاهد حرية التحديد على اختلاف الأذواق والإرادة.

ومـع ذلك فـإن تفسير هذا التحريف قبـل ظهور الاتجاهـات الفنية الحديثة وتعليلاتها، كان يقوم على موقف الإسلام من التصوير. ولقد شدد المستشرقون على مسألة تحريم التصوير خشية مضاهاة الله في قدرته على الخلق، أو خشية الانـزلاق إلـى إقامة الأنصـاب والأزلام والأصنام وعبادة الصـور. وأطلقوا على هذا التحريف صفـة «الاستحالة»، وأيدوا نظرياتهم بمحاولة الفنان إعدام صفة الحياة في صور الأشخاص عن طريق رسم خط يقطع الرأس عن الجسد كما في مخطوط الحريري الموجود في لينينغراد (١٢٣٥ م) وغيره.

والجديـر بالذكـر أن نمط التحريف في التصويـر التشبيهي الإسلامي، يكاد يكون واحداً فـي جميع الصور التشبيهية على اختلاف العصور، فالتشابه واضح بيـن الرسـوم الجدارية في قصـر الحير الغربي وقصر المفجـر وقصير عمره، وبيـن المخطوطـات التـي نراها في مخطـوط الحريـري للمصـور الواسطي أو مخطـوط كتـاب الأغاني، ولكننا نـرى جمالية بيزنطية في رسـوم المباني بينما نرى تأثيرات فارسية أو صينية في رسوم المخطوطات.

وشأن النحت لا يختلف عن شأن التصوير، فالمنحوتات التي لا تزال باقية من

آثار القصور الأموية في متحف القدس (آثار قصر المفجر) أو في متحف دمشق (آثار قصر الحير الغربي) توضح حدود التحريف عن الواقع، والتي تحاكي التحريف في التصوير، بل إن المنحوتات كانت ملونة كأنها مجسمة، كذلك كانت الصور غير المجسمة في الكعبة المشرفة على شكل أصنام نصف اسطوانية.

ولقد تراجع الفن التشبيهي تصويراً كان أم نحتاً في الغرب الإسلامي، وتحول في المشرق، أي في بلاد فارس، إلى فن المنمنمات وهو فن تصويري تشبيهي يعتمد على خلفية جمالية متميزة تقوم على الرمز والتحريف، ولكن بدقة ومهارة دون الاهتمام بقواعد المنظور العلمية التي كانت الفن الأوربي يفخر بتطبيقها منذ عصر النهضة، وإنما هو منظور روحي إسلامي توضحت معالمه وأسسه.

التصوير الإيضاحي بين المرقنات والمنمنمات

يعد التصوير الإيضاحي في المخطوطات، لوحات فنية ذات وظيفة دلالية محددة تدعم النص المخطوط، توضيحاً وتزييناً. ولقد بدا هذا التصوير في أسلوبين متميزين، الأسلوب الأول تعبيري واختزالي يحمل انطباع الرسام أو النقاش، ضمن حدود النص المخطوط. ولقد اتبع هذا الأسلوب المصورون في البلاد العربية، وكان من أبرزهم يحيى بن محمود الواسطي (١٠٥٤-١١٢٢) ويطلق على هذا الأسلوب اسم «المرقنات».

والأسلوب الثاني تقريري وتفصيلي ينقل أفكار المصور بصياغة حُرَفية قوية، وضمن قواعد متبعة، ولقد انتشر هذا الأسلوب في الهند وإيران، وبرع فيه عدد من المصورين كان من أشهرهم كمال الذين بهزاد (متصف القرب الخامس عشر).

ومع أن الغرض من هذين الأسلوبين إيضاح النص المخطوط، إلا أنهما يفترقان تقنياً وجمالياً ومن الخطأ توحيدهما في مفهوم فني واحد، أو في تسمية واحدة كما هو شائع.

فالأسلوب الأول واقعي معروف في التصوير الغوطي الإيضاحي، ويحمل اسم Enliminure أي الترقين. والأسلوب الثاني، صوفي النزعة، رومانسي التشكيل منمنم التصوير، ويسمى Miniature أي المنمنمات.

وأكثـر شواهد هـذا التصويـر نراها ماثلة علـى الأواني الخزفيـة والخشبية والعاجيـة، وعلـى بعض المخطوطـات المتبقيـة والنـادرة. ولقـد زيّنـت هـذه المخطوطـات بالصـور الإيضاحية، وكانـت صور بعض نسخهـا بأسلوب مبسط وبعضهـا بأسلوب تعبيري دينامي. وبصـورة عامة فإن التصوير كان محوّراً «عن الواقع وكان إجمالياً».

وعدد المخطوطات المزوّقة بالتصاوير لمقامات الحريري بعشر مخطوطات موزّعـة في سـان بترسبـورغ (لينينغراد) واستانبـول وفيينا وباريـس والمتحف البريطاني، وفـي أكسفورد، والصور لمصورين مختلفيـن أبرزهم الواسطي في مخطوط شيفر – باريس التي حظيت بشهرة متميزة.

وفـي مقامات الحريـري الموجودة في المكتبة البريطانيـة وتعود إلى عام ١٣٠٠ تقريباً، نرى صوراً تحافظ على تقاليد الفن الذي نشأ في العراق وسورية، وهي سمة التصوير المملوكي، ، أما لوحات مقامات الحريري في فيينا فإنها تعود ولا شك إلى عام ١٣٣٤، وهي أهم مخطوط خلّفه العصر المملوكي في سورية بلا نزاع،

الرقش العربي و الزخرفة

يبقى الفن التصويري المجرد الغالب في التراث التصويري الإسلامي، ويرجع ذلك إلى ارتباط الفن التصويري بالمعاني المطلقة التي ابتدأت تحديداً بمفهوم الله. ، وهـذه العلاقة بين المؤمـن وخالقه تبدو جلية في الرقش (Arabesque)، هـذا التصوير الذي يحـاول عن طريق الخط الهندسي أو الخـط اللين النباتي، التعبيـر عن معنى الخالق، على أشكال نجمية جابذة نابذة، أو على شكل أشرطة نباتيـة لا بداية لها ولا نهاية. وهي في كلا النوعين من الرقش الهندسي والنباتي المورق، أشكال تنسجم مع صفات الله التي وردت في كتابه الحكيم.

تـراث العصور الإسلامية

تمتد العصور الإسلامية في سورية عبر خمسة عشر قرناً ،أي منذ الفتح الذي تـم على يد خالد بـن الوليد في العام٦٣٦م ، حيث أصبحت دمشق عاصمة لدولة

عربيـة إسلاميـة واسعة الأرجاء بعـد الفتوح التي امتدت الـى المشرق والمغرب حتى الأندلس. (٤٢)

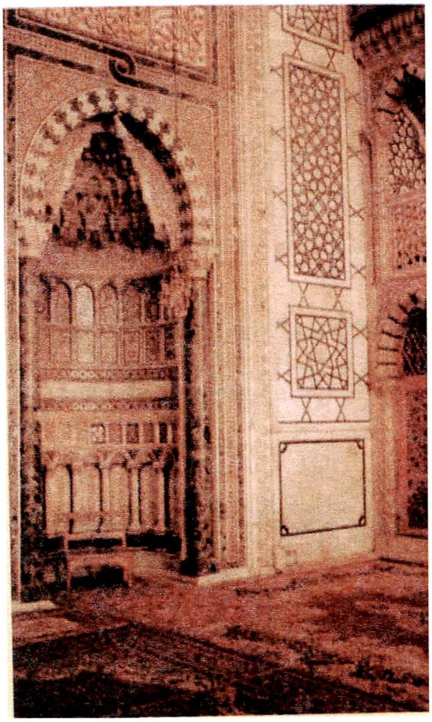

٧٣- الجامع الأموي الكبير

،كان الجامـع الأمـوي فـي دمشـق (شـكل٧٣) أقـدم الأوابـد المعماريـة وأكملهـا ،أنشـأ هـذا المسجـد الخليفة الوليـد بن عبـد الملك وأنجز فـي العام ٧١٥ م، في مكان معبد جوبتير الروماني، وكان أنقاضاً إلا من هيكله الذي استعمل كنيسـة القديـس يوحنـا. واستعمـل المعماريون الأنقاض لبناء حرم المسجد بعرض ١٣٦ م وعمـق ٣٧ م، وفيه أربعة محاريـب وضريـح. ولقد زينـت جدران جناحـه الأوسـط بالفسيفسـاء وغطـى الحـرم بجملونـات مسنمـة تعلوهـا فـي الوسـط قبـة النسـر، ويتألف مـن ثلاثة أجنحة وجنـاح مقرصـن وينفتح الحـرم علـى صحـن واسـع مساحتـه ١٢٢,٥ X ٤٨م، محـاط بأروقـة محمولـة علـى عضـادات، ومغطـاة جدرانهـا وسقوفها بالفسيفسـاء فـي الأعلـى بالرخـام من الأسفل وغطيت واجهة الجناح المقرصن بالفسيفسـاء أيضـاً. وللمسجـد ثلاثـة أبواب فـي الصحن وباب واحد في الحرم.

وتعلو المسجد من أطرافه ثلاثة مآذن أقدمها مئذنة العروس في شمالي الصحن وأجملها مئذنة قايتباي المملوكية في الجهة الغربية.وتنفتح في أطراف المسجد

الأربعة مشاهد هي قاعات ضخمة أشهرها المشهد الغربي الشمالي والمخصص للاستقبالات الرسمية.

ويبقى فسيفساء الجامع الأموي من أهم الشواهد الإبداعية الفني ، وهو يمثل مشاهد طبيعية. تعبر عن ازدهار الحياة في العصر الأموي (٤٣).كما انشئ الجامع الكبير في حلب في عهد سليمان بن عبد الملك.

وفي عهد هشام بن عبد الملك أنشئت القصور الضخمة في فلسطين مثل قصر المفجر ، وقصر عنجر في لبنان وفي سورية مثل قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي وقد نقلت واجهته الى المتحف الوطني بدمشق.(٤٤)

٧٤- قلعة حلب

وفي العهد العباسي أنشئت مدينة الرقة (الرافقة)(٤٥)، وقد أعيد بناء أسوارها وتم ترميم قصر البنات وحصن هرقلة والجامع مع أهم آثارها المعمارية. (شكل٧٤)

وفي عهد نور الدين بن زنكي استعادت سورية مكانتها ونهضتها العمرانية ، مما نراه في عمارة البيمارستان النوري بدمشق ،والأسوار.

ومن أهم المباني المعمارية في سورية القلاع التي أنشئت في العصر الأيوبي ، قلعة دمشق التي أنشئت في عهد الملك العادل شقيق السلطان صلاح الدين.

وقلعة حلب التي أنشئت في عهد الملك غازي إبن الناصر صلاح الدين الأيوبي. (شكل٧٥)

ولا بد أن نشير إلى القلاع التي أنشئت في عهد الصليبيين بجهود العمال المحليين. أهمها قلعة الحصن الأشهر في العالم ، وقلعة المرقب قرب بانياس ، وقلعة صلاح الدين في منطقة الحفة.

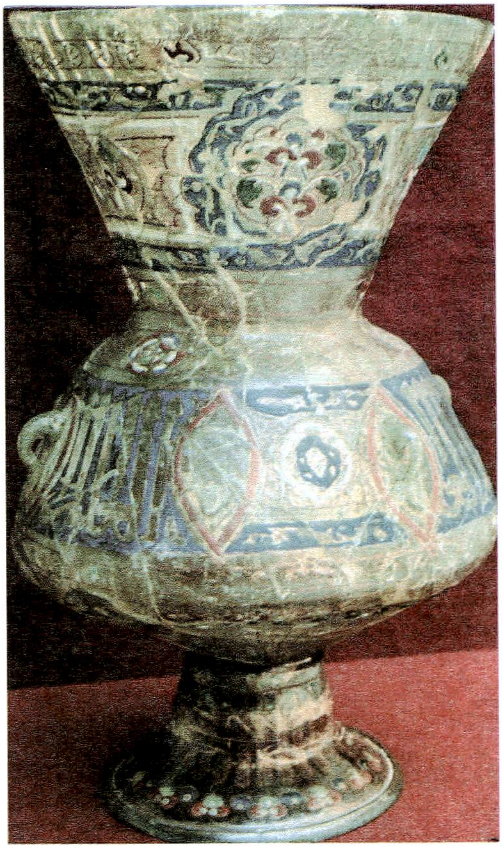

٧٥- مصباح - العصر المملوكي

ومن أهم المدارس مدرسة الفردوس في حلب التي أنشأتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل.

وفي العصر المملوكي الذي امتد ثلاثة قرون يتزايد عدد المدارس والمساجد ، رغم الاهتمام بمقارعة الصليبيين والمغول. كما تميزت دمشق بصناعة الأواني الزجاجية وبخاصة مصابيح المساجد. ونشطت حياكة السجاد في دمشق (شكل٧٥)

ويفتخر متحف الفن والصناعة في فيينا بامتلاكه مجموعة من السجاد الدمشقي الذي يتميز عن السجاد الفارسي والسجاد التركي بخصائص في طريقة الحياكة وفي ألوانالصوف، وفي رسومه الهندسية المترابطة كبلاطات منسقة تحتوي عروقاً وشجيرات وعناقيد ذات الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء والصفراء، ولكل لون درجات وأطياف مما يجعل هذه الرسوم ذات أبعاد وأعماق.

هي من أولى المنشآت العثمانية في دمشق ومن تصميم المعمار سنان، وتتألف من مسجد محاط بمقاصير تحتضن طلبة العلم للإقامة والطعام والدراسة، وفي حديقة التكية قبور هامة منها قبر السلطان وحيد الدين آخر السلاطين العثمانيين. ومن أهم المباني في العصر العثماني مجمع الخسروية في حلب وهو أول أعمال المعمار الشهير سنان ، والتكية السليمانية في دمشق وهي من أعمال سنان نفسه. (شكل٧٦) ومن العهد العثماني لا بدّ من ذكر ساعة باب الفرج التي اكتمل بناؤها في العام ١٨٩٩. وتتميز مدينة حلب بالبيوت الحلبية من العهد العثماني كدار أجقباش التي استملكت وأصبحت مقراً لىمتحف التقاليد الشعبية، وبيت الوكيل وقد نقلت احدى غرفه الخشبية الى متحف الدولة في برلين.كما تتميز مدينة دمشق ببيوتها الشامية ،أهمها قصر العظم الذي يشغل متحف التقاليد الشعبية وبيت السباعي وبيت نظام.

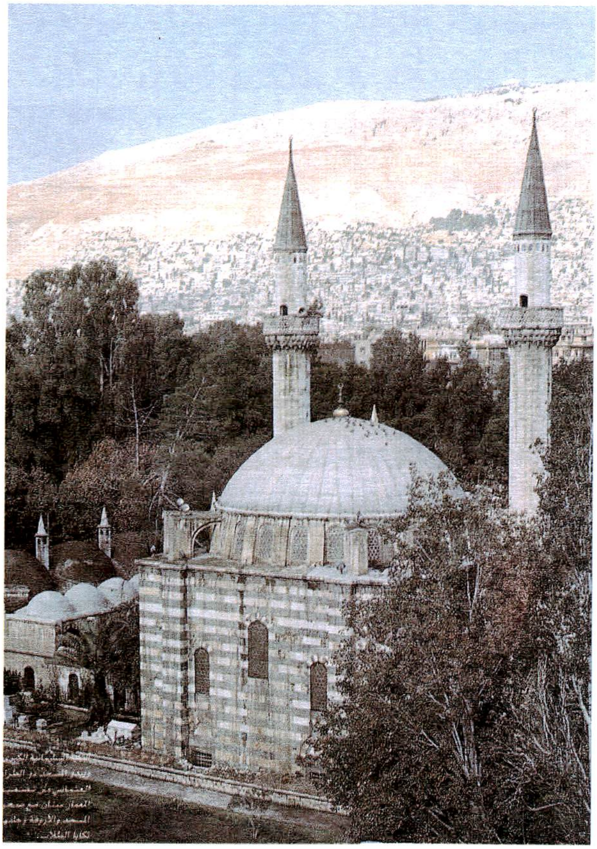

٧٦- التكية السليمانية

الآثار الإسلامية في متاحف العالم

مازالت الآثار المعمارية الإسلامية من مساجد وخانات ومدارس وحمامات ومشافي ماثلة في المدن السورية ،ولقدتمت حمايتها وترميمها.على أن بعض

الآثـار السورية المنقولة غادرت الوطن لأسباب غيـر مشروعة ، نراها معروضة في متاحف العالم بوصفها من التراث النادر والثمين وبخاصة الآثار الاسلامية. منهـا متحف الميتروبوليتان فـي نيويورك واللوفر في باريسـ ومتحف دالهم في برليـن الغربية ، وهي تحـف معدنية أو خشبية أو زجاجيـة أو زخرفية عدا قطع السجاد الرائعة.. والتي تعود إلى عهود مختلفة أموية وعباسية وفاطمية ومملوكية.

ونذكـر من السجاد العربـي المملوكي النادر الذي صنع في القاهرة أو دمشق والمحفوظ فـي متحف فينا. كما نذكر المصابيـح الزجاجية من صناعة دمشق في العصر المملوكي في الميتروبوليتان والمعدنيات والخزفيات النادرة الموزعة في جميع المتاحف.

ويعـد متحف الميتروبوليتان في نيويورك واحـد من أهم المتاحف الإسلامية التي تضم قطعاً عربية ثمينة من أبرزها وأضخمها الغرفة الدمشقية التي نقلت من دمشق في عام ١٩٢٠ و ترجع إلى القرن الثامن عشر

وتعـد مجموعة الميتروبوليتان الزجاجية من أرقى ما يُفخر به.. وتعود بعض الزجاجيات إلى القرن التاسع وهي من مصر.. ويعود غيرها إلى سورية أو مصر أو العـراق.. نذكـر بصورة خاصـة المصابيح الزجاجيـة والقوارير التي صنعت في مصر أو سوريـة في العصر المملوكي والمحلاة بالكتابة القرآنية والزخارف الملونة مع الرنوك المملوكية.

ومـن أضخـم ما نقل من آثار ثابتـة هو واجهة قصر المشتـى التي نقلت من الشـام في نهايـة القرن الماضـي إلى برليـن الشرقية (متحف الدولـة) وأعيد تركيبهـا هناك إلى جانب غرفـة حلب التي تمثل أجمل زخرفة شامية داخلية من الخشب المزخرف وتعود إلى عام ١٦٠٠ ق.م.

وفـي متحف الايرميتاج فـي سان بيترسبـورغ ، اللوحات التجاريـة التدمرية وبعضـ القطـع الإسلامية الجميلة نذكـر منها: المصبـاح الزجاجي (منتصف القـرن الرابـع عشـر) يعود إلـى العصر المملوكـي وصنع في دمشـق أومصر..

وإبريـق يعـود إلى العصر الفاطمـي (القرن الحادي عشر) وهـو من الكريستال الصخري ذو زخرفة تمثل حيوانين متقابلين بطريقة الحفر على الزجاج.

ولعل رائعة المتحف الإسلامـي في الايرميتاج هي الكوب الزجاجي المحمول علـى هيكل ذهبي من صنع سورية القرن الرابع عشر وعليه رسوم آدمية وكتابات بالخط النسخي.

وفـي متحف فرير فـي واشنطن آثـار إسلامية هامة نذكر منهـا: المجموعة المعدنية الفنية المزخرفة التي تعود إلى مصر وسورية- إضافة لمجموعة الحلي التي تعود إلى العصر الأموي والفاطمي.

وفـي متحف فيكتوريا وألبرت في لندن متحف خاص للفن العربي الإسلامي يحتـل صالـة مركزيـة تضـم السجـاد والخطـوط والخزفيـات والزجاجيـات والمنمنمات.وثمـة كأس زجاجية انتقلت من سورية أثناء الحروب الصليبية وهي رائعـة الصناعة الزجاجية السوريـة ، مزخرفة بنقوش محفورة مموهة بالذهب ومطليـة بألوان زرقـاء وخضراء ووردية وبيضـاء. وهذه الكأس هـي من أهم ما يقتنيـه المتحف مـن آثار وكان لها سمعـة وشهرة واسعة فلقـد كانت عام ١٨٢٤ موضوع قصيدة شعرية للشاعر لونغفيلو.

ولقد انتبهت دول العالم المنهوب تراثها فقامت بالمطالبة به عن طريق منظمة اليونسكـو.. وعلى رأس هذه الدول كانت الدول العربيـة قامت كغيرها بالمطالبة باستـرداد آثارهـا من متاحف العالـم ، مما دفع مدير عام منظمـة اليونسكو أن يوجه نداء طلب فيه من الدول المضيفة للآثار المنهوبة أن تتفق مع الدول صاحبة الحـق بهـذه الآثار على إعادتهابصـورة ودية ، تعبر عـن إدراك لأهمية استرداد تراث الأجداد وتفهم بضرورة دعم الذاتية الثقافية لكل أمة من الأمم.

وقـد وقّعت أكثر الـدول الأعضاء في منظمة اليونسكو علـى الاتفاقية الدولية لعـام ١٩٧٠ والخاصة بالتدابير الواجـب اتخاذها لخطر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية المنقولة بطرق غير مشروعة.

ملامح الترا ث الإسلامي في الآثار الكنسية الأوروبية

انطلـق صانعو الحضــارة المسيحية من الساحل السوري الــى العالم وكانت كنائسهم صــورة عن كنائس السوريين وأديرتهــم، إن الكنيسة السورية في أزرع هي أقدم الكنائس في العالم، ولقد استطاع المسيحيون أن ينقلوا ملامح العمارة السورية إلى عمارتهم الرومية ، وليس أدل على ذلك من تلك الأبراج التي تصدرت واجهات الكنائس الرومية مما نراه في كنائس بواتو وبورغون وبيريغور في فرنسا ، وكنيسة سان أمبرواز في ميلانو. إن هذه الكنائس التي ظهرت في القرن الثاني عشر كانت تحمل جميع علامات وميزات العمارة السورية، وبخاصة تلك الأبراج الأحادية والمزدوجة والتي تتطابق بشكل كامل مع المئذنة السورية التي انتشرت في جنوبي البحر الأبيض المتوسط بعد الاسلام في القيروان والزيتونة (تونس) والقرويين (فاس) وفي الرباط ومراكش وإشبيلية.

بـل إن أعمــدة رواق ديــر مواساك في جنوبــي فرنسا، وهي أعمــدة مزدوجة مأخــوذة مباشــرة عن غرناطــة ، تحمل تيجانهــا كتابة كوفية وهــي تكرار للفظ الجلالــة (الله). شريــط يعلو رقشــاً عربياً نباتيــاً لا يشك فيه إنســان. وتتجلى المئذنــة السوريــة في الكاتدرائية الغوطيــة الضخمة التي تطــورت عن الكنائس والبازيليــكات الروحية، لقد انتشــرت المئذنة السورية في غربي أوربا التي كانت منــذ عهد شرلمان قــد استيقظت على أصداء النهضــة السورية الشامخة، وكان أساتــذة الجامعات من أمثــال توما الأكوينــي وروجيه ياكون يقدمــان الفلاسفة العــرب على أنهــم المعلميــن الذين نقلوا تــراث الإغريــق إلى الغــرب وأضافوا إليه مــن فلسفاتهم ما يكمل الثروة الفكرية الفلسفيــة والروحية، وليس ما قدمه الموسيقيــون الأوائل بقليل، فإن الموشحات التي انتقلت من شمالي سورية كانت تسمع على شطآن الأندلس ألحان المينيسنغر.

الهوامش

١- كتابنا سورية التاريخ والحضارة –وزارة السياحة دمشق ٢٠٠٩

٢-عن تاريخ الأبجدية انظر كتاب (الأبجدية) إعداد د. أحمد هيتو (حلب ١٩٨٥) وانظر كتاب J.Naveh: Early History of the Alphabet (Leiden)

٣-كتابنا تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار- الهيئة العامة للكتاب –دمشق -٢٠٠٩

٤ P.Parr في Afo ٢٦ (١٩٧٨-٩).

٥- عن المشرفة : انظر R.du Mesnil du Buisson : Le Site archeologique de Mishrife – Qatana (Paris ١٩٣٥)

٦-عن بقرص انظر أبحاث فان ليره J.Van Lire وفان لون M. Van Loon في الحوليات المجلدين ١٦-٢

٧- في موقع اللطامنة على نهر العاصي، توالت الحفريات الأثرية ، أبرزها حفريات فان ليره(W.J.Van lire) انظر الحوليات الآثرية السورية المجلدات ١٠-١١-١٢-١٤-١٥-١٦.

٨- في يبرود قام بالتنقيب روست B.Rust انظر الحوليات المجلدات ١٦-١٧-١٨.

٩- عن موقع أبي هريرة ، انظر أبحاث الماغر و M.M Almagro في الحوليات ، المجلد ٢٥ (١٩٧٥).

١٠- عن تل المريبط انظر تقارير كوفان J.Cauvin في الحوليات المجلدات ٢٢-٢٤-٢٦.

١١- عن حفريات تل الرماد ، انظر تقارير دوكونتانسون H.de Contanson وفان ليره W.J.Van Lire في الحوليات ، المجلدات ١٣-١٤-١٦-١٧.

١١- انظر :

J.Gauvin: Les premieres villages de syrie – Palestine du IX eme au VIII eme millionaire av. J.C (١٩٧٨).

١٢- عـن تـل الصـالحية ، انظر (دليل معرض المكتشفات الأثرية لعـام ١٩٥٢) م. الآثار وبخاصة بحث دير اوستن Van Der Osten. H.H.

١٣- عـن مواقع منطقة الفـرات انظـر J.Cauvin : Cahier de l›Euphrate ١ (Paris C.N.R.S ١٩٧٨)

١٤- انظر كتاب (حبوبة كبيرة) لشترومنغر. ترجمة ماجد الموصلي (دمشق ١٩٨٤)

١٥- عـن حفريـات تل براك انظر أبحاث اوتز D. Oates في مجلة Iraq المجلد ٣٩ لعام ١٩٧٧

١٦- انظـر كتـاب (تاريخ سورية السياسـي) تأليف هورست كلنغـل H.KLengel ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ١٩٩٨)

١٧- نائل حنون : حقيقة السومريين - دار الزمان - دمشق ٢٠٠٨

١٨- كمال صليبي : التوراة جاءت من عسير - ط٢- مؤسسة الأبحاث العربية - ١٩٨٦

١٩- كيـث وايتـلام : اختـلاق اسرائيل القديمـة - إسـكات التاريخ الفلسطينـي - عالم المعرفة ٢٤٩ - الكويت ١٩٩٩ وهوترجمة لكتاب

K.Whitelam : The Invention of Ancient Israel - The silencing of Palestinian History -

٢٠- خيريـة قاسميـة : نشاطات صنـدوق استكشاف فلسطيـن - ١٨٦٥-١٩٦٥ - شؤون فلسطينية- ١٠٤ -بيروت ١٩٨٠

٢١- دوريـة فرنسيـة مشهورة هي (الملفات الأثريـة) Les dossiers d›archeolagie، No -Paris- ١٦٥ -

٢٢- كتابنا تاريخ فلسطين القديم - الهيئة العامة للكتاب -دمشق -٢٠٠٩

٢٣- عفيف البهنسي : وثائق ايبلا - وزارة الثقافة - ١٩٧٧ - ص ١٤١

٢٤- انظـر A. Parrot: Mari، Capitale fabuleuse (Paris ١٩٧٤) وانظـر كتابـه (ماري) ترجمة د. رباح نفاخ (دمشق ١٩٨٢).

٢٥-عن ايبلا انظر P.Mathiae : Ebla An Empire rediscovered (Rome ١٩٨١) وانظـر كتابـه الموسع الـذي صدربمناسبة معرض ايبـلا في رومـا Ebla (Electal: ١٩٩٥) وانظر A.Bahnassi : Ebla Archaives Tlass - Damascus.

٦٢ -انظـر أبحاث ماثيـة P.Mathiae فـي الحوليات ، المجلـدات ١٥-١٦-١٧-١٨-٢٠ وانظر كتابنا (وثائق ايبلا) (دمشق ١٩٧٧)

27- R.du Mesnil du Buisson : Le Site archeologique de Mishrife – Qatana (Paris. 1935).

وانظـــر: كنوزسوريـــة القديمـــة -اكتشــاف مملكة قطنـــه– متحف الولايـــة- فورتنبورغ – شتوتغارت ٢٠٠٩-

٨٢- انظر

١٩١٩-- ١٩٧٠ M.Ben Dove.: The Omayyad Sanctuary near Temple mount. Jerusalem

٩٢- قــام بالتنقيب في أوغاريت منذ عام ١٩٢٩ العالم الفرنسي شيفر Cl. Shaeffer ثم جاءت بعده السيدة يون YON نشرت في الحوليات وفي مجلة Syria.

٠٣- عــن عمريت انظر : M. Dunand/ N. Salibi: Le Temple d›Amrith dans la peree d›Aradus (B.A.H ١٢١) ١٩٨٥ وانظــر فــي الحوليات المجلدات ٣-٦-١١

وانظر كتاب (عمريت) إعداد نسيب صليبي (دمشق ١٩٨٤)

. P.Amiet:La Mesopotamie-Paris-1982-31-

١٣- كتابنا وثائق ايبلا-وزارة الثقافة دمشق- ١٩٧٧ ص١٤١

٢٣-أحمد سوسه : العرب واليهود في التاريخ - العربي للتأليف والنشر – دمشق ١٩٧٥

٣٣- شمس آرام ، شمس العرب د. عبد الهادي نصري (حلب ١٩٨٦)

٤٣- توالت الحفريات في عين داره برأسة (الصيرفي – ابو عساف –خياطة) انظر نتائج الحفريات في الحوليات المجلدات ١٠-١٥-٢٣.

٥٣-- محمــد بهجــت قبيســي : حضارة واحــدة أو حضارات – دار طلاس ودار شمأل – دمشق ٢٠٠٨

٦٣- انظــر تفصيــل دور الأسرة السورية في روما في كتاب (أمبراطوريات سوريا) تأليف بايلون ترجمة

يوسف شبلي الشام (دمشق ١٩٨٧)-

٦٣- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية – القاهرة – ١٩٢٩.

٧٣- عن صالحية الفرات (دورا اوروبوس) انظر :

C. Hopkins: The Discovery of Dura Europos (new Haven – Yale ١٩٧٩)

٨٣- عــن حفريــات تدمر انظــر : J. Starky وانظر كتاب (تدمــر والتدمريون) إعداد د. عدنان البني (دمشق ١٩٧٨)

٩٣- انظر

Ch. Strube : A Cultural Landscape in the Byzentine period. (in Ebla to Damascus) Washingston ١٩٨٥ PP٤٥١-٤٤٣

٠٤- عن الرصافة انظر

Th. Ulbert: Rusafa – Sergiopolis, Pilgran – Shrin and Capital (Ebla to Damascus) Washington ١٩٨٥ (p.p. ٤٥٢-٤٥٠

١٤-عن المدن المنسية انظر كتاب شالنكو بأجزائه الثلاثة :

Tchalenko : Villages de la Syrie du Nord (Damas IFEAD 1953

١٤- عن قصر ابن وردان انظر كتاب كامل شحادة (دمشق ١٩٨٤)

٢٤-انظـر كتاب (الآثار الاسلامية في مدينة دمشق) إعداد ولتستغر K.Wulzinger مع فاتزنغر C.Watzinger ترجمة قاسم طوير (دمشق ١٩٨٧)

٣٤-انظر كتابنا (الجامع الأموي الكبير) (طلاس – دمشق ١٩٨٨) مترجم إلى الفرنسية والانكليزية.

٤٤- عن القصور الأموية انظر كتابنا (القصور الأموية) دمشق ١٩٨٧

٥٤- انظر كتاب (الرقة – درة الفرات) (الرقة ١٩٩٢) لنخبة من الباحثين

المراجع

- شترومنغر :حبوبة كبيرة –ت. ماجد الموصلي–دمشق ١٨٩١
- هـ. كلنغل : تاريخ سورية السياسي–ت. سيف الدين دياب–دمشق ٨٩٩١
- عبد الهادي نصري :شمس آرام شمس العرب –حلب ٦٨٩١
- م.بابليون : أمبراطوريات سوريا –ت. يوسف شبلي الشام –دمشق ٧٨٩١
- شوقي شعث :قلعة سمعان –دمشق ٤٨٩١
- نسيب صليبي : عمريت – دمشق ٤٨٩١
- عادل عبد السلام : جغرافية سورية العامة –دمشق ٩٩٩١
- العماد مصطفى طلاس: زنوبيا ملكة تدمر –دمشق ٩٨٩١ ط٢
- أ.بارو : ماري –ت. رباح نفاخ–دمشق١٨٩١
- عفيف البهنسي : سورية التاريخ والحضارة –دمشق ٢٠٠٢
- «الفن الاسلامي– دار طلاس –دمشق ٩٩١٠
- هورست كلنغل legneLK.H (تاريخ سورية السياسي) ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ٨٩٩١)
- نائل حنون : حقيقة السومريين – دار الزمان – دمشق ٨٠٠٢
-كمال صليبي : التوراة جاءت من عسير – ط٢– مؤسسة الأبحاث العربية – ٦٨٩١
- N. Elisseff, Dimashk. Encyclopedia of Islam. N.Y. 1976.
- J.Cauvan :Les Premieres villages de Syrie- Palestine. du IXeme au VIIIeme millinaireav J.C
- j.Cauvan :Cahier de l'Euphrate 1-Paris1978

- هورست كلنغل legneLK.H (تاريخ سورية السياسي) ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ٨٩٩١)

- A.Amiet: la Mesopotamie-Paris 1982
- C.Hopkins: The Discovery of Dura Europus- Yale1979

- A.Parrot: Marie» Une Ville fabuleuse –Paris 1974
- A.Bahnassi : La Syrie ensienne et son art-VEB E A.Seemann Verlag - Leipzing1987
- Ch. Strube : A Cultural Landscape in the Byzentine period. (in Ebla to Damascus) Washingston 1985 PP443451-
- Th. Ulbert: Rusafa – Sergiopolis, Pilgran – Shrin and Capital (Ebla to Damascus) Washington 1985 (p.p. 450452-
-Tchalenko : Villages de la Syrie du Nord (Damas IFEAD 1953

المحتوى

الصفحة

المقدمة- الاستراتيجية الجغرافية	٥
وحدة الهوية	٨
اللغة بوصفها عامل الوحدة	٩
إسم سورية وحدودها	٩
سكان سورية	١٢
الواقع الجغرافي	١٣
الفصل الاول - التراث السوري وعلم الآثار	١٥
مراحل الأبحاث الأثرية في سورية	١٧
تقنيات البحث الأثري	١٨
الاكتشافات الأولى	١٩
آثار الجزيرة الفراتية	٢٠
اكتشافات المنطقة الوسطى	٢٠
المرحلة الأخيرة من الأعمال قبل التاريخ	٢١
المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة	٢٣
الفصل الثاني- تراث سورية خلال العصور الحجري	٢٥
العصور الحجرية	٢٧
المخلفات السكنية قبل التاريخ	٢٨
ظهور القرى وبداية الزراعة	٣١
وسائل الحياة والحماية	٣٢
التقدم المدني	٣٥
الفصل الثالث- المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات	٣٧
تل براك	٣٩
تل حبوبة كبيرة	٤٠
بلاد عمورو	٤١
مملكة صارغون	٤٤
محاولة توحيد المنطقة	٤٦

السومريون........ ٤٦
القبائل العربية ٤٨
الفصل الرابع - البحث عن العهد القديم في سورية ٥١
التوراة والتاريخ ٥٣
الجغرافية التوراتية ٥٤
نقد التاريخ التوراتي ٥٥
الفصل الخامس- تراث الحواضر الأولى ٥٧
ماري (تل الحريري) ٥٩
ايبلا (تل مرديخ) ٦٤
اقدم معاهدة دولية وإشهار السلام........ ٦٨
توتول («تل البيعة») ٧١
الحثيون في سورية ٧٤
سيطرة الآشوريين ٧٦
منطقة ابوم ومدينة دمشق ٧٨٦
تراث القدس ٧٧
الفصل السادس - جمالية التراث السوري القديم ٨١
جمالية النحت ٨٣
جمالية الرسم والزخرفة ٨٥
جمالية الحلي........ ٨٦
جمالية النسيج والزجاج والفخاروالمعدن ٨٧
الفصل السابع- تراث الساحل السوري ٨٩
حضارة اوغاريت........ ٩١
الآثار الفنية الأوغاريتية........ ٩٢
الفينيقيون السوريون........ ٩٥
قصة إليسار شقيقة بيغماليون ٩٦
امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط ٩٦
الفصل الثامن- علم الآثار و نقد تاريخ العهد القديم ٩٩
وثائق ايبلا والتوراة ١٠١
علم الآثار والتاريخ........ ١٠٣
القصص الديني التوراتي........ ١٠٤
البحث عن اصل اليهود ١٠٥
الفصل التاسع - الأساطير والآلهة القديمة ١٠٧
اسطورة الوجود ١٠٩

أسطورة الطوفان ١١٠
أسطورة جلجامش ١١٠
تعدد الآلهة.. ١١٣
الهكسوس (الملوك الرعاة).. ١١٥
بداية التوحيد الإلهي.. ١١٦
العقيدة الواحدية الأقدم.. ١١٧
العقيدة التوراتية غير التوحيدية.. ١١٨
الفصل العاشر- تراث الممالك الآرامية وآسوراعربايا ١١٩
بلاد آرام ١٢١
عين داره.. ١٢٢
أشهر الممالك الآرامية ١٢٣
مملكة دمشق.. ١٢٤
الآراميون- الأخلامو.. ١٢٥
الأحداث العسكرية ١٢٦
آسورا عربايا «سوريا العربية » ١٢٧
حدود الشام ١٢٩
الفصل الحادي عشر - التراث السوري وأثره في الغرب ١٣١
أثر الابجدية السورية ١٣٣
الأميرة السورية أوربا بنت أجينور.. ١٣٦
أثر العقيدة السورية ١٣٩
السوريون في عصر الاغريق.. ١٣٩
الفصل الثاني عشر- سورية والاسكندر المكدوني ١٤١
الإسكندر في موقعة ايسوس ١٤٣
الاسكندر في سورية ١٤٥
سورية في العهد السلوقي ١٤٦
الفصل الثالث عشر- تراث سورية في العصر الروماني والحقبة السورية ١٤٩
السوريون في روما ١٥١
روما والأسرة السورية ١٥٣
الامبراطور السوري كاراكالا.. ١٥٥
الامبراطور افتينوس (ايلا غابال).. ١٥٩
الامبراطور فيليب العربي ١٦٢
ابوللدور الدمشقي ١٦٤

الفصل الرابع عشر- الانباط و تدمر حاضرة الشرق في العصر الروماني ١٦٩
الأنباط ١٧١
تدمر حاضرة الشرق.. ١٧١
الغساسنة والمناذرة ١٧٥
الفصل الخامس عشر- سورية وبيزنطة ١٧٧
انتشار المسيحية من دمشق.. ١٧٩
المسيحية ديانة الدولة البيزنطية.. ١٨٠
انطاكيةحاضرة المسيحية.. ١٨٢
الآثار المسيحية في سورية ١٨٣
الفصل السادس عشر - التراث الإسلامي ١٨٩
سورية ومعركة اليرموك ١٩١
علاقة سورية مع القسطنطينية ١٩١
أصالة الفنون الإسلامية ١٩٢
مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية ١٩٣
الوحدة والتنوع.. ١٩٤
أحقاب الفنون العربيةالإسلامية:.. ١٩٤
الفن والعقيدة.. ١٩٥
الواقعية في الفن الاسلامي ١٩٥
الفن الاسلامي بين التشبيه والتجريد ١٩٦
التصوير الايضاحي بين المرقنات والمنمنمات ١٩٨
الرقش العربي و الزخرفة ١٩٩
تراث العصور الإسلامية.. ١٩٩
الآثار الإسلامية في متاحف العالم ٢٠٣
ملامح التراث الإسلامي في الآثار الكنسية الأوروبية ٢٠٦

The Age of Hisham ibn Abd-al-Malik (724-743) witnessed a great development in the realm of architecture. He built many palaces in Syria like Nasr al-Resapha, Qasr ai-Heir al-Sharqi, Qasr al Heir al-Gharbi, Quasr al-Mafjar and other palaces in Palestine and Jordan. The citadel of Aleppo, which was reconstructed in the Ayyubid Period, remains an exquisite specimen of the Moslem citadels. The citadel was set up on a rocky height. The site was originally a temple of Hadad, then a temple of the Hittite god Teshub and ultimately a temple of Zeus. In the Greek Period, the site became the acropolis of the city. When the Arab Moslems occupied the citadel, they made it a fortress to protect their authority. In the Ayyubid Period, King al-Zahir Ghazi ibn Salah ud-Din, made many additions to the citadel. Moat was dug round the citadel and a great mosque and many palaces were built inside it. He lived in the citadel with his wife Daifa Khatoon who was buried there.

The citadel is elliptical in form and is surrounded by a wall with either square or circular towers. The first tower is set over the main entrance and the throne hall, which has recently been decorated. In the citadel there is the mosque of Abraham ofHebron. The mosque, as the story goes, is built on a site whereAbraham used to stay when he came from Harran to Aleppo. The citadel also comprises other mosques, public baths, bezaars, cisterns and prisons.

The citadel of Damascus is of no less importance. It is marked by its position at ground level. It lies in the western north angle of the old Damascus wall. The citadel was originally a fortress in the days of the Saljuqs and Attabegs. It was King al-Adil, brother of Salah ud-Din ,who ordered the construction of the citadel in its present form at beginning of the 7th century A. D.

The citadel is based on a rectangle 220 x 160 m. To the west lies the palace and the royal quarter. The citadel has a carrier – pigeon house, a mint, an arsenal, a prison, a public bath and a number of mosques. It was the seat of the state and headquarters of the army. It was surrounded with towers and gates. A part of the citadel was destroyed by Hulagu. The citadel was reconstructed in the Mamluk Period and became the seat of the Government.

of the Christian structures from the period of Simeon the Stylite until the 6th century.

The pious, ascetic St. Simeon was known to people everywhere. His fame reached France. When he died, his body was transferred to Byzantium to be buried in a magnificent church. Through the influence of Daniel the Stylite, a church was built at Telanisos (Qal'at Sam'an). The remains of this church testify that it was the grandest and largest of its kind. The church comprises a convent,baptistry, tombs, etc. The church was built by Syrian architects keen to glorify this Saint. The construction of the church lasted 14 year in 490 A. D. The church was considered an outstanding achievement not only of the Syrian architecture but also of the Christian world at large.

The Islamic Period

The Islamic Period in the ancient history of Syria remains the longest and the most important one. This period has left behind magnificent monuments. Prominent among these is the greatUmayyad Mosque, of Damascus, which bears testimony to the significance of Damascus as the first ever Moslem capital of the greatest Arab State in history.

The Umayyad Mosque constructed by Abd-al-Malik's son, al Walid, was set up on a sacred site which was earlier a church. The Moslems used to observe their along with the Christians ever

Since the conquest of Damascus. Al-Walled entered into negotiations with the Christians to consecrate the church to the Moslems to avail setting up three churches. Before the church was built, the site was occupied by the temple of Jupiter in the Roman period. Earlier the temple of the Aramaean god, Hadad, had stood on the same site.

This great mosque with its multicoloured mosaics and beautiful murals, which remind the Moslems of the promised Paradise, remains an exquisite example of Moslem construction.

The Umayyad Palaces like Qasr ai-Heir al-Gharbi, built by Hisham ibn Abd-al-Malik in the south of Palmyra, remain fine examples of early Moslem architecture based on the Sassanid and Byzantine art but exhibiting a new style. This art appears clearly in the decorations of the facade of this palace, now reconstructed at the Damascus Museum.

Christianity

From the beginning of the fourth century Afamiah became a Christian city dotted with churches and monasteries. The original inhabitants of Syria, i.e. the Arab Aramaeans, received Christianity with much conviction. This is because the god El or Bel or Hadad is in their firm belief the source of good, happiness and love which are almost the same in the teachings of the holy scriptures.

As such Christianity spread in Ruha, Dura, Apamea, Antioch and Damascus. Thanks to the Epistles of St. Paul, who was converted to Christianity and helped to escape by the people of Damascus, the religion was conveyed to the world at large.

The Arab Mundhirites and Ghassanids embraced this religion and founded churches and monasteries. Christian metropolises such as Resapha, Deir Sam'an, Basra and Ezra' also came into existence.

Al-Resapha was merely a port in the Roman Period. It was meant for guarding the caravans between Damascus and Palmyra and to watch over the movements of the Persians. In 305, this small city received the body of St. Sergio's who was martyred in the reign of Diocletian. This city was later called Sergiopolis. In the reign of Justinian (527 -565) the city took its present shape with its rectangular wall (558 metres long). The wall has 51 towers of various shapes and sizes.Inside the wall, the ruins of the three great churches are still standing.

The church of St. Sergius is considered the biggest one 43.5 m x 28 m and also an important place of pilgrimage. Prominent among the remains of the city are the three cisterns. Each one is 40 m long and 24.5 m deep and is filled with rainwater.

When Christianity was established in Syria after the 5th centuryA. D. a system of monasticism sprang from the Christian practice of asceticism. The monks had to retire to hermitages, to the tops of mountains, to caves or pillars as it was the case with St. Simeon the Stylite, who perched on his pillar for 42 years, in the area known as Jabal Lilon or Jabal Belus extending from Seleucia to Belum (Jisr ai-Shoghur) to Chalcis (Qinnesrin). It also includes Jabal al-Arba'en, Parisha and Jabal Sim'an and other cities known today as the waste cities. Nothing has remained of these cities save some monuments indicating the grandeur

his death by his wife Zenobia, who ruled in the name of her minor son Wahab-Allath.

During the second and third centuries Palmyra reached the zenith of her glory. Under Zenobia Palmyra extended over Anatolia, Syria and Egypt. The remains of Palmyra stand today as a very imposing sight. The temple of Baal, the Colonnade, the grand Tetrapylon, the forum, the great wall of the city, the tower and the underground tomb bear testimony to the grandeur of the old and Famous city. In the heyday of Palmyra, Rome was ruled by a Syrian family i.e. the Severus. When the rule of this family ended,

Rome saw another Syrian enthroned, Philipp the Arab, who was born in Shahba.

Once again Syria received wide sympathy. This is manifested in e construction of Shahba (Philippopolis) and in the extension

Bosra. In Shahba we can still see the paved roads, stores, public baths, aqueducts, theatres, tetrapylon, temples and the tomb of Philipp (in which he is not buried).

Bosra

Bosra is also an ancient city. It was the settlement of the Arabs, particularly the Nabataeans. In 106 A. D. Bosra became an important Roman city. Under Alexander Severus Bosra was giventhe name « the mistress of the. cities «. Bosra was an important centre of commerce and attained a high degree of prosperity.

The only thing that has remained from the Roman Bosra is the amphitheatre. It was built in the second century and is constructed of basalt. Its diameter is 102 m. It comprises 27 steps and holds 20,000 spectators.

Excavations are in progress in Bosra. A cryptoportico, public baths, forums, a colonnade, a central arch and tetrapylon have been uncovered.

Apamea

Afamiah (Apamea) the second capital of the Seleucids became a Roman metropolis after 50 A. D. Its magnificent remains are still under exploration with the aim of uncovering its roads, agoras and its great theatre.

Of the Christian monuments we can see the Church of St. John, the Church of Hanania and the gate of St. Paul.

There are also many other Islamic monuments in Damascus mosques,schools,maristans, khans and takayat or monasteries. These monuments also bear testimony to the glory of the Moslem Periods. .

Antiquity

When Alexander of Macedonia defeated Darius of Persia at the Battle of Issos his victory was the beginning of Greek and later the Roman domination over Syria and the other eastern countries.

Succeeding Alexander to the throne of Syria, Seleucus Nicator founded the city of Alexandreia in honour of his dead commander. He founded Antioch in honour of his father Antiochus, Latakia in honour of his mother Laodicea and Afamia in honour of his wife Apamea. Dura Europos was named Nicator's birthplace.

These cities are still standing. They preserve nothing of the Seleucids save the names.

Septimius Severus, who was a commander of a Roman legion in Syria married Julia Domna of Emesa (now Homs). Severus was originally from Libya. His language was Punic, not radically different from Aramaic, the language of his wife. Septimius managed to elevate himself to the throne and to become emperor. In his time the gates of Syrian influence at Rome were opened wide to the extent that the Roman Poet Juvenal exclaimed : «The Syrian Orontes has poured its water into the Tiber».

Palmyra

At that time, Palmyra received much interest from Rome.

During the reign of Caracalla in 183 the city was called 'Colonia' and as such it was exempted from taxes.

Palmyra reminds us of the Arab cultured societies. The city and her satellites were ruled by Arab tribes speaking Arabic and Aramaean. The excavations have revealed the names of the dynasties of Palmyra. Prominent among ~ts rulers was Udaynath vho was succeeded after

alphabetic script have been found in Ugarit. It is the oldest alphabet in history.

The script has thirty characters. The language is a Canaanite dialect. This same alphabet was the basis of the Arabic as well as the Greco-Roman alphabet.

The absence of local inhabitants from the archaeological sites of Mari, Ugarit and Ebla facilitated the excavation of these cities.

Many Syrian cities, especially Damascus and Aleppo still treasure secrets of a glorious past which is either contemporary or earlier than the civilization of those cities.

Aleppo may be the oldest city in the world. It still exists and flourishes. The first reference to the city appears in the middle of the third millennium. It was then called Halpa or Halbaba. Later

Aleppo became the capital of the Amorite Kingdom of Yamkhad. The city played a vital role in supporting Hammurabi and in concluding treaties with Babylon and Ebla. Aleppo once fell into the hands of the Hittites and once into the hands of the Egyptians.

Then it became a small Aramaean Kingdom. Later the city was under the Babylonians, the Persians and then Alexander the Great by whom Aleppo was named Beroea. The Romans and the Byzantines also occupied the city but the Moslem Arabs recovered it in 636 A. D.

The monuments of Aleppo such as the citadel, the great mosque, ai-Halaouyyah, the Maristans, the Khans and the bazaars make the old city into a unique, historic curiosity.

Damascus, whose ancient name is Dimaschq, which means in Aramaean the «irrigated lands» has been flourishing for forty centuries. Damascus appears for the first time in the third millennium when it was occupied by Egypt. It was then the homeland ofthe Amorites. Then it became successively an Aramaean kingdom, a Roman and Christian metropolis and ultimately a capital of the greatest Moslem State we know in history i. e. the Umayyad Empire.In Damascus, we can see monuments from the Aramean and Roman Periods. The colonnade, the city entrance and the monuments - of the Temple of Jupiter are still standing. These monuments remind us of the glory that was Damascus.

The discovery of the central archives of the Ebla Palace in Syria is a matter of great significance for history. The new documents reveal that Ebla was a centre of a very important country in the Near East about 2300 B. C. It dominated very wide areas from the Mediterranean as far as Mesopotamia. The texts also reveal the dynasty of one of the Kings of Ebla between 2350 and 2250 B. C.

All traces of the dynasty were lost because of hostilities with the famous kings of the Akkad dynasty in Mesopotamia.

Ugarit and other ancient cities

A new unknown chapter has been opened to us in Syria for the first time. It reveals that Syria played a pivotal role in the history of The Near East in the third millennium B. C. The beginnings of her culture, civilization, arts, architectural style and literary development bear witness to this fact. Ebla also played a major role side by side with Egypt and Mesopotamia.

The city of Ugarit was discovered in 1929, as a result of an accidental find in Ras Shamra, north of Latakia by a Syrian peasant. A French expedition under Claude Schaeffer soon began digging the site (the digging is still going on).

This site had been inhabited since the Stone Age. The city flourished when the Canaanites (Arabs speaking the ancient language of the Arabs) settled there. The city enjoyed its heyday in the middle of the second millennium B. C. after being active in the realm of commerce. The city was destroyed by the Seapeople at the end of the second millennium.

Most precious among the varied finds which the site has yielded are the elaborate Royal Palace as well as the temples of Bel and Dagon, the most important gods of the Canaanites.

In the course of the excavations some specimens of pottery, Bronzes and ivories have been discovered. Prominent among these finds is a rectangular ivory panel which once was a part of he throne of the Kings of Ugarit. The panel bears scenes on the two faces. The scenes elegantly depict political, military and social life in an Egyptian style. Another example of the finds is the well-known ivory head. The two specimens are preserved in the Damascus Museum. Many clay tablets bearing an

of the panel, there are the goddessof the spring, stylized trees and date-palms. There is also another panel representing a scene of dedication. It comprises five rowes of paintings. Nothing remains of them save a scene depicting IshtarSome soldiers and the king presenting his offer.

Ebla

Mari was contemporary with the Amorita city of Ebla. The discovery of Ebla was a great achievement which was only completed during the past few years. Ebla was discovered by an Italian Mission which conducted excavations at Tell Mardikh, South Aleppo and near the Aleppo-Damascus road. This missions has conducted 12 operations since 1964 and has proved that Tell Mardikh was the city of lbila, the flourishing sister city of Mari and of Yarmuti (now Latakia). The three cities are mentioned in the clay tablets discovered at Nippur in Iraq. The cities date back to the Sargonic Period 2350 B. C. They were also mentioned in writings going back to the period of Naram-Sin, grand-son of Sargon, and Gudea, king of the Sumerian city of Lagash.

In 1975 a discovery of great importance for the history of civilization was made: The archives of the city in the reception hall of the Royal Palace which dates back to the second half of the third millennium B. C. They comprised thousands of cuneiform tablets arranged on wooden shelves as it is the case in our modern libraries. The texts of the tablets were written in Amoritic, classical Canaanite, and Sumerian. Among the tablets are business letters, royal decrets, reports on military battles submitted to the king of Ebla, international treaties concluded with major powers and lists of tribute paid by the subject states.

There are also a large number of linguistic matters including the oldest lexicons, which give us a list of Sumerian words in the language of south Mesopotamia, the Canaanite language (the then language of Syria). These texts are very important because they give us an idea of the methods of education in the third millenium B. C.

In this royal library, some literary and religious texts have been discovered. They include the Sumerian myths and epics. One of the texts narrates the epic of Gilgamesh, the famous hero of Mesopotamia and Syria.

The history of Mari may be divided into two principal periods. The first begins from the third millennium B. C. till the beginning of the second millennium B. C. i.e. the period falling in the Pre-Sargonic era. The second period ends at 1750 B. C.

Everytime the explorers believed that they had reached the virgin land at which the oldest layers end, they were surprised to find anew layer revealing a previous period. In 1935, a palace goingback to the second millennium B. C. was discovered. In 1964 a palace relating to the Pre-Sargonic age, i.e. 2700-2450 B. C., was discovered beneath the first palace. A layer going back to the 5th period of Nineveh, i.e. the fourth millennium, was also unearthed. In the Pre-Sargonic Period the following temples were discovered: Shamash, Dagon, lshtar and Nini-Zaza. In the second period, the great palace which was completely destroyed after a fierce war waged by Hammurabi in 1750B. C., was also discovered. In this war Hammurabi defeated his obstinate adversary Zimri-Lim, King of Mari. The city then lost the importance and glory which had been achieved by that king.

From this great palace, Zimri-Lim used to dominate a major part of the Middle East. The fate of many people who had been conquered by the Babylonian lay in his hands.

Mari regained some of its importance when it was used by the Assyrians as a centre for protecting the commercial route which extended from the rising sun i.e. the Arab Gulf as far as the setting sun i.e. the Mediterranean Sea. Later on, Mari began to sink gradually into oblivion.

The excavations had also produced over 30,000 cuneifo tablets in the Akkadian language. The finds also comprise a statue of Ur Nina, the singer of the Temple; a statue ofLamgi-Mari, the King of Mari; a statue of the Prophetess; a statueof lshtar, the calf-bearer and ldi-Narum, the Miller. Prominentamong the finds discovered at the Palace of Zimri-Lim are: two big statues of the goddess of the Spring and lshtup- llu

They as well as a headless' statue of ldi-llum go back to second millennium B. C. One brilliantly coloured painting has been discovered in e courtyard of the palace. It represents the royal investiture King Zimri-Lim standing in front of lshtar, the goddess of • a:lshtar appears in her military role with her right foot acouchant lion. On other parts

Mari

Neither the group of migrants who marched from Mesopotamia nor the original inhabitants of the area had never imagined that one day they would establish a flourishing civilization on the banks of the Euphrates on the site which is today called Tell al Hariri, situated 10 km. to the north of Abu Kamal. This great civilization of the third millennium B. C. is related to a city named Mari.

The city was discovered by accident in 1933, when a Bedouin peasant was looking for a piece of stone to make a gravestone out of for one of his dead relatives. The Bedouin found a headless statue. He took the statue for Satan. The discovery was soon reported to the responsible officials at Abu Kamal and the matter was then reported to the competent authorities. When the news of the discovery reached Paris, the Louvre assigned one of its conservators, a young man named Andre Parrot, to examine the statue. Parrot found in the statue a clue to that great city which had already been mentioned in the inscriptions discovered here and there. After conducting some explorations in the area, Parrot came to the conclusion that Tell al-Hariri was the city of Mari.

Regular excavations have been going on at this important site which is still revealing levels and layers of different constructions ,streets above streets, palaces above palaces and temples above temples. They are a number of civilization each one superimposed on the other. The earliest of these dates back to the year 3000 B. C. The main features of this city, its zenith and decay, have been determined.This is because the war which destroyed this city left behind traces of fires, ruins and looting. The recent excavations at this site, however, have yielded a number of statues and works of art.

These magnificent finds, which date back to the dawn of civilizations, have not only dazzled the archaeologists but also all those who visit the Syrian museums. In this connection, Andre Parrot says: "These finds prove the old saying that the Orient has brought light to the Occident». The thousands of cuneiform tablets discovered at Mari have enriched our knowledge of ancient history. They reveal that Mesopotamia, like Egypt, was a very old cradle of civilization and that Mari occupied a prominent place in the long and rich historyof Mesopotamia.

the banks of the rivers to fish for food there, in addition to what he hunted in the way of wild bulls, zebras and gazelles which were in abundance in that area. The excavations have brought to light a good quantity of the bones of such animals.

This man used stone implements to reap the wild plants, which he himself had not grown, such as corn, barley and lentil, some of which have been found carbonized. He lived in houses consisting of wide circular rooms.

The building materials of these houses were mud, and wood trimmed with a stone hatchet. The walls of the rooms were covered with branches,gypsum or skin of animals.

One thousand years later, the houses grew wider and the walls of the room were painted with some primitive decorations in red or black. It appears that man at that time managedto prepare and use baked clay. The evidence for this are the small baked clay objects which have been brought to light. Some statues in clay and stone depicting a nude woman placing her hands over hebreast has also been discovered. Undoubtedly, the woman renesents the fertility goddess who was worshipped in the agriral communities of that era. Some sea-shells, bones and stones used as ornaments for women have also been found.The discovery of stone spearheads and obsidian knives indicate commercial exchange with the north.

Abu Huraira, which it's not far from Tell Mureibit, monuments of setlements dating back to the same period, i.e. the 9th millennium B. C. , have been unearthed. The same aspects of advanced life in addition to rectangular adobe houses have been found at the same site. Here, the dead were buried according to certain rituals including burial dead in the floor of the house or in the outer courtyard.

The skeletons were then removed from their places after separating the skulls in order to collect them in another burial ground. The inhabitants, in fact, believed in survival after death.

With the spread of inhabitants along the banks of the Euphrates, civilization began to flourish.

2- The Syrian Archaeological Heritage

Prehistory

Man settled on this land thousands of years ago.He has left us his first traces in the city of Hama and AI-Latamneh,the early banks of the Orontes. Successive dwelling-sites soon developed along these banks and invaded the valley as far as the coast. The remarkable relics which have been discovered in the Course of recent years prove that the area was densely populated. It seems that primitive man enjoyed life in the forests of oaks and wineries, which surrounded the Orontes Valley where he often settled in the early Stone Ages or rather in the Chelleo-Acheulian era. Some of the stone implements used by man in that period such as fish hatchets, scrapers or choppers have been discovered.

At that time, man co-existed with big and medium-sized animals, some of which were heavily built like elephants and rhinoceros.

There were also gazelles, mountain goats, bulls, camels and perhaps horses. It appears that man used the meat of such animals as food in the Acheulian Period. The rainfall then was heavy, the trees were dense and the pastures plentiful. In winter the frost was so severe that men were forced to take shelter incaves.

If we turn to the Middle Stone Age (Mesolithic) and the late Stone Age (Neolithic) we can see clearly in this country the most ancient dwelling-site in the world. It has been discovered during the excavations of the antiquities at the Euphrates Dam Site.

At Tell Mureibit which lies on the Euphrates to the west of al-Tabaqa city, archaeological missions have discovered the earliest settlement that man lived in 11 thousand years ago. It is the oldest settlement ever-known so far.

The ancient man who was ignorant of agriculture and pasture sought

A L'origine elle était constituée d›un ensemble de forteresses datant des Seljouks et des Attabiks. Puis ce fut Ie roi Adel, frère de Saladin, qui ordonna de la construire, selon la forme qu›elle a gardée depuis Ie début du 7›-me siècle de I 'Hégire, jusqu›à nos Jours. Auparavant Salah-Eddine avait séjourne dans une tour particulière ou à sa mort, ses funérailles eurent lieu.

La Citadelle, telle qu›elle fut construite par Ie roi AI-Adel, forme un rectangle de 220 mètres sur 160 mètres; sur son cote occidental s'élevaient Ie Palais et Ie Quartier Royal. La Citadelle possédait une tour pour les pigeons voyageurs, un atelier pour la frappe de la monnaie, une fabrique d›armes, une prison, un bazar, un bain public et nombre de mosquées. Elle était Ie siège du pouvoir de l›Etat et du commandement de l›Armée. Elle était flanquée de tours et de portes gigantesques qui en permettaient L'accès.

Puis une partie de la Citadelle fut détruite lors de I 'invasion de Hulagu. elle fut restaurée sous les Mameluks, et devint le siège du Gouverneur ou du Représentant du Sultanat.

dans la décoration de la façade du Palais, qui a été remontée au Musée National de Damas.

Le règne de Hisham Ibn Abdul-Malik (724-743), fut une période de développement florissant, dans Ie domaine architectural. Il bâtit en Syrie de multiples Palais, deux a Resafa, outre ceux de Qasr ai-Heir al-Charqi et Qasr ai-Heir al-Gharbi. Les historiens mentionnent de plus la construction de deux palais près de Raqqa, d›un a Damas, un autre Marge al-Safre au sud de Damas. sans compter Qasr al-Mafjar et d›autres en Palestine et en Jordanie.

Passant à une période Islamique postérieure, nous trouvons la citadelle d›Alep qui fut restaurée et dotée de nouvelles constructions, durant la période Ayyoubide. Elle est un modelé type de citadelle islamique. Elle fut érigée sur une élévation rocheuse. occupée précédemment par un temple du dieu Araméen Hadad. puis du dieu Hittite Techoub, puis enfin par un temple dédie a dieu grec Zeus. Le site devint l›Acropole de la ville à L'époque grecque. Quand les Arabes Musulmans occupèrent Alep ils firent une forteresse siège de l›Autorité. Durant la période Ayyobid -, comme nous I›avons signale plus haut, Ie roi AI-Zahir Ghazi ibn Salah-Ed dine, construisit de nombreuses parties de la citadelle, et en restaura d›autres. II fit creuser Ie grand fosse, fortifia. A les flancs, car des murailles de pierre, y éleva une grande mosquée, et des palais et y demeura avec son épouse Daifa Khatoun,qui y fut enterrée après sa mort.

La Citadelle a la forme d›une ellipse. Elle est entourée d›une muraille surmontée de tours carrées ou circulaires. La première tour enferme l'entrée principale, qui est surmontée par la salle de trône, dont les décors viennent d›être restaures récemment.

A l'intérieur de la Citadelle, se dresse la Mosquée d› ibrahim al-Khalil, construite sur I›emplacement ou Ibrahim, dit-on, séjourna lors d›un voyage de Harran à Alep. On y voit aussi une autre mosquée, des bains publics, des bazars, des caves, des citernes et des prisons.

La Citadelle de Damas n›est pas moins importante. Elle se caractérise par son emplacement au niveau du sol. Elle est située a I›angle nord-ouest de I 'antique Muraille de Damas.

la ville de Talonneuse, que l'on connait aujourd'hui sous le nom de Qal'at Sam'an Construction incomparable par sa magnificence, comme en témoigne ses vestiges. Elle se compose d'une église, d'un monastère, de Sépulcre, d'un baptistère et de diverses dépendances. Elle bâtie par des architectes Syriens, inspires par la ferveur et le désir de glorifier le nom du Saint. Les travaux qui durèrent 14 années, furent achevées en 490 ap. J. C. L'église est considérée comme un chef-d'oeuvre, non seulement de l'architecture Syrienne, mais aussi de !'Architecture chrétienne.

L'Islam

La période Islamique reste, dans I 'histoire si ancienne de la Syrie, l'étape la plus longue et la plus importante. Cette période florissante nous a lègue un héritage magnifique de monuments grandioses. La Mosquée des Omeyyades en est L'archétype Ie plus ancien. Elle témoigne de I 'importance de Damas, première capitale islamique du plus grand Etat Arabe dans I'histoire.

La Mosquée des Omeyyades fut construite par Ie Calife AI-Walid Ibn Abdul Malik sur un site sacre, occupe par une église, ou depuis la conquête de Damas, les Musulmans accomplissaient leurs prières cote à côte avec les Chrétiens. Puis al-Walid négocia avec la communauté chrétienne, Ie cession de ce site, contre I 'autorisation de construire trois autres églises.

Auparavant, à L'époque romaine, cet emplacement était consacre À un temple dédie a Jupiter, qui avait succède à un temple dédie au dieu Araméen, Hadad.

Cette grande Mosquée fixa Ie dessin essentiel du plan de toutes les mosquée postérieures. Elle renferme, pour la première fois une fresque de mosaïque multicolore qui évoque Ie Paradis promis aux Musulmans.

Parmi les Palais Omeyyades, celui de Qasr ai-Heir al-Gharbi, construit par Ie Calife Hisham Ibn Abdul Malik, dans la plaine au sud de Palmyre, demeure un des chefs-d'oeuvre de I 'ancienne architecture Islamique, qui s'inspira de I'art des Mundirites, tel qu'il était représenté dans leur Palais de Hira; des éléments de formes et de décors Byzantins et Sassanides, y furent cependant introduits lui donnant un aspect nouveau qui inaugura I 'architecture Islamique. Cela se voit clairement

suivis les mouvements des Perses. En l'an 305, cette petite ville accueillit la dépouille de Sergius, qui fut sanctifie après son martyr sous le règne de Diocletien, et elle reçut le nom de Sergiopolis. Au siècle de Justinian (527-565), la ville prit sa forme actuelle, enfermée dans ses murailles de gypse, sous forme de rectangle de 558 mètres de long, et les tours de différentes formes et volumes qui dominant l'Enceinte, à l'intérieur de laquelle l'on peut voir aujourd'hui les ruines imposantes des trois grandes églises. Celle de St. Sergius, qui a 43,5 mètres de long et 28 mètres de large, est considérée comme l'une des plus grandes. Elle abritait le dépôt des objets sacres et la dépouille du Saint, et d'où s'écoule par un conduit l'huile bénie avec laquelle se bénissaient les fidèles.

Parmi les constructions qui sont encore visibles, les plus importantes sont les trois citernes, pour la conservation des eaux de pluie dont chacune a 24,5 mètres de profondeur et 40 mètres de longueur.

Lorsque le Christianisme, qui s'était propage parmi les habitants de la Syrie, fut bien implante, après le 5eme siècle. J.C., se développèrent le système monastique et la pratique de l'ascétisme.

Des prêtres se retirèrent dans leurs ermitages sur les dames des montagnes, dans les cavernes ou aux sommets des colonnes; l'exemple le plus connu est certainement Siméon le Stylite, qui est reste 42 années au sommet de sa colonne, située dans la région qui s'appelait le Mont Lilon, ou le Mont Belus, et qui s'étend de Séleucie a Bilum (Jisr ai-Chogour aujourd'hui),

jusqu'à Chalcis (Qinnesrine), incluant le massif d'Al Arbaene, de Baricha, et plus au nord le massif de Sima'an. De nombreuses villes connues aujourd'hui sous le nom de «Vilies mortes», et dont Il ne reste que des ruines qui témoignent de l'Importance des Constructions urbaines chrétiennes, du temps de Siméon le Stylite,et jusqu'au 2eme siècle.

Le pieux et saint Siméon le Stylite fut pendant longtemps l'objet d'une piète qui attirait les foules de toutes parts, et sa renommée atteignit la France. Quand il mourut à l'Age de 70 ans, sa dépouille fut transportée a Antioche, puis a Byzance dans une magnifique Église qui lui fut consacrée. Puis, sous l'influence de Siméon de Stylite une église fut construite grâce à des fonds considérables.sous le règne de Zenon, dans

Les fouilles a Bosra se poursuivent toujours. II a été découvert. le Cryptoportique, qui est un corridor sous-terrain, de 106 mètres de long, et 5 mètres de large, éclaire par 44 fenêtres situées au-dessus de niches et «Mihrabs» décores. Ont été aussi mis au jour les bains publics, les-forums, I 'avenue droite, Ie croisée tetrapyle et I'arc de triomphe central.

Apamée

Quant à Afamia-or Apamée, qui est Ia deuxième capitale des Seleucides, elle est devenue métropole romaine 50 av. J. C. Ses magnifiques monuments semblent, dans leur élan, s'élever sur un tapis de nuages; selon l'expression d'un écrivain Syrien; les fouilles et les restaurations s'y poursuivent depuis des dizaines d'années. Mais ce que les siècles ont détruit, ne peut être relevé en quelques années. Afamia a donne toujours besoin d'archéologues pour Ia faire sortir de Ia longue nuit qu'elle a connue, et révéler au grand jour ses forums et son grand théière

Christianisme

A partir du 4eme siècle, Afamia devint chrétienne, et fut dotée d'églises et de monastères.

Les Araméens Arabes, qui sont les habitants originaux de Ia Syrie, ont réservé au Christianisme un accueil convaincu. Car le dieu El, ou Bel ou Hadad, était dans sa conception profonde, l'origine du bien, du Bonheur et de I'Amour, qui sont en harmonia avec les concepts Chrétiens. De plus, les Evangiles ont été écrits dans Ia langue Araméenne elle-même. Ainsi, se propagea le Christianisme à Ruha, Dura, Afamia, Antioche et Damas, ou les Epitres de St. Paul ont fortement couvre à Ia propagation de cette religion.

Et ceux sont les habitants de Damas qui ont facilité Ia fuite de St. Paul, quand il eut adhère au Christianisme.

Les Arabes Munzirites et Ghassanides, ont embrassé cette religion et ont construit des églises et des monastères. Ont vu le jour des sites chrétiennes comme Resafa, Deir-Sam 'an Basra et Ezra' qui existent toujours.

A l'époque romaine, Resafa n'était qu'une falaise qui assurait Ia sécurité, gardait des caravanes entre Damas et Palmyre, et d'où étaient

l'Anatolie, Damas et l'Egypte. Palmyre était devenue cette grande cite dont les monuments témoignent, jusqu'à ce jour, de son importance.

Le temple de Bel qui fut le plus grand que nous connaissions jusqu'à cette Époque, est Ia preuve du grand développement de Ia ville, et de l'étendue de sa puissance. De même l›avenue en ligne droite etles magasins qui Ia bordent, le grand tetrapyle (tetrapylon), le forum et le théâtre avoisinant ainsi que l›Enceinte géante à Ia limite des tombeaux-tours, au des tombeaux sous-terrains, tout témoignent d›un haut niveau d›épanouissement économique et social.

Durant le développement de Palmyre, Rome était gouvernée par Ia famille syrienne des Sévère. Peu après son déclin, Philippe I 'Arabe ne a Chahba, fut porte sur le trone et devint Empereur de Rome. Une fois de plus, Ia Syrie retient !'Intérêt: Philippopolis (Chahba) est construite et Bosra agrandie. A Chahba, nous pouvons voir de nos jours, les rues pavées, les magasins, les bains, les aqueducs, le théâtre, le t'extrapole, le temple et le tombeau de Philippe (II n'y fut pas inhume)

Bosra

Bosra est aussi une cite ancienne. Elle fut la patrie des Arabes et particulièrement des Nabatéens. A partir de I'an 106 ap. J. C. elle devint une importante cite romaine. Sous Ie règne d'Alexandre, elle reçut Ie nom de «Mère des sites», et devint un important etprospère centre commercial, que caractérisent des constructions grandioses.

Le plus important monument qui nous est reste de la Bosra Romaine est l'amphithéâtre. II est IE monument Ie plus parfait. Car il est seul dans Ie monde qui ait conserve toutes ses parties. Sur lesquelles une citadelle islamique fut construite.

Ce théâtre a été érige au 2eme siècle. II fut construit en pierre Basaltique. Son diamètre est de 120 mètres. II comprend 27rangées de gradins, qui peuvent accueillir vingt mille spectateurs sa scène a été complètement déblayée, et les touristes peuvent la visiter car le théâtre est maintenant restaure. II permet aussi de donner les spectacles les plus grandioses et son inauguration en 1974 qui a duré des mois, a été un évènement marquant.

Antiquité

Avec Ia victoire d'Aiexandre de Macédoine sur Darius roi des-Perses, dans Ia bataille d'Issos, commença Ia domination grecque,puis romaine, sur Ia Syrie et autres pays orientaux.

Et quand Seleucos Nikator succéda à Alexandre sur le trône de Ia-Syrie, il fonda Ia ville d'Aiexandrette en l'honneur de son chef Décède, Antioche à laquelle il donna le nom de son père Antiochus, Latakieh (Lattaquié) qui porta le nom de sa mère Laodice etAfamia qu'il appela du nom de son épouse Apamea, puis DuraEuropos qui porta le nom de son ville natal. Ces cites existent toujours, mais Antioche mise à part, ces cites ne conservèrent des Séleucides que leurs noms. Et lorsqu'elles passèrent, en même temps que d'autres provinces syriennes, sous Ia domination romaine, par Ia main de Bomba, Antioche demeura Iaca-pitale; mais les gouverneurs de Raha, 'Anjar, Horns, Bosra,Palmyre et Apamea restèrent Arabes.

Septime Sévère, qui commandait Ia Légion Romaine en Syrie,Épousa Julia Domna, originaire de Horns qui parlait L'Araméen, sœur d'Ia langue punique, que parlait Sévère originaire de Lybie.

Lorsque ce dernier devint Empereur, sa cour se transféra de Horns a Rome. Et !'influence syrienne sur I'Etat et Ia culture devint si grande, que le poète romain Juvenal s'exclama «L'Oronte déverse maintenant ses eaux dans le Tibre».

A cette même époque, Palmyre fut !'Objet d'un plus grand intérêt de Ia part de Rome. Et sous le règne de Caracalla, en 183 elle reçut le titre de Colonie Romaine, ce qui l'a promue égale a Rome, et exemptée de lui payer des impôts.

Palmir

Le nom de Palmyra vient de suite à l'esprit, quand on évoque les-premières sociétés Arabes cultivées. Cette ville et ses environs,furent gouvernes par des tribus arabes qui parlaient I' Arabe etl'Araméen. Les fouilles ont dévoilé les noms des dynasties gouvernants, dont le plus important est Uzainat, à qui succéda son épouse Zenobia, régente de leur fils mineur Wahab-AIlat. et durant le 2eme et le 3eme siècle, Pal-myre atteint l'apogée de saGloire. Car Zenobia étendit son pouvoir sur

Cet alphabet fut Ia base de !'alphabet Sémitique-Arabe, ainsi que de !'alphabet Gréco-Latin, a IA fois.

Si Ia vacance de lieux archéologiques comme Mari, Ugarit et Ebla, de leurs habitants, a permis de fouiller et de dévoiler le passe de ces villes, de nombreuses villes de Syrie, et notamment Damas et Alep, continuent à celer en leur sein, les secrets d'un glorieux passe, contemporain ou antérieur a Ia civilisation de ces cites.

II est possible qu'Aiep soit Ia plus ancienne ville du monde. Elle reste toujours survivante et florissante. La première référence Iaconcernant date du milieu du 3eme millénaire. Son nom était Halba ou Halbaba. Puis elle devint Ia capitale du royaume Amorien de «Yamkhad». Alep a joué un rôle de soutien a «Hamourabi»,et a conclu des traites avec Babylone et Ebla. Elle tomba sous le jougtantôt des Hittites, tantôt des Egyptiens. Puis elle devint un petit royaume Araméen. Ensuite elle fut soumise aux Babyloniens, aux Achéménides puis a Alexandre de Macédoine, sous lequel elle se nomma Beroea. Puis elle fut conquise par les Remains etles Byzantins, enfin elle fut récupérée par les Arabes Musulmans en 636 ap. J. C..

Quant à Damas, dont l'ancien nom est Dimashq qui signifie en Arameen «La Terre irriguée», elle est Ia cite qui est restée florissantedurant quarante siècles et elle le demeure. Elle a connu, a partir du 3eme millénaire, Ia conquête de I'Egypte, lorsqu 'elle était Ia patrie des Araméens, plus tard une métropole romaine et chrétienne et ensuite Ia capital du plus grand état islamique dans l'histoire: I'Etat Omeyyade.

A Damas, I' on peut voir des monuments de l'époque araméenne et romaine. Les colonnades, l'entrée de Ia cite, Ia tour et lesmonuments du Temple de Jupiter sont toujours debout. Lux évoquent le souvenir de Ia florissante de cette cite a cette époque.

Parmi les monuments chrétiens anciens, se trouvent l'église de St. Jean, celle de St. Hanania, ainsi que le portail de St. Paul.Quant aux monuments musulmans, on en voit par toute Ia ville ; les Mosquées, les Madrasas, les Maristans, les Khans et lesTakyrs (monastères) sont bien conserves et font l'objet d'une surveillance continuelle.

Ugarit et d'autres villes anciennes

La ville d'Ugarit a été découverte a Ras-Shamra, au nord de Lattaquié. Elle est Ia plus grande colonie sur Ia Méditerranée durant le 2eme millénaire av. J. C. Sa découverte a eu lieu, lorsqu'un paysan qui labourait sa terre, ayant déplacé une pierre, mit au jour·

Un tunnel conduisant à un tombeau. Depuis, une mission 'françaiseconduite par le Prof. Claude Schaeffer, dirige les fouillesqui se poursuivent jusqu'à maintenant.

Ugarit a été habitée depuis l'Age de pierre. Mais Ia ville ne s·est:Épanouie que lorsque les Cananéens y demeurent. Ce sont lesaïeux des Arabes qui parlent l'ancienne langue arabe (dite Sémitique). Puis Ia ville atteignit son apogée au milieu du 2eme millénaire lorsque son activité commerciale devint florissante. Puis la ville fut détruite à Ia fin du 2eme millénaire quand elle fut envahie par les «Peuples de Ia Mer».

La plus importante des découvertes concernant l'apogée de sa civilisation est le Palais Royal, qui est Ia cite officielle, et qui est organise d'une manière précise. II n'avait son pareil nulle partailleurs. A cote du palais se trouvent le temple du dieu Baal etcelui du dieu Dagan qui sont les plus grands parmi les dieux·Cananéens'.

Au cours des fouilles, ont été découverts, des spécimens de poteries, d'ivoires et de bronzes travailles, dont le panneaurectangulaire est en ivoire, et constitue unepartie du trône des Rois d'Ugarit et ou sont gravées, des deux côtes, des scènes de sa vie quotidienne, politique, militaire et sociale, avec une grandefinesse, mais selon le style égyptien. Un autre exemple des découvertes est Ia tète d'ivoire si remontée. Ces deux pièces sont conservées au Musée de Damas.

Des tablettes portant des inscriptions dans les langues de Ia région et surtout en ugaritique, ont été trouvés aussi à Ugarit. La plus remarquable de ces tablettes est celle ou est grave !'alphabet.C'est le plus ancien alphabet de l'histoire. Car avant cette date les mots n'étaient formes que par syllabes. Cette tablette se compose de trente lettres, placées en ordre, comme dans les alphabets modernes.

La grande importance de cet alphabet s'est notamment manifestée quand, plus tard, il s'est inscrit sur des papyrus, ce qui adonne aux lettres une forme souple, semblable aux inscriptionsdu tombeau de «Ahiram».

ont été trouvés tels qu'ils étaient conserves, ranges dans des cases de bois comme dans nos bibliothèques aujourd'hui.

La première lecture de ces textes indique que ces archives renfermentde longues listes de Ia correspondance commerciaux del'ancienne Ebla, des décrets concernant Ia règlementation juridiqueet des listes des indemnités de guerre versées par les villies soumises; ainsi que des traites internationaux conclus avec lesgrandes puissances du 3eme millénaire av. J. C. Outre les archives de I 'Etat, il existe aussi un grand nombre de Textes linguistiques, qui constituent le plus ancien dictionnaire en deux langues. On y trouve une série de termes sumériens(langue de IaMésopotamie méridionale), et cananéens (langue de Ia Syrie de cette époque). lis sont d'une importance particulière pour Ia connaissance des méthodes d'enseignement au3eme millénaire av. J.C., formant un recueil de grammaire et d'exercices linguistiques. dans Ia même bibliothèque royale, ont été découverts aussi quelques textes littéraires et religieux, concernant les mythes et les épopées sumériennes. L'un d'eux narre l'épopée de «Gilgamesh» Le célèbre héros de Mésopotamie.

La découverte des archives centrales du palais d'Ebla a une grande signification pour l'histoire. Les nouveaux documents révèlent qu'Ebla a été, aux environs de l'an 2300 av. J.C., le centre du plus important Etat du Proche-Orient. Elle dominait de très vastes régions qui s'étendent du bassin d'Ia Méditerranée jusqu'à Ia Mésopotamie. Un des textes révèle Ia dynastie de l'un des rois d'Ebla, entre 2350 et 2150 av. J. C., dont le nom s'était perdu dans le tourbillon des hostilités avec les fameux rois de Ia dynastie akkadienne, en Mésopotamie.

Un nouveau chapitre, qui était inconnu, vient de s'ouvrir pour nous en Syrie. II révèle que Ia Syrie a joué, durant le 3 Emme millénaire av.J.C. un rôle primordial dans l'histoire d'Orient.

Les données de sa civilisation et de sa culture, dont témoignent-le développement de I' art, de !'Architecture et de Ia littérature, montrent, en même temps qu'Ebla ajoute un rôle principal, côte à cote avec I'Egypte et Ia Mésopotamie.

Quant aux découvertes faites a Tell Hariri, à Tell Khoueira, a Habuba Kabira, et dans d'autres sites, elles viennent compléter notre connaissance sur d'autres régions d'Ia Syrie, Durant l'âge du bronze

rum» et de «Iku-Shamgan», qui ont été trouvés dans le Temple d›Ishtar. Parmi les plus importantes découvertes dans le Temple de Zimiri-Lim, et qui datent du 2eme millénaire, figurent les deux grandes statues de Ia déesse du printemps, et de «Ishtup Ullum», ainsi que Ia statue décapitée de «Idi Ilum».

Les restes d›une fresque (bas-relief) ornée et coloriée ont été découverts dans Ia cour du Palais. Ils représentent Ia scène de !'Investiture royale: Le roi Zimri-Lim qui s'incline religieusement devant Ishtar, déesse de Ia guerre, revêtu de ses attributs militaires et le pied droit pose sur son symbole, le lion. Dans d'autresparties des bas-reliefs, l'on voit Ia déesse de Ia source et des dattiers. Un autre tableau représente Ia scène de l'offrande. II se compose de cinq panneaux dont il ne subsiste qu'une partie oul'on voit Ia déesse Ishtar avec quelques soldats, et le roi présentant l'offrande.

Ebla

Mari a été contemporain de Ia ville Amorienne d'«Ebla».Ladécouverte d'Ebla a été un grand évènement des demeures années. Depuis 1964, une mission archéologique italienne poursuivait ses recherches a Tell Mardikh, situe au sud d'Alep et a proximité d'Ia route reliant Alep à Damas. Cette mission effettue une douzaine de campagnes, et dernièrement elle a acquis lapreuve certaine que cet emplacement est celui d'Ebla, Ia Florissante cite, sœur de Mari et de Yarmouth, probablement l'actuelle Lattaquié, un site qui était reste inconnu jusqu'Ia. Les noms de ces trois sites étaient mentionnés dans Ia tablette de terre cuite qui a été découverte a Nippur en Iraq, et qui date de l'ère Sargonnique, 2350 av. J. C. Ils étaient aussi mentionnés dans des écrites qui datent du règne de «Naram-Sin», petit-fils de Sargon et de Gudea, roi ·de Ia cite sumérienne de Lagash.

En 1975, une découverte d'une importance exceptionnelle pourl'histoire de Ia civilisation a été faite. Dans Ia salle de réception du ·Palais Royal, date de Ia 2eme moitié du 3eme millénaire av. J. C. ont,été découvertes les archives de Ia Cite, dans deux pièces qui contiennent des milliers de tablettes cunéiformes. Elles sont considérées comme les plus anciennes archives de Ia plusgrande et Ia plus ancienne ville connue à ce jour. Ces textes, Écrits en langue classique et en sumérien,

l›Egypte le plus ancien berceau de Ia civilisation, et a occupé une place proéminente dans l›histoire de Ia Mésopotamie.

L'histoire de Mari peut se diviser en deux périodes principales: Ia Première va du 3eme millénaire av. J. C. jusqu›au début du 2eme millenaire av. J. C. C›est Ia période Pre-sargonique. La deuxième période Finit en l›an 1750 av. J. C.

Et si. Lors des fouilles, les chercheurs ont cru si souvent avoir atteint Ia terre vierge, Ia ou se terminent les couches archéologiques. Ils furent aussi souvent détrompes: Ia découverte d›une couche nouvelle révélait une nouvelle période

Et en 1 935. A été découvert un palais qui remonte au 2eme millénaire.Et en 1964, un autre palais remontant à l›ère Présargonique (27 00- 2350 av. J. C.), a été découvert au-dessous du premier Palais.: Puis fut découverte une couche datée de Ia 5eme période de Ninive. C'est-à-dire du 4eme millénaire. Pour Ia période Pre-sargon qu'ont été découverts les Temples de Shamach, Dagan, Ishtar et NiNi Zaza.

De la 2eme période, date le Grand Palais, qui fut très gravement endommage par Ia guerre meurtrière que lava Hamurabi en l›an 1750 av. J. C. contre cette ville de Mari lorsqu›il mit fin au règne de son obstine adversaire, Zimri-Lim, roi de Mari. Depuis lors, Ia ville ne retrouva plus !›Importance et Ia gloire qu›elle avait connue sous le règne de ce roi, qui dominait à partir du Grand Palais, une Grande partie du Moyen-Orient, et qui décidait du sort nombreux peuples jusqu›à Ia conquête babylonienne.

Mari retrouva cependant une partie de son importance lorsque les Assyriens en firent un centre qui permettait d›assurer Ia protection de Ia route commerciale qui allait du Soleil Levant c›est-à-dire du Golfe Arabique, au Soleil Couchant c›est-à-dire a Ia Méditerranée. Par Ia suite Mari a dépéri graduellement, jusqu'à Complète extinction.

Les fouilles ont aussi produit plus de trente mille tablettes portant des inscriptions en cunéiformes (en Akkadien). Y ont été trouvées aussi différentes statues de terre et de pierre dont le chef-d'œuvre est Ia statue de «Our-Nina» , le chanteur du Temple, qui a été découverte dans le temple de «Ni Ni Zaza, et celle de«Lamgi-Mari» le roi de Mari. La prophétesse et star, ainsi que le Porteur de Veau, le Meunier «ldi-Na-

Mari

II ne vint jamais à l'idée de ce groupe d'émigrants, venus de la Mésopotamie, ou des habitants originaux de cette région, qu'ils fondraient sur le bord de I'Euphrate, sur le site connu aujourd' uit sous le nom de «Tell Al-Hariri», a dit kilometres à l'ouest d'Abou Kemal, une florissante civilisation, qui a été attribuée, depuis le 3eme millénaire a une ville nommée «Mari••.

C'est un heureux évènement que cette ville ait été a redécouverte accidentellement en 1933, lorsqu'un bédouin, qui était a la recherche d'un bloc de pierre pour en faire une stèle funéraire pour un parent décade, ait exhume une statue sculptée décapitée qu'il prit, sur le moment, pour le diable. Ce fait parvint à Ia connaissance des responsables à Abou-Kemal, qui se mirent en rapport avec les autorités mandataires lesquelles, à leur tour. En informèrent Paris. Et il fut dévolu à un jeune conservateur du Musée du Louvre, André Parrot, de conduire une mission pour Étudier cette statue et trouver Ia «clef de cette ville grandiose.quia été si souvent mention née dans les inscriptions découvertes partout. Les prospections effectuées alors ont confirmés que

Tell ai-Hariri n›était autre que Ia ville de Mari elle-même.Les fouilles se sont poursuivies régulièrement jusqu ‹à ce jour, ence site important, ou l›on découvrit des niveaux et des couches deconstructions diverses, les rues se superposant aux rues, les palais au palais et les temples aux temples. II s›agit d›un ensemble de «civilisations, qui se sont accumulées les unes sur Les autres. La première remonte au 3eme millénaire et taus sesaspects en sont maintenant Connus. Car Ia guerre qui a décimecette ville a laissé des traces d›incendies, de destructions et de pillages. Ces récentes fouilles ont permis de mettre à jour des restes de statues et d›couvres d›art qui ont montré les sommets atteints par cette civilisation qui émerveille non seulement les Archéologues mais aussi tous ceux qui visitent les musses de Ia Syrie et contemplent les extraordinaires trouvailles qui appartienne aux premiers débuts de Ia civilisation de l›homme sur cette terre. Ce qui fait dire à !›Occident par Ia voix de A. Parrot lui-même «A été confirmée l›ancienne parole qui dit que I›Orient a aporté Ia lumière a !›Occident. ·››-ex oriente lux. des milliers de tablettes en terre cuite ont enrichi notre connaissancede l›histoire ancienne, et ont reveux que Ia Mésopotamie, a été comme

L'homme primitif qui ignorait l'Agriculture et l'élevage à recherche des rives des fleuves pour vivre de Ia pèche et de Ia chasse des taureaux sauvages, des zèbres et des gazelles qui se trouvaient en abondance dans cette région. Carles fouilles ont découvert de grandes quantités d'os de ces animaux.

Les outils de cet homme consistaient en découpoirs de silex avec lesquels il procédait a Ia cueillette des plantes sauvages qu 'il ne cultivait pas lui-même, tels le blé, l'orge, les lentilles, car des restes carbonises en ont été trouves.

Cet homme a vécu dans des maisons composées de grandes pièces circulaires, construites de boue et de bois ébranche a l'aide d'un marteau de pierre. Quant à Ia toiture de ces pièces elle était constituée de branchages ou de plâtre ou de peaux d'animaux.

Mille ans après, les maisons étaient devenus plus vastes. et les pièces étaient ornées de quelques fresques de couleur rouge ou noire. II semble qu 'à cette époque, l'homme a pu découvrir et utiliser Ia terre cuite comme l'indique Ia découverte de petits vases, et aussi d'un nombre de statuettes en pierre et en terre une femme nue, couvrant ses seins de ses deux mains que représente sans doute Ia déesse de Ia fertilité, idole des sociétés agricoles de cette région. On a découvert aussi des os et des pierres qui étaient utilisent comme bijoux féminins. L'on a trouvé aussi des pointes de lance en silex et des couteaux en obsidienne qui indiquent des échanges commerciaux avec le nord.

A «Abu-Hureira», qui n'est pas très éloignée de» tell al-Mureibet» ont été découverts des vestiges de colonies qui remontent a Ia même époque, c'est-à-dire au 9eme millénaire av. J C. Les mêmes aspects de Ia vie évoluée y sont représentés: les maisons en brique, y sont Ia de forme rectangulaire et Ia sépulture rituelle des morts était pratiquée soit dans le sol de Ia maison ou dans la cour extérieure. Puis les squelettes étaient retirés et sépares de leurs cranes, ensevelis ensemble dans une autre sépulture. Les tants croyaient à un retour à Ia vie ou en une résurrection nouvelle.

Le peuplement s'étendit alors sur les rives de I'Euphrate, se développant vers Ia civilisation.

1- Le Héritage Archéologique Syrien La Préhistoire

Sur cette terre, l'homme sest établi il y a des milliers d'années. II nous a laissé ses premières traces dans Ia ville de Lattaquié et a -Latamne. De ces premières marches riveraines de I 'Oronte, se sont installés dans Ia vallée, et jusqu'au littoral, les foyers habitation successifs, et de plus en plus évolues. Les remarquables vestiges découverts ces dernières années, indiquent q ·une population dense a habite cette région.

Il semble que l'homme primitif ait trouve bon de vivre dans ces forêts de pins et de chênes qui florissaient dans Ia vallée de l'Oronte. II s'y établit aux premiers siècles de l'Age de pierre, chelléen et acheuléen. II utilisait des outils dont certains ont été retrouves ajour 'hui : grattoirs, merlins manuels et essaules de pierre. En ce temps, l'homme a coexists avec toutes sortes d'animaux, souvent gigantesques, tels !'Éléphant et le rhinocéros, mais surout les gazelles, les cerfs, les taureaux, les chameaux et probable- ment le cheval, et a l'Age acheuléen, il semble qu'il en tirait sa nourriture. Les pluies étaient abondantes, les forêts denses et les pâturages assurent. L'hiver était rude, il gelait et Ia population était obligée de se réfugier dans les cavernes.

Au mésolithique, époque se situant entre celle de Ia pierre taillée (paléolithique) et au néolithique qui suivit (l'époque de Ia pierre polie), nous trouvons dans cette région le plus ancien foyer d'habitation connu dans le monde,Ios de Ia campagne de sauvetage des sites êta !'emplacement du barrage de I'Euphrate.

Les fouilles archéologiques, sur le site de «Tell al-Moureibet» qui est situé sur I'Euphrate à l'ouest de Ia ville de «Tabqa-Revolution» ont mis à jour un lieu de résidence ou l'homme a séjourne depuis onze mille ans. C'est le plus ancien lieu de résidence stable connu jusque 'à nos jours.

AFIF BAHNASSI

1- Le Héritage Archéologique Syrien
2- The Syrian Archaeological Heritage

Le Héritage Archéologique Syrien

The Syrian Archaeological Heritage